2020 | 49-50

سياسات

SEYASAT

فلسطين بين جائحتين؛ كورونا والتطبيع

مقالات

- قطار التطبيع مجانيّ والردّ بإعادة الاعتبار للحركة الوطنية
- غطرسة القوة والمال في اللحظة المريضة
- التطبيع العربي الإسرائيلي بين تعاظم المسارات وتلاقي المصالح، وتداعياته على القضية الفلسطينية

دراسات

- تأثير جائحة كورونا على القطاعات الاقتصادية والمالية في دولة فلسطين
- جائحة كورونا: الأداء الفلسطيني في مشهد عالمي متقلب
- فيروس كورونا يعزز التجارة الالكترونية في فلسطين، فرص وتحديات

سياسات دولية

- الانتخابات الأميركية ٢٠٢٠ وفلسطين: أي أفق؟

سياسة عامة

- تعزيز دور الشباب في الدبلوماسية العامة الفلسطينية

فصلية سياسية تصدر عن معهد السياسات العامة

2020 49-50

سياسات

سياسات
SEYASAT

معهد السياسات العامة
Institute for Public Policies

In cooperation with:
Friedrich-Ebert-Stiftung

سياسات

SEYASAT

فصـــــليـــة تـصـــدر عـــن معـــهـــد السياسات العـــامـــة

مدير التحرير: أكرم مسلّم

هيئة التحرير

د. عاطف أبو سيف، د. محمد عودة، د. عبد الله النجار

المراسلات: معهد السياسات العامة، عمارة ابن خلدون، المصيون، رام الله، فلسطين، تلفاكس: ٢٩٥٩٣٠٦ – ٠٢

صفحة معهد السياسات العامة الإلكترونية: www.ipp-pal.ps

بريد «سياسات» الإلكتروني : info@ipp-pal.ps

رام اللّه (٤٩- ٥٠) تشرين الأول ٢٠٢٠

الإخراج والطباعة : مؤسسة "الأيام" – رام الله – فلسطين

التصميم الفني ولوحة الغلاف: مطبعة «الأيام».

صورة الغلاف: من فعالية احتجاجية على التطبيع الإماراتي- الإسرائيلي يوم ٥ أيلول في بيت لحم. (أ. ف. ب)

المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة أو المعهد

معهد السياسات العامة، جمعية أهلية تأسست عام ٢٠٠٦ في رام الله، تُصدر إلى جانب «سياسات» أوراق تقييم أداء، وأوراقاً سياساتية إلى جانب تنظيم برامج تدريبية تندرج ضمن محاولة موسعة للمشاركة في تصويب الأداء المؤسساتي ورفد النقاش السياسي بالمعلومات الدقيقة والتحليلات المعمقة والأرقام.

ترحب «سياسات» بمساهمات الكتاب والباحثين الفلسطينيين والعرب في السياسة الفلسطينية وتشابكاتها الإقليمية والدولية، وفي البحث في السياسة العامة وتطبيقاتها. يتم تصنيف المواد إلى دراسات (٥٠٠٠-٦٠٠٠ كلمة) ومقالات (٣٠٠٠-٤٥٠٠ كلمة) وعروض كتب (١٠٠٠-٢٥٠٠).

بذلك ترحب «سياسات» بأي اقتراحات لعرض كتب سواء صدرت بالعربية أو بلغة أجنبية. مع مراعاة أن تلتزم المساهمات المقدمة القواعد المتعارف عليها في البحث والكتابة من حيث الأصالة والرصانة والصنعة العلمية، وألا تكون مقدمة لأي مكان آخر للنشر أو سبق نشرها مستقلة أو نشر جزء منها.

تبلغ «سياسات» الكاتب بقبول مادته للنشر في غضون شهر من تسلمها للمادة.

وتقدم «سياسات» مكافأة مالية على المواد التي يتم نشرها.

ترسل المواد على بريد المجلة الإلكتروني أو على عنوان معهد السياسات العامة البريدي.

الفهرس

- كلمة في البداية ٥
- تأثير جائحة كورونا على القطاعات الاقتصادية والمالية في دولة فلسطين/ د. محمد كمال أبو عمشة..... ٨
- جائحة كورونا: الأداء الفلسطيني في مشهد عالمي متقلب/ عبد الغني سلامة ٣٤
- فيروس كورونا يعزز التجارة الإلكترونية في فلسطين.. فرص وتحديات/ محمود أبو شنب ٥٦
- التغيرات والأبعاد الاجتماعية في ظل جائحة كورونا/ لبيب فالح طه ٧٤
- تداعيات فيروس كورونا (كوفيد-١٩) على النساء/ إكرام عمر ٨٥
- قطار التطبيع مجانيّ، والردّ بإعادة الاعتبار للحركة الوطنية الفلسطينية/ محمد هواش ٩٥
- غطرسة القوة والمال في اللحظة المريضة/ مهند عبد الحميد ١٠٣
- هل كان للفلسطينيين دولة بحسب كتب التاريخ؟/ د. علاء أبو عامر ١١٢
- التطبيع العربي الإسرائيلي بين تعاظم المسارات وتلاقي المصالح.. وتداعياته على القضية الفلسطينية/ د. إياد أبو زنيط ورائد الدبعي ١٢٥
- مسائل في الخطاب السياسي والثقافي الفلسطيني/ الواثق طه ١٣٣
- تعزيز دور الشباب في الدبلوماسية العامة الفلسطينية/ رمزي الطويل..... ١٤٥
- الانتخابات الأميركية ٢٠٢٠ وفلسطين: أي أفق؟ / د. وليد سالم..... ١٥٨
- ماهر الشريف.. حول «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة» ما قبل النكبة (قراءة في كتاب)/ يوسف الشايب.... ١٧٤
- أبو علاء منصور.. محطات على طريق المقاومة في "رحلة لم تكتمل" (قراءة في كتاب)/ مراجعة «سياسات».... ١٨٢
- المكتبة ١٩٠

يصدر هذا العدد من فصلية سياسات، في وقت يواصل فيه «كوفيد - ١٩» تكريس نفسه لاعباً دولياً متعدد المواهب، عابراً للقارات والطبقات والتصنيفات والتقسيمات، تاركاً بصماته الأوضح على الهوامش الأضعف. وفيما تتلقى فلسطين وحيدةً ومحاصَرةً حصّتها من جائحة «كوفيد – ١٩»، تقف لتتصدى لجائحات استثنائية، تهدف لطردها من التاريخ، بعد أن طُردت إلى حدّ كبير من الجغرافيا.

اعتادت فلسطين على خذلان بعض «إخوتها» أو تخليهم، وكثيراً ما غفرت قلّة حيلتهم، لكن الظرف الإقليمي الذي تتصدّر تخليقه دولة الإمارات، ليس أقل من تواطؤ عميق مع محاولة حمقاء لكتابة تاريخ لا فلسطين فيه، ما يستدعي بقوة مجاز «إخوة يوسف»، تاركاً مرارةً لاذعةً في الحلق.

قال مسؤول إماراتي إن الإمارات ليست جائزة ترضية يعطيها العرب لإسرائيل على سلوكها مع الفلسطينيين، لكن تفاصيل «الاتفاق الثلاثي» كلها تقول إنها ارتضت أن تكون هدية انتخابية يتقاذفها ترامب ونتنياهو بين ملعبيهما الداخليين القذرين. وقال آخرون إن ما يحدث هو من أجل فلسطين، لكن الوقائع قالت إن بلداً عربياً اشترى كل بضاعة اليمين الفاشي الإسرائيلي المسمومة، ابتداءً من الرضوخ لمنطق سلام الأقوياء، وقبول صيغة السلام مقابل السلام، وانتهاءً بلوم الضحية لأنها أدمنت إهدار فرص جلادها.

ليس تطبيعاً ما يحدث، وإنما ذهاب إلى ما هو غير طبيعي بالمنطق السياسي، وصولاً لشراء مطبّعين، ولا هو سلام بين طرفين بمقدار ما هو اعتناق طرف لكل مفردات الآخر القادمة من قاموس الحرب والاستعلاء والازدراء، لتفاجأ الشعوب العربية بخطاب

عربي ثقيل على اللغة العربية ذاتها.

كمساهمة في فهم ما يحدث، وبالتالي توليد إجابات في التعامل معه، أفردت سياسات في عددها المزدوج هذا ملفين موسعين مخصصين للجائحتين: «كوفيد – ١٩» و«التطبيع»، بمشاركة مجموعة متميزة من الكتاب والمحللين والمتخصصين.

يُفتتح العدد بقراءة متخصصة حول «تأثير جائحة كورونا على القطاعات الاقتصادية والمالية في دولة فلسطين»، للدكتور محمد كمال أبو عمشة، يضع القارئ، في صورة الآثار التي خلّفها الوباء، وما يمكن أن تؤول إليه، وتوصيات حول الخيارات المتاحة فلسطينياً عبر استعراض أحدث المعطيات، وتحليل آخر الأرقام المتاحة، فيما يرسم الباحث عبد الغني سلامة صورة بانورامية لجائحة كورونا كسياق دولي، مضيئاً على الأداء الفلسطيني في هذا المجال.

على الصعيد نفسه، يختار الباحث محمود أبو شنب جزئية التجارة الإلكترونية في فلسطين ليتابع ما شهدته من تغيرات في زمن كورونا وما تقدمه من فرص، وما تفرضه من تحديات، فيما يرصد الباحث لبيب فالح طه المستجدات الاجتماعية في ظل جائحة كورونا، بينما تفرد الباحثة إكرام عمر مساحة خاصة لتداعيات ظرف كورونا على النساء.

وحول جائحة التطبيع، يكتب المحلل السياسي محمد هواش تحت عنوان «قطار التطبيع مجانيّ، والردّ بإعادة الاعتبار للحركة الوطنية الفلسطينية»، مشخصاً اللحظة التاريخية، بحثاً عن المكنات الفلسطينية المتاحة في ظروف غير صديقة، فيما يقدّم الإعلامي وكاتب الرأي مهند عبد الحميد مساهمة تحت عنوان «غطرسة القوة والمال في اللحظة المريضة».

ويذهب د. علاء أبو عامر إلى التاريخ لنقض مجموعة من ادعاءات ترامب في خطته لتصفية القضية الفلسطينية تحت عنوان «هل كان للفلسطينيين دولة بحسب كتب التاريخ»، فيما يركز كل من د. إياد أبو زنيط ورائد الدبعي في مقال مشترك حول خلفيات التطبيع العربي الإسرائيلي، ومكوناته المصلحية.. وتداعياته على القضية الفلسطينية، فيما يقرأ الواثق طه مسائل في الخطاب السياسي والثقافي الفلسطيني ذات الصلة.

في زاوية السياسات العامة يتناول الباحث والإعلامي رمزي الطويل موضوعة

تعزيز دور الشباب في الدبلوماسية العامة الفلسطينية، تناغماً مع توقيت تبدو فيه فلسطين بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى تفعيل هذه الأداة.

وفي الختام يتناول د. وليد سالم، مستجدات الانتخابات الأميركية، استكمالاً من «سياسات» لضرورة فهم التغيرات الإقليمية في ضوء بيئتها الدولية، حيث يبقى سؤال الانتخابات الأميركية مهماً في التبصر بالسيناريوهات المستقبلية، والأفق الفلسطيني في ضوئها.

في زاوية الكتب قراءة أعدها يوسف الشايب لكتاب وازن للباحث ماهر الشريف حول «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة» ما قبل النكبة، صدر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

تأثير جائحة كورونا على القطاعات الاقتصادية والمالية في دولة فلسطين

د. محمد كمال أبو عمشة*

مقدمة

شهد العالم منذ العصور القديمة بشكل مستمر العديد من الأوبئة، كالطاعون والأنفلونزا الإسبانية وغيرها وصولاً إلى أنفلونزا الطيور والسارس في العقد الماضي من القرن الحادي والعشرين، مما أثر سلباً على جزء كبير من العالم في مختلف المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... في الوقت الحاضر، كان العالم مسرحاً لتفشي أمراض الجهاز التنفسي نتيجة ظهور Coronavirus COV-ID-19 في العام ٢٠٢٠.

تسبب تفشي الفيروس التاجي الجديد في حدوث جائحة من أمراض الجهاز التنفسي CO-VID- 19، في الوقت الذي لا تتوفر فيه اللقاحات والعلاجات Wang et al. (2020). وتسبب تفشي المرض في مخاوف كبيرة بشأن الصحة العامة في جميع أنحاء العالم. وفي الوقت نفسه، هناك مخاوف متزايدة بشأن العواقب الاقتصادية، فقد طلبت الدول من مجتمعاتها البقاء في المنازل وفرضت العزل المنزلي على جميع أفراد المجتمعات لإبطاء انتشار الفيروس.

طال تأثير الإيقاف المؤقت للاقتصاد جميع مناحي الحياة في دول العالم ومن بينها سلاسل التوريد Supply Chain، وطلبات الأماكن السكنية واحتياجاتها، والاستقرار المالي للشركات والقطاع المالي.. ومن غير المعروف حجم الخسائر التي خلفتها هذه الجائحة

*جامعة فلسطين التقنية – خضوري.

وإلى متى ستستمر هذه الخسائر. ونتيجة لذلك يحاول صانعو السياسات والشركات والمشاركون في السوق مراجعة توقعات النمو على المدى القصير والمتوسط والطويل (2020) Gormsen & Koijen.

أدت الأزمة المالية العالمية إلى انهيار كبير في العامين (٢٠٠٧-٢٠٠٨)، لكن لم تؤثر على العالم كله، على عكس ما نعيشه الآن بسبب فيروس كورونا COVID-19virus، حيث أدى إلى إغلاق كامل في الكثير من دول العالم وأثر جزئياً على بعض البلدان Sansa (2020).

أهمية البحث:

تكمن أهمية الدراسة في استنتاج نموذج قياسي يستخدم للتنبؤ بأعداد الإصابات المتوقعة، ورسم سياسات مختلفة لأوضاع القطاعات الاقتصادية والمالية وبورصة فلسطين والحالة الاجتماعية (الفقر والبطالة)، كما تكمن أهمية الدراسة في مساعدة صانعي السياسات العامة على تحليل الوضع الوبائي والصحي بفلسطين.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. استعراض الحالة الوبائية في فلسطين حتى تاريخ ٢٠٢٠/٧/١٢.
٢. التنبؤ بأعداد الإصابات في فلسطين للعشرين أسبوعاً المقبلة.
٣. توصيف النظام الصحي الفلسطيني حتى العام ٢٠٢٠ من خلال تحليل الإمكانات الطبية والكادر الطبي.
٤. تحليل تأثير جائحة كورونا على الجوانب الاجتماعية لدولة فلسطين (الفقر والبطالة) والنواحي الاقتصادية (النمو والانكماش وإيرادات الموازنة العامة ونفقاتها وخسائر القطاعات الاقتصادية والقطاع المالي وفق سيناريوهات مختلفة).

منهجية الدراسة

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بتوصيف الوضع الوبائي والحالة الصحية والوضع والاقتصادي والمالي والاجتماعي خلال جائحة كورونا، كما استخدم الباحث المنهج الكمي للتنبؤ بأعداد الإصابات والسيناريوهات المحتملة للوضع الاقتصادي في فلسطين، وتم استخدام منهجية (بوكس جنكيز Box-Jen-kins)في تحليل السلاسل الزمنية، ومن ثم الحصول على بيانات السلسلة الزمنية لأعداد الإصابات من وزارة الصحة الفلسطينية ومنظمة الصحة العالمية، واستخدمت الحزمة البرمجية SPSS في تحليلها.

بيانات الدراسة

جرى استخدام البيانات الأسبوعية من مواقع وزارة الصحة الفلسطينية ومنظمة الصحة العالمية للتنبؤ بأعداد الإصابات أسبوعياً، كما تم استخدام البيانات الأسبوعية والشهرية

والسنوية الخاصة بسلطة النقد الفلسطينية ووزارة المالية ومنظمة العمل الدولية ومنظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي.

منهجية (بوكس جنكيز Box-Jenkins)

سيعتمد الباحث عند بناء نموذج التنبؤ بأعداد الإصابات في فلسطين طريقة (بوكس جنكيز Box-Jenkins) المقدمة في الكتاب الشهير Time Series Analysis Forecasting and Control الذي نشر في العام ١٩٧٦، وقد انتشرت هذه الطريقة بحيث أصبحت الأكثر استخداماً في التحليل الحديث للسلاسل الزمنية، وهي تقوم على مجموعة من المراحل:

المرحلة الأولى: فحص استقرار السلسلة الزمنية، وتطبيق التحويلات اللازمة لجعلها مستقرة وإن لم تكن كذلك.

المرحلة الثانية: تحديد النموذج المناسب من عائلة نماذج (Autoregressive Integrated Moving Average) ARIMA

المرحلة الثالثة: تقدير النموذج.

المرحلة الرابعة: فحص النموذج للتحقق من ملاءمته للسلسلة الزمنية – موضوع البحث - وعندما يكون غير ملائم نعود إلى المرحلة الثانية، وإلا ننتقل إلى المرحلة التالية (الخامسة).

المرحلة الخامسة: التنبؤ باستخدام النموذج المختار.

الإطار النظري للدراسة

في الواقع فإن فيروس كورونا هو الحلقة الأخيرة في سلسلة من الأوبئة التي ضربت العالم وذهب ضحيتها الملايين من البشر، وفيما يلي أبرزها وفقاً لقناة BBC العربية:[١]

الطاعون الأنطوني

في العام ١٦٥ميلادية تم تسجيل الطاعون الأنطوني، وقال المؤرخ الروماني كاسيوس ديو: إن هذا الوباء تسبب في وفاة ما لا يقل عن ألفي شخص يومياً حينئذ، وذكرت بعض الدراسات الحديثة أن الطاعون الأنطوني لم يكن سوى مرض الجدري، وقد جاء تحديد هذا المرض بناء على وصف أعراضه التي دونها المؤرخ كاسيوس ديو. واستمر هذا الوباء في الانتشار إلى سنة ١٨٠ م وأسفر عن سقوط العديد من الضحايا، بحسب دائرة معارف التاريخ القديم.

طاعون جستنيان

انتشر في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية في آسيا وإفريقيا وأوروبا بين عامي ٥٤١ و ٥٤، وتشير الوثائق إلى أن هذا الوباء ظهر أولاً في مصر ثم انتقل إلى القسطنطينية حيث كانت الإمبراطورية البيزنطية تحصل على احتياجاتها من الحبوب من مصر، وأسفر عن سقوط عدد كبير من الضحايا ، وذلك بحسب منظمة الصحة العالمية.

الطاعون الأسود

شهدت أوروبا عامي ١٣٤٨ و ١٣٤٩ما عرف باسم الطاعون الأسود الذي أسفر عن مقتل نحو ٢٠ مليون شخص. وذكرت دراسة صدرت في العام ٢٠١٨ أن البشر كانوا المسؤولين عن العدوى في ذلك الوقت وليس الفئران.

طاعون لندن العظيم

شهدت العاصمة البريطانية عامي ١٦٦٥ و ١٦٦٦ما عرف باسم طاعون لندن العظيم الذي وصلها قادماً من هولندا وتجاوز عدد ضحاياه الـ ١٠٠ ألف شخص، أي ربع عدد سكان المدينة حينئذ، بحسب موقع history.com وفي العام ٢٠١١ تمكن علماء من معرفة جينات جرثومة مرض «الموت الأسود» أو الطاعون من خلال استخراج أجزاء دقيقة من الحمض النووي للبكتيريا من أسنان جثث من العصور الوسطى عثر عليها في لندن، وقالوا إن هذه الجرثومة هي أصل كل البكتيريا المسببة للطاعون حديثاً.

الحمى الصفراء

انتشر وباء الحمى الصفراء بمنطقة فيلادلفيا الأميركية في العام ١٧٩٣ وتسبب في مقتل نحو خمسة وأربعين ألف شخص. بحسب موقع history.com

الطاعون العظيم بمدينة مارسيليا الفرنسية

في العام ١٧٢٠ ضرب مدينة مارسيليا الفرنسية الطاعون العظيم الذي قتل في أيام ١٠٠ ألف شخص أيضاً.

الكوليرا

في العام ١٨٢٠ فتكت الكوليرا بالكثيرين في جنوب شرقي آسيا وبلغ عدد الضحايا أكثر من ١٠٠ ألف شخص. وقد ظهرت في مدينة كالكوتا في الهند ومنها انتشرت في جنوب آسيا والشرق الأوسط وساحل البحر الأبيض المتوسط وقد وصل هذا الوباء إلى الصين.

طاعون منشوريا

انتشر بين سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ في منطقة منشوريا في الصين وقتل نحو ٦٠ ألف شخص. بحسب موقع disasterhistory.org.

الأنفلونزا الإسبانية

في العام ١٩١٨اجتاح وباء الأنفلونزا الإسبانية العالم، وقد أودى بحياة ما يتراوح بين ٤٠ و ٥٠مليون شخص، ووفقاً لدراسة نشرتها (بي.بي.سي) في العام ٢٠١٨ فقد كان عدد الضحايا كبيراً لأنه في العام ١٩١٨كانت الفيروسات لا تزال حديثة الاكتشاف. وتقول ويندي باركلاي من جامعة إمبريال كوليدج بلندن: «لم يدرك الأطباء حينها بالطبع أن الفيروسات هي التي تسبب هذه الأمراض». وكان الطريق أمامهم لا يزال طويلاً لاكتشاف

الأدوية المضادة للفيروسات واللقاحات التي تساعد الآن في كبح تفشي المرض وتسريع التعافي منه.

الأنفلونزا الآسيوية

ظهر الوباء في الصين بين عامي ١٩٥٧و ١٩٥٨ وانتشر في سنغافورة وهونغ كونغ ثم الولايات المتحدة وكان عدد الضحايا كبيراً.

الإيدز

في العام ١٩٧٦ ظهر في الكونغو وانتشر في مختلف أنحاء العالم، وقد بلغ عدد المصابين نحو ٣٦ مليوناً. وفي العام ٢٠١٤ توصل علماء إلى أن منشأ وباء الإيدز يعود إلى عشرينيات القرن الماضي في مدينة كينشاسا الموجودة حالياً في جمهورية الكونغو الديمقراطية. وقالوا إن «مزيجاً من الأحداث» شمل النمو السكاني وتجارة الجنس وحركة السكك الحديدية سمح بانتشار فيروس «آتش.آي.في» المسبب للإيدز. وأضاف العلماء في دورية «ساينس» العلمية قائلين إنهم لجؤوا إلى دراسة تاريخ الفيروس للتعرف إلى أصل الوباء.

أنفلونزا الخنازير

انتشر وباء أنفلونزا الخنازير في العام ٢٠٠٩، وقد اكتشف أولا في المكسيك في نيسان من ذلك العام، قبل أن ينتشر في العديد من دول العالم. ووفقاً لمنظمة الصحة العالمية، فإن أنفلونزا الخنازير من أكثر الفيروسات خطورة حيث يتمتع بقدرة تغير سريعة، هرباً من تكوين مضادات له في الأجسام التي يستهدفها، وقد أعلنت منظمة الصحة العالمية في العام ٢٠١٠ عن وفاة ١٨ ألف شخص جراء الوباء.

أيبولا

في كانون الأول ٢٠١٣، ظهر هذا الوباء في غينيا وانتشر إلى ليبيريا وسيراليون المجاورتين، ليعرف بعدها باسم «فيروس إيبولا في غرب إفريقيا»، الأمر الذي كاد يتسبب بانهيار اقتصادات البلدان الثلاثة، وخلال ذلك العام، توفي نحو ٦ آلاف شخص بسببه. وفي العام ٢٠١٨، ضرب إيبولا مجدداً في جمهورية الكونغو الديمقراطية حيث فقد أكثر من ٢٢٠٠ شخص حياتهم.

إجراءات المراقبة والاحتواء ضرورية لإبطاء انتشار الفيروس وخفض الأحمال القصوى على النظم الصحية.

وضعت منظمة الصحة العالمية مجموعة من إجراءات المراقبة لاحتواء الفيروس أو إبطاء انتشاره، تتلخص بما يلي:[٢]

- إجراءات المراقبة المبكرة والاحتواء السريع والشامل ستبطئ انتشار الفيروس: توفر منظمة الصحة العالمية الإرشاد اللازم بشأن الإجراءات الصحية. وسيكون ضمان

إتاحة القدر الكافي من الإجازات المرضية مدفوعة الأجر عاملاً مساعداً على كبح انتقال العدوى. وفي البلدان ذات شبكات الأمان الاجتماعي الأضعف يجب أن تكون التدخلات الصحية موجهة حتى تصل إلى القطاعات غير الرسمية ومن يعيشون في فقر مدقع. ومن الضروري إجراء فحوص منتظمة لتوثيق التقدم المحرز والإبلاغ بالوقت المناسب لاستئناف النشاط في المناطق التي تأثرت بالعدوى.

- زيادة الإنفاق على الصحة العامة: النظم المثقلة بالأعباء يمكن أن تضخم الصدمة المبدئية من خلال نشر القلق الاجتماعي، وتراجع القدرة على الرصد والعلاج، وازدياد الحاجة لتطبيق الحجر الصحي. ومن أهم الخطوات في هذا الخصوص دعم نظم الاستشارة الطبية عن بعد والتوظيف الاستثنائي في القطاع الصحي، مع تكميل هاتين الخطوتين باستجابة صناعية منسقة في مجال إنتاج الإمدادات الطبية واتخاذ خطوات تحد من انتقال التداعيات السلبية عبر الحد من فرط اختزان هذه المواد.
- إبلاغ المواطنين بمدى فداحة الأزمة وتغيير سلوك الأفراد: ينبغي إنشاء مجموعة رفيعة المستوى لتنسيق الاستجابات المختلفة ومن الضروري الإفصاح بصورة منتظمة وفي الوقت المناسب عن المعلومات ذات الصلة المستمدة من مصادر موثوقة، بما في ذلك توفير معلومات يومية عن آخر المستجدات المتعلقة بمدى خطورة الوضع الصحي. وستساهم الإرشادات التوجيهية والمشورة الشفافة بشأن السياسات على المستوى الوطني في توجيه جهود الشركات والقطاع العام وتوزيع مواردهما بما يكفل مراقبة هذه الجائحة والتخطيط لها والتصدي لآثارها.
- التعاون بشأن الإجراءات المطلوبة لمساعدة الفئات المعرضة للخطر داخل البلدان وفيما بينها: لا يزال من المهم التأكد من عدم وجود قيود على وصول الإمدادات الطبية الحيوية إلى الأفراد والبلدان الأشد احتياجاً، لأن ذلك من شأنه رفع معدلات الإصابة بالعدوى وإطالة أمد الجائحة.

ينبغي أن تعمل البنوك المركزية على دعم الطلب والثقة عن طريق تيسير الأوضاع المالية، وضمان تدفق الائتمان إلى القطاع العيني، وتعزيز السيولة في الأسواق المالية المحلية والدولية:

قام كل من البنك الدولي[٣] وصندوق النقد الدولي[٤] وصندوق النقد العربي[٥] بوضع العديد من الإجراءات في محاولة لإنقاذ الاقتصاد العالمي نستعرضها بما يلي:

- ينبغي أن توفر البنوك المركزية السيولة لدعم أداء الأسواق وتخفيف الضغوط الواقعة على أسواق التمويل الرئيسة، من خلال عمليات السوق المفتوحة، والتوسع

في الإقراض، وغير ذلك من الإجراءات مثل عمليات الشراء المباشر وتسهيلات إعادة الشراء.

- سيؤدي التيسير النقدي إلى دعم الطلب والثقة مع تخفيض تكاليف الاقتراض على الأسر والشركات: فبالإضافة إلى إجراء تخفيضات في أسعار الفائدة (إذا توافر الحيز الكافي في السياسة النقدية)، يمكن توفير دفعة تنشيطية من خلال تقديم إرشادات استشرافية حول مسار السياسة النقدية المتوقع، والتوسع في شراء الأصول (بما فيها الأصول الخطرة).
- وستودي الإجراءات الموجهة المؤقتة إلى دعم القطاعات الأكثر تضرراً: ينبغي النظر في تقديم المزيد من الدعم الموّجه لفئات أصول معينة، كعنصر مكمل للإجراءات المعممة على مستوى السياسات.
- من خلال التحرك المنسق الذي تقوم به البنوك المركزية في مجموعة السبعة، يمكن توفير الاستقرار للاقتصاد العالمي والأسواق المالية العالمية: وتشمل هذه الجهود تطبيق التيسير النقدي المنسق وإتاحة خطوط تبادل العملات للحد من الضغوط على الأسواق المالية العالمية وتخفيف ضغوط السيولة، بما في ذلك إتاحة خطوط تبادل العملات لاقتصادات الأسواق الصاعدة.
- ينبغي للسياسة النقدية في الاقتصادات الصاعدة والنامية أن تحقق التوازن بين حماية النمو ومعالجة الضغوط الخارجية، بما في ذلك صدمات أسعار السلع الأولية وانعكاس مسار التدفقات الرأسمالية: وسيؤدي التيسير النقدي في بلدان مجموعة السبعة إلى إفساح المجال أمام البنوك المركزية في الاقتصادات الصاعدة والنامية لاتخاذ الإجراء نفسه من أجل دعم الطلب المحلي. ويمكن لمرونة أسعار الصرف أن توازن أثر الصدمات الخارجية، ولكن الأمر قد يتطلب التدخل في أسعار الصرف إذا ما أصاب الارتباك أوضاع السوق. وفي أوضاع الأزمات أو شبه الأزمات قد يتعين اتخاذ إجراءات مؤقتة تتعلق بتدفق رؤوس الأموال.

تحليل الوضع الوبائي في فلسطين

يتناول هذا الجزء تحليل الوضع الوبائي في فلسطين، حيث يتناول هذا الجزء عرض الإحصاءات التي نشرتها وزارة الصحة الفلسطينية، حيث يعرض الجدول الأول الحالات المؤكدة الكلية حسب المنطقة الجغرافية من الحالات المؤكدة وحالات التعافي وحالات الوفاة والحالات النشطة حتى تاريخ ٢/٩/٢٠٢٠.

جدول رقم (١)

يبين الجدول الأعداد الكلية للحالة الوبائية في فلسطين حتى تاريخ إعداد هذه الدراسة ٢/٩/٢٠٢٠

	الحالات المؤكدة الكلية	حالات التعافي	حالات الوفاة	الحالات النشطة
المحافظات الشمالية بدون القدس	٢٠٦٠٠	١٣٨١٤	١٤٦	٦٦٤٠
المحافظات الجنوبية	٣٣١	٧٦	٥	٢٥٠
محافظة القدس (مدينة القدس)	٧٢٠٩	٥٤٥٤	١٩	١٧٣٦
ضواحي القدس	٢٢٨١	١٤٤٨	١٠	٨٢٣
المجموع بفلسطين	٣٠٤٢١	٢٠٧٩٢	١٨٠	٩٤٤٩
عدد المواطنين بفلسطين ٥,١٠١,١٥٢	الضفة الغربية	٣,٠٥٣,١٨٣	قطاع غزة	٢,٠٤٧,٩٦٩

المصدر: وزارة الصحة الفلسطينية، التحديث الصباحي حتى تاريخ ٢/٩/٢٠٢٠

يعرض الجدول رقم (١) الأعداد الكلية للحالة الوبائية حيث بلغ حجم الإصابات الإجمالية في فلسطين ٣٠٤٢١ بنسبة ٠,٠٠٦٪ من عدد السكان: بلغت الإصابات في المحافظات الشمالية من دون القدس (الضفة الغربية) ٢٠٦٠٠ بنسبة ٦٧,٧٪ من إجمالي الإصابات، بنسبة ٠,٠٠٦٧٪ من إجمالي عدد سكان الضفة الغربية، بينما بلغ حجم الإصابات في المحافظات الجنوبية (قطاع غزة) ٣٣١ إصابة، ما نسبته ٣٢,٣٪ من إجمالي الإصابات، بنسبة ٠,٠٠٠١٦٢٪ من إجمالي عدد سكان قطاع غزة، أما مدينة القدس فقد بلغ حجم الإصابات فيها ٧٢٠٩ أي ما نسبته ٢٣,٧٪ من إجمالي الإصابات، بينما بلغ في ضواحي القدس ٢٢٨١ بنسبة ٧,٥٪ من إجمالي الإصابات، أما حالات التعافي في فلسطين فقد بلغت ٢٠٧٩٢ بنسبة ٦٨,٣٥٪ وهي نسبة جيدة ويرجع هذا العدد من حالات التعافي إلى تركز حجم الإصابات الكبير خلال الأشهر السابقة مع وجود خبرة إلى حد ما في التعامل مع الفيروس من الناحية الطبية.

توزعت حالات التعافي على ١٣٨١٤ حالة في المحافظات الشمالية و٧٦ في المحافظات الجنوبية و٥٤٥٤ في مدينة القدس و١٤٤٨ في ضواحي القدس.

بلغت حالات الوفاة في فلسطين ١٨٠ حالة بنسبة ٠,٥٩٪، معظمها في مدينة الخليل، وذلك لتركز انتشار وباء كورونا فيها، بينما بلغت الحالات النشطة في فلسطين ٩٤٤٩ منها ٦٦٤٠ في المحافظات الشمالية بنسبة ٧٠,٢٧٪

والمحافظات الجنوبية ٢٥٠ بنسبة ٢,٦٥٪ أما في مدينة القدس فبلغت الإصابات النشطة ١٧٣٦ بنسبة ١٨,٣٧٪ أما في ضواحي القدس فبلغت ٨٢٣ بنسبة ٨,٧١٪.

توزعت الإصابات في المحافظات كما يلي: استحوذت مدينة الخليل على العدد الأكبر من الإصابات حيث بلغ عدد الإصابات ١٣٠٩٦ بنسبة ٤٣,٠٥٪، تلتها مدينة القدس بـ ٧٢٠٩ إصابة بنسبة ٢٣,٧٪، ثم ضواحي القدس بـ ٢٢٨١ إصابة بنسبة ٧,٥٪، ثم مدينة رام الله والبيرة بـ ٢١٩٢ إصابة بنسبة ٧,٢٪، ثم مدينة بيت لحم بـ١٤٩٤ إصابة بنسبة ٤,٩١٪، ثم مدينة نابلس بـ ١٢٦٧ إصابة بنسبة ٤,١٧٪، ثم مدينة أريحا بـ ٨٨٨ بنسبة ٢,٩٪، ثم مدينة قلقيلية بـ ٨٣٩ إصابة بنسبة ٠,٦٪، ثم مدينة أريحا بـ ٢٤ إصابة بنسبة ٠,٤٪، ثم جنين بـ ١٥ إصابة بنسبة ٢,٨٪، ثم مدينة طولكرم بـ ٣٧٦ إصابة بنسبة ١,٢٪، ثم مدينة غزة بـ ٣٢٨ إصابة بنسبة ١,١٪، ثم جنين بـ ٢٧٥ إصابة بنسبة ٠,٩٪، ثم سلفيت بـ ١٠١ إصابة بنسبة ٠,٣٪، ثم طوباس بـ ٧٢ إصابة بنسبة ٠,٢٪، وخان يونس بإصابتين ورفح بإصابة أما دير البلح وشمال غزة فلم تسجل فيهما أي إصابات حتى تاريخه.

وإذا ما نظرنا إلى توزيع الإصابات حسب الفترة الزمنية فإننا نجد أن الإصابات بدأت مع زيارة الوفد اليوناني في شهر آذار ٢٠٢٠ حيث بلغ عدد الإصابات في ذلك الوقت ١٣٣ وفي شهر نيسان ٢١١ وفي شهر أيار ١٠٤، إلا أن الانتكاسة الحقيقية كانت في شهر حزيران حيث بلغ عدد الإصابات ١٩٨٠ أما في الثلث الأول من شهر تموز فبلغ عدد الإصابات ٢٢٣١ إصابة.

جدول رقم (٢)

توزيع الإصابات اليومية الكلية في المحافظات الشمالية والجنوبية حسب مصدر الإصابة

مصدر الإصابة	عدد الحالات المسجلة	النسبة ٪
العمال	١٤٧	٠,٦٢٪
مخالطو عمال	٢٦١	١,٠٩٪
اكتشفت على المعابر	٦٩	٠,٢٩٪
مخالطو فلسطينيي الداخل المحتل عام ٤٨	٥٨	٠,٢٤٪
مسافرون	١١٥	٠,٤٨٪
مخالطو مسافرين	١٢	٠,٠٥٪
الانتقال المجتمعي	١٣٣٩٦	٥٦,١١٪
مخالطو الوفد السياحي	٤٠	٠,١٧٪
كادر طبي	١٦٧	٠,٧٪
مخالطو كادر طبي	٨	٠,٠٣٪
الأسرى	١	٠,٠٪
أخرى	٩٦٠١	٤٠,٢١٪
المجموع	٣٠٤٢١	١٠٠٪

المصدر: وزارة الصحة الفلسطينية، التحديث الصباحي حتى تاريخ ٢٠٢٠/٩/٢

يوضح الجدول رقم (٢) توزيع مصدر الإصابات حيث بلغ العدد الأكبر من خلال الانتقال المجتمعي في مدينة الخليل والناتج عن إصابات الأفراح وبيوت العزاء ١٣٣٩٦ إصابة بنسبة ٥٦,١١٪ ويعود هذا العدد الكبير لطبيعة مدينة الخليل التي تتمتع بخصائصها القبلية والعشائرية والمجاملات بالأفراح والأتراح، تلتها في العدد مصادر مختلفة منها الزيارات العائلية للعاملين في المستوطنات أو من خلال مصادر غير معروفة حيث بلغ عدد الإصابات ٩٦٠١ بنسبة ٤٠,٢١٪، تلاها في مصادر انتقال الفيروس العمال داخل الخط الأخضر ومخالطوهم بعدد ٤٠٨ بنسبة ١,٧٪، تلاهم المسافرون ومخالطو المسافرين بعدد ١١٥ وبنسبة ٠,٤٨٪ تلاهم مخالطو فلسطينيي الداخل وعددهم ٥٨ بنسبة ٠,٢٤٪ أما المعابر والمخالطون على المعابر فبلغوا ٨١ بنسبة ٠,٣٣٪، يليهم مخالطو الوفد السياحي بعدد ٤٠ ونسبة ٠,١٧٪، ثم الكادر الطبي ومخالطوهم بعدد ١٧٥ ونسبة ٠,٠٧٪، وجاءت المرتبة الأخيرة للأسرى.

التنبؤ بأعداد الإصابات حتى نهاية العام وفق نموذج ARIMA:

بعد إجراء الاختبارات لغرض إعداد نموذج التنبؤ باستخدام نموذج (بوكس جنكيز Box-Jenkins) ARIMA الإحصائي باستخدام برنامج الرزم الإحصائي SPSS، تم تحديد النموذج (١،١،٠) وبينت نتائج اختبار النموذج أن معامل التحديد R^2 ٩٩,٤٪ عال ومقبول لأغراض التنبؤ وأن قيمة معامل F هي ٣٦,٦٣ وأن القيمة المعنوية لها عند مستوى دلالة ≤ (٠,٠٥) تساوي (٠,٠٠٠)، وهو ما يعني رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل، الأمر الذي يعني أن النموذج معنوي ويمكن التنبؤ بأعداد الإصابات، وتم فحص استقرار السلسلة الزمنية كمرحلة أولى كما تم اختبار بيانات الدراسة باستخدام اختبار (Dickey and Fuller)، اختبار جذر الوحدة لبيانات السلسلة الزمنية وبمقارنة النتائج نجد أن القيم النظرية D.F عند مستوى $\alpha = 0.05$ 2.39 > من قيمة t المحسوبة البالغة ٠,٣٥٣-، كما بينت نتيجة الاختبار نفسه أن القيم النظرية A.D.F. تساوي ٢,٣٩- > من ٠,٧٢٩ قيمة t المحسوبة لذا يبدو أن السلسلة مستقرة، وفي المرحلة الثانية فحص دلالة الارتباط ACF بالمرحلة الثانية لسلسلة الفروق الأولى في الشكل (١) يقود إلى اقتراح نموذج MA (١)، أما فحص دالة الارتباط الذاتي الجزئي PACF الشكل (٢) فهو يقود إلى اقتراح AR (١)، وإذا نظرنا إلى الشكلين فيمكن أن نقترح نموذج ARMA (1،1،0)

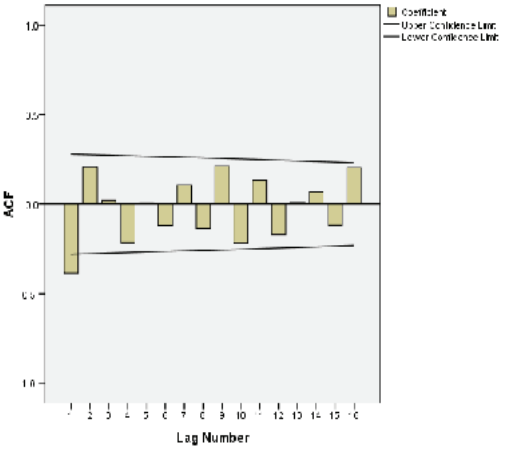

الشكل (٢) الشكل البياني لأعداد التلاميذ بعد تطبيق مرشح الفروق الأولى

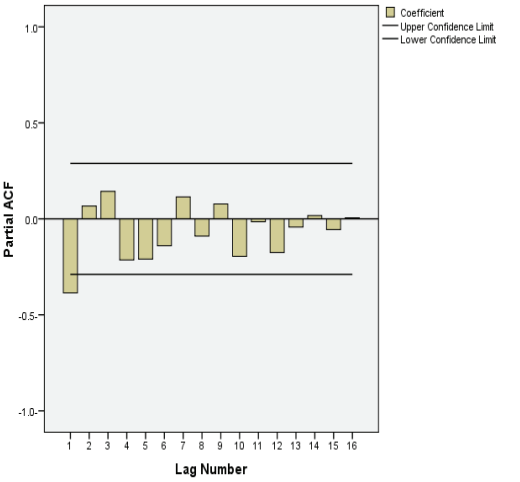

الشكل (٣) دالة الارتباط الذاتي ACF لسلسلة الفروق الأولى

الأعداد المتوقعة

يبين الشكل رقم (٣) الاتجاه التصاعدي للإصابات الذي تم التنبؤ به، حيث يتبين أن أعداد الأسابيع من (٢٨ – ٤٤) هي كما يلي ١٨٢٥، ١٩١٨، ٢٠٠٠، ٢٠٧٠، ٢١٢٩، ٢١٧٥، ٢٢٠٧، ٢٢٢٥، ٢٢٢٩، ٢٢٢٠، ٢١٩٧، ٢١٦٢، ٢١١٥، ٢٠٦٠، ١٩٩٣، ١٩١٨، ١٨٣٧، وأن مجموع الإصابات خلال الأسابيع الـ١٧ القادمة هو ٣٥٢٨٠ إضافة إلى أعداد الإصابات الفعلية المسجلة وفق نشرات وزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية وهو ٣٢٠٨٨ حتى آخر إحصائية تم الاعتماد عليها لأغراض التنبؤ، أي ما مجموعة ٦٧٣٦٨ حالة متوقع إصاباتها، وهذه النسبة تكون واقعية إذا لم يلتزم المواطنون بمعايير السلامة وهي موزعة أسبوعياً، ومن المتوقع أن يواجه النظام الصحي الفلسطيني خلال الشهور الخمسة القادمة ضغوطاً هائلة إذا ما وصلت هذه الأعداد المتوقعة إلى هذا الرقم المرتفع.

شكل رقم (٣)

أعداد الإصابات المتوقعة للعشرين أسبوعاً القادمة

المصدر: إعداد الباحث بالاعتماد على اختبار النموذج الإحصائي ARIMA.

بدأ النظام الصحي الفلسطيني يعاني من نفاد المسحات والمواد اللازمة لإجراء الاختبارات بفعل عوامل عدة منها الاحتلال الإسرائيلي وضعف الإمكانيات المالية والمادية والبشرية في فلسطين، إضافة للضغوط المعيشية على الأسر والمواطنين نظراً لتردي الوضع الاقتصادي الفلسطيني، حيث تم الإعلان عن وقف إجراء الفحوص في محافظتي الخليل وبيت لحم اللتين تعتبران بؤرة انتشار الفيروس، حيث بلغت أعداد الفحوص المخبرية في فلسطين (٢٨٧٨٣٠) وأعداد الأفراد في الحجر المنزلي (٧١٤١٣) بنسبة ٤٥,٣٪ من الذكور ونسبة ٥٤,٧٪ من الإناث.

جدول رقم (٣)

النظام الصحي في فلسطين

الوصف	فلسطين	النسبة	الضفة الغربية	النسبة	قطاع غزة	النسبة
عدد المستشفيات الحكومية والقدس	٨٠	١٠٠٪	٥٢	٦٣,٤٪	٢٨	٣٦,٦٪
المستشفيات العامة	-	-	٣٠	٥٥,٨٪	١١	٤٤,٢٪

المستشفيات المتخصصة			١٠	٪١٩,٢	٩	٪٣٢,١
مستشفيات الولادة			٩	٪١٩,٢	٦	٪٢١,٤
مراكز التأهيل والعلاج الطبيعي			٣	٪٥,٨	٢	٪٧,١
عدد الأسرة بما فيها النفسية والعصبية	٦٤٤٠	٪١٠٠	٣٧٦٠	٪٥٨,٤	٢٦٨٠	٪٤١,٦
أسرة العناية المركزية بما فيها أجهزة التنفس الصناعي	٤٨١	٪١٣,٩	٣٥٠	٪٧٢,٨	١٣١	٪٢٧,٨
مستشفيات القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية والمستشفيات العسكرية	٥٥	٪١٠٠	٤٠	٪٧٣	١٥	٪٢٧
عدد الأسرة من مجموع الأسرة بفلسطين	٢٩٧٨	٪٤٦,٢	٢١٤١	٪٣٣,٢	٦٣١	٪٩,٨

المصدر: وزارة الصحة الفلسطينية، ٢٠٢٠.

يوضح الجدول رقم (٣) توصيف النظام الصحي في دولة فلسطين حيث بلغ عدد المستشفيات في فلسطين ١٣٥ موزعة على ٥٥ مستشفى حكومي بنسبة ٪٥٩,٣ موزعة بين الضفة الغربية بعدد ٥٢ بنسبة ٪٦٣,٤ وقطاع غزة ٢٨ بنسبة ٪٣٦,٦، بينما بلغ عدد المستشفيات في القطاع الخاص ٣٥ بنسبة ٪٤٠,٧، موزعة بين الضفة الغربية بعدد ٤٠ مستشفى بنسبة ٪٧٣ وقطاع غزة بعدد ١٥ بنسبة ٪٢٧، من بينها مستشفيات عامة ومستشفيات متخصصة ومستشفيات ولادة وتأهيل وعلاج طبيعي، بينما بلغ عدد الأسرة في فلسطين ٦٤٤٠ سريراً من بينها ٣٧٦٠ سريراً بالضفة الغربية بنسبة ٪٥٨,٤، بينما بلغ عدد الأسرة في قطاع غزة ٢٦٨٠ بنسبة ٪٤١,٦ من بينها ٢٩٧٨ سريراً في القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية (وكالة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) بنسبة ٪٤٦,٢، وبلغت عدد الأسرة في العناية المركزية بما فيها أجهزة التنفس الصناعي ٤٨١ سريراً تحتوي على أجهزة تنفس صناعي من بينها ٣٥٠ سريراً في الضفة الغربية بنسبة ٪٧٢,٨ بينما بلغ عدد أسرة العناية المركزة في قطاع غزة ١٣١ سريراً وجهاز تنفس صناعي بنسبة ٪٢٧,٨.

جدول رقم (٤)

توزيع الكادر البشري العامل في وزارة الصحة

الوصف	عدد الأطباء بفلسطين	النسبة	الضفة الغربية	النسبة	قطاع غزة	النسبة
العدد الكلي للأطباء	٣٢٨٠	٪١٠٠	١٧٤٨	٪٥٣,٣	١٥٣٢	٪٤٦,٧
الأطباء العامون	١٩٢٥	٪٥٨,٧	١٠٢٠	٪٥٣	٩٠٠	٪٤٧
الأخصائيون	١١٢٥	٪٣٤,٣	٦٢٥	٪٥٥,٦	٥٠٠	٪٤٤,٤
أطباء الأسنان	٢٣٠	٪٧	٩٨	٪٤٢,٧	١٣٢	٪٥٧,٣
الصيادلة	٤٨٠	٪١٠٠	٢٧٩	٪٥٨,١	٢٠١	٪٤١,٩
التمريض والقبالة	٤٣٦٢	٪١٠٠	٣٠٣٢	٪٦٩,٥	١٣٣٠	٪٣٠,٥
المهن الطبية المساندة	١٩٥٠	٪١٠٠	١٤٦٩	٪٧٥,٣	٤٨١	٪٢٤,٧

المصدر: وزارة الصحة الفلسطينية، ٢٠٢٠.

بلغ عدد الأطباء العاملين في مختلف مراكز ووحدات وزارة الصحة ٣٢٨٠ طبيباً بمعدل ٥,٢ طبيب لكل ١٠٠٠٠ نسمة من سكان فلسطين، بمعدل ٤,٦ طبيب في الضفة الغربية و٦,١ طبيب في قطاع غزة. يتوزعون حسب الاختصاص بواقع ١٩٢٥، أي ٥٨,٧٪ طبيب عام، بمعدل ٣,١ طبيب عام لكل ١٠٠٠٠ نسمة، منهم ١٠٢٠ أي ٥٣٪ يعملون في الضفة الغربية و٩٠٠ بنسبة ٤٧٪ في قطاع غزة، و١١٢٥ بنسبة ٣٤,٣٪ أطباء اختصاصي بمعدل ١,٨ طبيب اختصاصي لكل ١٠,٠٠٠ نسمة، منهم ٦٢٥ يعملون في الضفة الغربية بواقع ٥٥,٦٪ و٥٠٠ في قطاع غزة بواقع ٤٤,٤٪، و٢٣٠ طبيب أسنان بمعدل ٠,٤ طبيب أسنان لكل ١٠,٠٠٠ نسمة منهم ٩٨ أي ٤٢,٧٪ في الضفة الغربية و١٣٢ في قطاع غزة أي ٥٧,٣٪. يعمل في وزارة الصحة ٤٨٠ صيدلانياً بمعدل صيدلاني واحد لكل ١٠,٠٠٠ نسمة، منهم ٢٧٩ صيدلانياً، أي ٥٨,١٪ في الضفة الغربية و٢٠١ صيدلاني أي ٤١,٩٪ في قطاع غزة. بلغ عدد المرضين والقابلات العاملين في وزارة الصحة ٤٣٦٢ ممرضاً وقابلة، منهم ٣٠٣٢ أي ٦٩,٥٪ يعملون بالضفة الغربية، و١٣٣٠ بنسبة ٣٠,٥٪ في قطاع غزة، موزعين حسب الاختصاص ٣٩١١ ممرضاً بمعدل ٨,١ لكل ١٠,٠٠٠ نسمة و٤٥١ قابلة بمعدل ٠,٩ لكل ١٠,٠٠٠ نسمة.

يعمل في وزارة الصحة ١٩٥٠ موظفاً في المهن الطبية المساندة، بمعدل ٤ موظفين لكل ١٠,٠٠٠ نسمة، منهم ١٤٦٩ أي ٧٥,٣٪ في الضفة الغربية، و٤٨١ موظفاً بنسبة ٢٤,٧٪

في قطاع غزة.

آثار جائحة فيروس كورونا على النواحي الاقتصادية والاجتماعية:

يستعرض الباحث في هذا الجزء من الدراسة تأثير الإغـلاق العام على دول العالم ومن بينها فلسطين نتيجة انتشار فيروس كورونا على النواحي الاقتصادية والاجتماعية، حيث يستعرض الباحث في هذا الجزء التطبيقي من الدراسة العديد من التأثيرات ومنها تأثير الجائحة على البطالة والفقر والناتج المحلي الإجمالي والإيرادات والنفقات الحكومية، وهي كما في الجدول أدناه:

يبين الجدول رقم (٥) تأثير جائحة كورونا على الوظائف الرسمية وغير الرسمية، حيث بلغ عدد الوظائف الملغاة في النصف الأول من العام ٢٠٢٠ نحو (١٩٥) بنسبة ٣٧,٥٪ وظيفة رسمية حول العالم من إجمالي عدد الوظائف البالغة ٥٢٠ مليون وظيفة حول العالم، وبلغت حصة الدول العربية نحو ٥ ملايين وظيفة ملغاة بنسبة ٢,٦٪ من إجمالي الوظائف الملغاة حول العالم وبلغ عدد الوظائف المفقودة في فلسطين نحو ١٨,٨٠٠ وظيفة رسمية وغير رسمية بنسبة ٢٪ من إجمالي الوظائف في فلسطين، بينما بلغ عدد الوظائف غير الرسمية الملغاة حول العالم ٤٠٠ مليون وظيفة من أصل ٢ مليار وظيفة بنسبة ٢٠٪ حول العالم تشكل الهند والولايات المتحدة الأميركية والصين والاتحاد الأوروبي النسبة الأكبر.

جدول رقم (٥)

آثار جائحة كورونا على فقدان الوظائف

نوع الوظيفة	الوصف	العدد الإجمالي	عدد الوظائف الملغاة	النسبة
الوظائف الرسمية	عدد الوظائف حول العالم	٥٢٠ مليون	١٩٥ مليون	٣٧,٥ ٪
	إجمالي عدد الوظائف في الدول العربية	١٩٢,٣	٥ مليون وظيفة	٢,٦٪
	إجمالي ساعات العمل الملغاة حول العالم	١,٥٨٩,٨٥٠,٧٤٦,٣ مليار	١٠٦,٥٢٠,٠٠٠	٦,٧٪
فلسطين	إجمالي عدد الوظائف في فلسطين	٩٤٠,٠٠٠	١٨,٨٠٠	٢٪
الوظائف غير الرسمية	إجمالي عدد الوظائف	٢ مليار	٤٠٠ مليون	٢٠٪

المصدر: منظمة العمل الدولية، ٢٠٢٠.

جدول رقم (٦)

الفقر على أساس ١,٩ دولار للفرد يومياً

المنطقة	العدد	النسبة المئوية
أميركا الشمالية	٢٠ مليون	٪٧,٩٤
أوروبا وآسيا الوسطى	٩ مليون	٪٣,٥٧
الشرق الأوسط وشمال إفريقيا	١٦ مليون	٪٦,٣٥
أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي	٢٣ مليون	٪٩,١٣
شرق آسيا والمحيط الهادي	٦٣ مليون	٪٢٥
إفريقيا وجنوب الصحراء	١٩ مليون	٪٧,٥٤
جنوب آسيا	١٠٢ مليون	٪٤٠,٥
المجموع	٢٥٢ مليون	٪١٠٠
الفقر في فلسطين	الضفة الغربية: ٤١٨١٤٠ قطاع غزة: ١٠٥٤٦٨٤ فلسطين: ١٤٧٢٨٢٤	الضفة الغربية ٪١٤ قطاع غزة ٪٥٣ فلسطين: ٪٢٩,٦

المصدر: منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي، ٢٠٢٠.

يبين الجدول رقم (٦) ارتفاع أعداد الفقراء في مختلف قارات العالم، حيث بلغ عدد الفقراء الذين يقل دخلهم اليومي عن ١,٩ دولار يومياً بنسبة زيادة ٧,٩٤٪ ليصل عددهم في أميركا الشمالية إلى نحو ٢٠ مليون فرد، وفي أوروبا وآسيا الوسطى زاد عدد الفقراء بنسبة ٣,٥٧٪ ليصل عددهم إلى ٩ ملايين فرد، أما أميركا اللاتينية والبحر الكاريبي فزادت نسبة الفقر بنحو ٩,١٣٪ ليصل عدد الفقراء إلى ٢٣ مليون فرد، وفي شرق آسيا والمحيط الهادي زاد عدد الفقراء بنسبة ٢٥٪ ليصل عددهم إلى ٦٣ مليون فرد، وفي إفريقيا زادت نسبة الفقراء بنسبة ٧,٥٤٪ وهي أقل نسبة ليصل عدد الفقراء إلى ١٩ مليون فرد، وفي جنوب آسيا زادت نسبة الفقراء بنسبة ٤٠,٥٪ ليصل إجمالي الفقراء إلى ١٠٢ مليون فرد. وتفاوت النسب حسب حجم السكان للدولة أو المنطقة وحسب حجم الاقتصاد وتضرره من جراء الجائحة.

جدول رقم (٧):

وضع الاقتصاد العالمي من حيث نسبة الانكماش والنمو للنصف الأول من العام ٢٠٢٠-٢٠٢١

المنطقة	النسبة المئوية
انكماش الدول المتقدمة	٧٪
انكماش الدول الصاعدة والنامية	٢,٥٪
إجمالي انكماش الاقتصاد العالمي	٥,٢٪
فلسطين	١١٪

وضع الاقتصاد العالمي في العام ٢٠٢١

نمو الدول المتقدمة	٣,٩٪
نمو الدول الصاعدة والنامية	٤,٦٪
إجمالي نمو الاقتصاد العالمي	٤,٢٪
فلسطين	٥,٥٪

المصدر: البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، تقارير وبيانات، ٢٠٢٠.

يتبين من الجدول رقم (٧) أن نسبة الانكماش على مستوى العالم للعام ٢٠٢٠ بلغ ٥,٢٪، حيث بلغت نسبة الانكماش في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي وأستراليا واليابان والصين نحو ٧٪، في حين بلغت نسبة الانكماش في الدول الناشئة والنامية ما يعادل ٢,٥٪، أما في فلسطين فقد بلغت نسبة الانكماش نحو ١١٪ ويعود ذلك إلى الإغلاق الذي فرضته الحكومة على المدن إضافة إلى عوائق الاحتلال ضد الاقتصاد الفلسطيني وفرض هيمنته على الحدود وحرمانه من حرية التواصل مع العالم الخارجي وإخضاع الاقتصاد الفلسطيني للاقتصاد الإسرائيلي، ناهيك عن احتجاز أمـوال المقاصة التي من المفترض تحويلها لخزينة الحكومة الفلسطينية وفق برتوكول باريس الاقتصادي. أما فيما يتعلق بالنمو في الاقتصاد للعام ٢٠٢١ فمن المتوقع أن ينمو حجم الاقتصاد العالمي للعام القادم بنسبة ٤,٢٪ وفق تقديرات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وذلك في حالة إذا ما انتهت أزمة جائحة فيروس كورونا وتم فتح الاقتصاد العالمي، حيث من المتوقع أن ينمو الاقتصاد في الدول المتقدمة بنسبة ٣,٩٪ التي تشمل الولايات المتحدة الأميركية ودول الاتحاد الأوروبي وأستراليا

واليابان والصين، أما نسبة النمو في الدول الصاعدة والنامية فمن المتوقع أن تبلغ نسبة ٤,٦٪، بينما من المتوقع أن تحقق فلسطين نسبة نمو ٥,٥٪ وهي أعلى من نسب الدول المتقدمة والصاعدة، ويعود ذلك لصغر حجم الاقتصاد الفلسطيني، وهذه النسبة مرهونة بالحالة السياسية والأمنية وسلوك الاحتلال.

يوضح الجدول رقم (٨) تراجع الإيرادات الضريبية المتحصلة لخزينة الحكومة الفلسطينية حيث بلغ حجم الإيرادات الضريبية في الشهر الأول من العام ٢٠٢٠، ١٢٢٤,٥ مليون شيكل لتعاود الانخفاض بشهر شباط إلى ١١٥٩,٧ بنحو ٦٤,٨ مليون شيكل بنسبة ٥,٣٪، في شهر آذار من العام نفسه انخفضت المتحصلات الضريبية إلى ١٠٠٦,٢ مليون شيكل بمقدار ١٥٣,٥ مليون شيكل وتشكل نسبة الانخفاض هذه ١٣,٢٤٪ مقارنة مع الشهر السابق، ويعود ذلك إلى الإغلاق العام الذي فرض على الأراضي الفلسطينية لمنع تفشي وباء فيروس كورونا، ليعود إلى الارتفاع في شهر نيسان إلى ١٢٦٥,٣ مليون دولار بمقدار ٢٥٩,١ مليون دولار، أي ما نسبته ٢٥,٧٥٪ ويعود ذلك إلى تخفيف الحكومة بعض الإجراءات المفروضة على الاقتصاد وحرية الحركة لبعض التجار وفق إجراءات السلامة، أما فيما يتعلق بشهر أيار وحزيران ومع خروج دولة الاحتلال بخطة الضم ومصادرة الأراضي وقطع العلاقة والتنسيق الأمني مع دولة الاحتلال وردها على قرارات القيادة الفلسطينية بقطع التنسيق المدني، ورفض الحكومة الفلسطينية استلام أموال المقاصة على الرغم من رفع حالة الإغلاق العام في الأراضي الفلسطينية في شهر أيار لتنخفض المتحصلات الضريبية من ١٢٦٥,٣ شيكل إلى ١٩٤,٣ شيكل بمقدار ١٠٧١ مليون شيكل حيث لتبلغ نسبة التراجع عن الشهر السابق ٨٤,٦٪، أما في شهر حزيران من العام ٢٠٢٠ فقد بلغت المتحصلات الضريبية ٢٦٥,٨ مليون شيكل متراجعة بمقدار ٥٨٣,٢ مليون شيكل بنسبة ٦٨,٧٪ مقارنة مع الشهر السابق، و٤٦,١٦٪ مقارنة مع شهر كانون الأول من العام ٢٠٢٠.

جدول رقم (٨)

يوضح الإيرادات الضريبية والنفقات الحكومية للنصف الأول من العام ٢٠٢٠

	كانون ثاني	شباط	آذار	نيسان	أيار	حزيران	المجموع
الإيرادات الضريبية	١٢٢٤,٥	١١٥٩,٧	١٠٠٦,٢	١٢٦٥,٣	١٩٤,٣	٢٦٥,٨	٥٢٦٤,٦
النفقات الحكومية وصافي الإقراض	٧٨٣,٥	١٠٨٥,٧	١٠٢٨,٥	١١٤٢	٢٨٧,٤	٩٦٣,١	٦٨٤٠,٩

المصدر: وزارة المالية، الموازنة العامة الشهرية، ٢٠٢٠.

بلغت المتحصلات الضريبية في النصف الأول من العام ٢٠١٩ نحو ٦,٥٣٢,٤ مليون شيكل بينما بلغت المتحصلات الضريبية في النصف الأول من العام ٢٠٢٠ نحو ٥٢٤٦,٦ مليون شيكل، حيث انخفضت المتحصلات الضريبية بمقدار ١٢٨٥,٨ مليون شيكل بنسبة ٢٠,٤٪ على الرغم من تشابه الظروف بين النصف الأول من العام ٢٠١٩ والعام ٢٠٢٠ حيث تأثرت المتحصلات الضريبية من العام ٢٠١٩ بأزمة احتجاز الاحتلال أموال الضريبية وخلال النصف الأول من العام ٢٠٢٠ حيث تراجعت المتحصلات الضريبية للعام ٢٠٢٠ بسبب أموال المقاصة وكذلك بسبب أزمة وباء كورونا والإغلاق الذي فرض وأعيد فرضه على الأراضي الفلسطينية.

أما فيما يتعلق بالنفقات الحكومية، فقد تأثرت النفقات الحكومية خاصة في الأشهر الثلاثة الماضية حيث تراجعت النفقات الحكومية بشكل لافت وكبير حيث وصلت في شهر أيار إلى ١٢٢٣,٩ مليون شيكل وفي شهر حزيران إلى ٩٦٣,١ مليون شيكل إذا ما قورنت مع شهر أيار وبنسبة ٢٥,٦٪ حيث اعتمدت الحكومة الفلسطينية سياسة التقشف وتوجيه أغلب النفقات الحكومية نحو القطاع الصحي وجزء منها إلى رواتب الموظفين العموميين، وبعض النفقات للإعانات الحكومية للأفراد والعائلات المتضررة من تأثير جائحة كورونا. وفي النصف الأول من العام ٢٠١٩ بلغت النفقات الحكومية ٧٢٦٠,٧ مليون شيكل، بينما بلغ حجم النفقات الحكومية في النصف الأول من العام ٢٠٢٠ نحو ٦٨٤٠,٩ مليون شيكل بتراجع مقداره ٤٢٠ مليون شيكل بنسبة ٥,٨٪ وعملت الحكومة على سد النفقات الحكومية من خلال المساعدات الدولية والاقتراض الداخلي والخارجي.

جدول رقم (٩)

الناتج المحلي الإجمالي والقطاعات الاقتصادية والمصرفية والمالية

	السيناريو الأساس		السينار يو الأول فترة الإغلاق ٦ شهور			السيناريو الثاني فترة الإغلاق ١٠ شهور		
	القيمة (مليون دولار)	نسبة مئوية	القيمة (مليون دولار)	نسبة مئوية	قيمة الخسائر	القيمة (مليون دولار)	نسبة مئوية	قيمة الخسائر
الناتج المحلي الإجمالي	١٦,١٢٠,٧	٢,٤	١٤,٩٤٨,٩	-٥,٢	١,١٧١,٨	١٤,٤٢٠,٥	-٨,٥	١٧٠٠,٢

على مستوى الإنتاج (القيمة المضافة للأنشطة الاقتصادية)								
القطاع الزراعي			١,١٠٣	١,١		١,٠٩٢,٧	٠,١	
القطاع الصناعي			١,٩٧١,٩	٤-		١,٩١٥,٨	٦,٧-	
قطاع الإنشاءات			٨٤٩,٥	٥,٤-		٨١٣,١	٩,٥-	
قطاع التجارة			٣,٢٧٢,٥	٣-		٣,٢٣١,١	٤,٢-	
أخرى			٧,٧٥٢	٧,٢-		٧,٣٦٧,٧	١١,٨-	
على مستوى الإنفاق على الناتج المحلي								
الاستهلاك الخاص	١٤,٤٤٥,٩	٢,٢	١٣,٢٧٧,٥	٦,١-		١٢,٧٢٨,٤	١٠-	
الاستهلاك العام	٣,١٨٧,١	٢,٣	٣,٢٠٣,٧	٦,١-		٣,٢١٦,٣	٣,٢	
الاستثمار	٤,٢٩٥,٣	٢,٣	٣,٧٢٥,٤	١١,٣-		٣,٣٠٦,٥	٢١,٢-	
الصادرات	٢,٦٨١,٥	٢,٢	٢,٢٢٨	١٥,١-		١,٩٥٦,٢	٢٥,٤-	
الواردات	٨,٤٨٩,١	٢,٢	٧,٤٨٥,٧	١٠,٥-		٦,٧٨٦,٩	١٨,٩-	
القطاع المصرفي								
الودائع	١٤,١٠٥,٥	٥,٤	١٣,١٠٧,٦	٢,١-		١٢,٦٢٨,١	٥,٧-	
القروض	٩,٩٠٥,٣	٩,٦	٨,٧٧٧,٣	٢,٩-		٨,٢١٦,٦	٩,١-	

* تشمل قطاعات الإنتاج الخدمي والإدارة العامة والدفاع والضرائب على الواردات

* بورصة فلسطين تم وقف التداول بها خلال فترة الطوارئ

المصدر: البنك الدولي وسلطة النقد الفلسطينية، ٢٠٢٠

يتضح من الجدول رقم (٩) النتائج على مستويين: المستوى الربعي، والمستوى السنوي كما يلي:

فعلى المستوى **الربع سنوي**، من المتوقع وفقاً للسيناريو الأول أن يتراجع النمو الاقتصادي بنحو ٥,١٪ خلال الربع الأول من العام ٢٠٢٠ مقارنة مع الفترة نفسها من العام ٢٠١٩، خاصة أن هذه الجائحة قد ظهرت في الشهر الأخير فقط من هذه الربع. ومع تزايد حدة الإجراءات والتدابير التي تم اتخاذها خلال الربع الثاني من العام ٢٠٢٠ من الحكومة الفلسطينية والإسرائيلية على حد سواء، خاصة ما يتعلق بالعمال الفلسطينيين في إسرائيل. يتوقع تراجع النمو الاقتصادي بنحو ١٨,٨٪ خلال الربع الثاني ٢٠٢٠ مقارنة مع الفترة نفسها من العام السابق. وما يرافق ذلك من

تزايد في حجم الإنفاق الحكومي وتفاقم العجز في ظل تراجع الإيرادات، وارتفاع ملحوظ في معدلات البطالة جراء انخفاض عدد العمال الفلسطينيين في إسرائيل، ومع أثر محدود على معدلات التضخم نتيجة تراجع الطلب.

أما على **المستوى السنوي**، فيتوقع أن يتراجع النمو الاقتصادي بنحو ٥,٢٪ خلال العام ٢٠٢٠. وهذه النسبة تقل بنحو ٧,٦ نقطة مئوية عن النسبة التي كان من المفترض أن ينمو بها الاقتصاد وفق التنبؤات السابقة والبالغة ٢,٤٪. وأن تبلغ قيمة الخسارة المتوقعة في الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي نحو ١,٢ مليار دولار، تعادل نحو ٧,٢٪من قيمة الناتج المحلي (لينخفض إلى نحو ٢٤,٩٤٩ مليون دولار)، متأثراً بتراجع الاستهلاك الخاص والاستثمار بنحو ٦,١٪ و ١١,٣٪ على التوالي، إلى جانب تراجع الصادرات بنحو ٢٥٪، والواردات بنحو ١٩٪.

أما على صعيد الأنشطة الاقتصادية، فيتوقع أن يشمل التراجع معظم الأنشطة الاقتصادية، كالصناعة بنحو ٤٪، والإنشاءات بنحو ٥,٤٪، والتجارة بنسبة ٣٪، وبقية القطاعات الأخرى في حدود ٧,٢٪. كما يتوقع أن تمتد آثار هذا السيناريو لتطال القطاع المصرفي، إذ يتوقع أن يطرأ تراجع في الائتمان الممنوح بنحو ٢,٩٪، مقابل تراجع أقل حدة في حجم الودائع بنحو ٢,١٪، وذلك جراء توقف مصادر دخل العديد من المواطنين بشكل كلي أو جزئي، إلى جانب حالة الخوف من احتمالية إغلاق المصارف كما حدث في بعض الدول المجاورة. مع أن تعليمات سلطة النقد واضحة بهذا الخصوص (تعمل المصارف وفق حالة الطوارئ).

أما بالنسبة للسيناريو الثاني، الذي يعتبر أكثر تشدداً، فيتوقع استمرار الأزمة والإجراءات المتعلقة بها ستة أشهر (من آذار حتى آب). وفي ظل هذا السيناريو من المتوقع تراجع النمو الاقتصادي خلال الربع الثالث بنحو ١٣,٥٪ مقارنة مع الفترة نفسها من العام السابق. مقابل تراجع سنوي بنحو ٨,٥٪. وهذه النسبة تقل بنحو ١٠,٧ نقطة مئوية عن النسبة التي كان من المفترض أن ينمو بها الاقتصاد وفق التنبؤات السابقة والبالغة ٢,٤٪. وأن تبلغ قيمة الخسارة المتوقعة في الناتج المحلي نحو ١,٧ مليار دولار، تعادل نحو ١٠,٥٪ من قيمة الناتج المحلي (لينخفض الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي إلى نحو ١٤,٤٢١ مليون دولار)، على إثر تراجع الاستهلاك الخاص بنحو ١٠٪، والاستثمار بأكثر من ٢٠٪، إلى جانب تراجع الصادرات بنحو ٢٥٪ والواردات بنحو ١٩٪. كما يتوقع أن يكون لهذا السيناريو تأثير كبير

على معدلات البطالة نتيجة الإجراءات المتخذة بحق العمالة الفلسطينية في إسرائيل.

أما على صعيد الأنشطة الاقتصادية، فيتوقع أن يستمر التراجع في معظمها، حيث يتوقع تراجع قطاع الصناعة بنحو ٦,٧٪، والإنشاءات بنحو ٩,٥٪، والتجارة بنسبة ٤,٢٪، وبقية القطاعات الأخرى في حدود ١١,٨٪.

وعلى مستوى القطاع المصرفي، يتوقع أن يتراجع الائتمان الممنوح بنحو ٩,١٪، مقابل تراجع أقل حدة في حجم الودائع بنحو ٥,٧٪.

نتائج الدراسة

يستعرض الباحث النتائج التي تم التوصل إليها بما يلي:

١. توصلت الدراسة إلى أن الإغلاق العام الذي بدأ في ٢٠٢٠/٣/٥ حتى بداية شهر أيار كانت أعداد الإصابات خلاله قليلة وكانت أعلى إصابة خلال هذه الفترة ٥٠ إصابة ناتجة عن العمال في الداخل ومخالطيهم وسرعان ما تم التغلب عليها، واستمر تسجيل الأعداد القليلة حتى منتصف شهر حزيران، سرعان ما انتقل تسجيل أعداد الإصابات بشكل مرتفع ليصل إلى المئات خاصة في مدينة الخليل وبعدها امتدت إلى نابلس وبيت لحم ورام الله، وحتى وقت إعداد الدراسة بدأت الإصابات بالوصول إلى المخيمات الفلسطينية المكتظة ما يؤشر على خطر تفشي الوباء وإمكانية عدم السيطرة عليه.

٢. تم التنبؤ بأعداد الإصابات في فلسطين للعشرين أسبوعا المقبلة بناءً على معادلة التزام ثلثي الشعب بالبروتوكول الصحي من تباعد اجتماعي وارتداء الكمامات والقفازات واحتمالية إصابة ٥٪ من أعداد غير الملتزمين بالبروتوكول الصحي بفلسطين حيث من المتوقع أن تصل أعداد الإصابات إذا لم يتم الالتزام بمعايير السلامة إلى ٣١٠٨٠ مواطناً إضافة إلى ٧٧٣٩ مواطن أصيبوا فعلاً بالفيروس، وهذا يعني انهيار النظام الصحي بفلسطين إذا ما وصلت هذه الأعداد فعلاً إلى هذا الرقم الذي تم التنبؤ به ولم يتم اتباع وسائل السلامة العامة والبروتوكول الصحي.

٣. توصلت الدراسة إلى ضعف النظام الصحي الفلسطيني من حيث الإمكانيات وعدم توفر الأجهزة والكادر الصحي الكافي حيث إن كل ١٠,٠٠٠ مواطن في الأراضي الفلسطينية يخصص لهم ٥,٢ طبيب لكل ١٠٠٠٠، بمعدل ٤,٦ طبيب في الضفة الغربية و٦,١ طبيب في قطاع غزة، وبمعدل ١,٨ طبيب مختص، وتوفر ٦٤٤٠

سريراً موزعة على المستشفيات الحكومية والخاصة منها ٤٨١ سريراً في العناية المركزية مزودة بأجهزة تنفس اصطناعي ٣٥٠ جهازاً في الضفة و١٣١ جهازاً في قطاع غزة، ويوجد مختبران مركزيان أحدهما في رام الله والآخر في غزة، في ظل الظروف الحالية تم تجهيز المحافظات بأجهزة لإجراء فحوص فيروس كورونا.

٤. توصلت الدراسة إلى ارتفاع العائلات الفقيرة إلى ١٨,٨٠٠ عائلة يقل دخلها اليومي عن ١,٩ دولار باليوم وارتفاع نسبة البطالة في فلسطين إلى ٢٩,٦٪ منها ٥٣٪ في غزة، ووفقاً لتقديرات البنك الدولي من المتوقع أن ينكمش الاقتصاد الفلسطيني ما بين ٥-١١٪، ومن انخفاض حجم الإيرادات الضريبية خلال النصف الأول من العام ٢٠٢٠ بمقدار ١٥٣٢,٤ بنسبة ٢٣,٥٪.

٥. كما توصلت الدراسة إلى تحقيق معظم القطاعات الاقتصادية خسائر، حيث من المتوقع تراجع القطاع الصناعي بنسبة -٤٪ وقطاع الإنشاءات بنسبة -٥,٤٪ وقطاع التجارة بنسبة -٣٪ وتراجع باقي القطاعات بنسبة -٧,٢٪ مع ارتفاع في قطاع الزراعة بنسبة -١,١٪، وهذا يعمل على تراجع الناتج المحلي الإجمالي بين (-٥,٢٪ - -٨,٥٪) مما يؤدي إلى تراجع الإنفاق على الناتج المحلي الإجمالي، حيث تراجع الإنفاق على الاستهلاك الخاص بنسبة -٦,١٪ والإنفاق على الاستثمار بنسبة -١١,٣٪ وتراجع الإنفاق على الصادرات والواردات بنسبة -١٥,١٪ و -١٠,٥٪ وزاد الإنفاق العام بنسبة ٢,٨ معظمه تم توجيهه نحو القطاع الصحي ودعم احتياجات الأسر الفقيرة

التوصيات

يوصي الباحث متخذي القرارات بما يلي:

١. العمل على تفعيل نظام العقوبات والوعي المجتمعي فيما يتعلق بالالتزام بوسائل الوقاية من ارتداء الكمامات والقفازات والعمل على إجبار المواطنين على التباعد الاجتماعي في الأماكن العامة من خلال التوعية وتحرير المخالفات لغير الملتزمين، وبالأخص كبار السن والمرضى الذين يعانون من الأمراض المزمنة.

٢. ضرورة العمل على تطوير القطاع الصحي الفلسطيني من خلال دعم القطاع من مختلف النواحي المادية والبشرية وتأهيل الكادر الطبي والاستعانة بالأطباء من الخارج حتى وإن كان ذلك من خلال وسائل

الاتصال الحديثة والتكنولوجيا حيث يوجد أطباء فلسطينيون خارج الوطن في دول أوروبا وأميركا وفي مختلف دول العالم ويمكن لوزارة الصحة الاستعانة بهم لتقديم الخدمات الطبية لمساعدة الأطباء في فلسطين نتيجة الضغط الكبير عليهم، كما نوصي بضرورة الإسراع بتوفير الأجهزة والمعدات اللازمة لمواجهة الجائحة، وزيادة عدد الأطباء العامين والمتخصصين لكل مواطن بفلسطين.

٣. العمل على تنشيط الاقتصاد من خلال فتح الأنشطة الاقتصادية في قطاع الإنشاءات والبناء والمصانع لأغراض التصدير والقطاع التجاري، والزراعي والتأمين والاستثمار في البيع بالتجزئة والمشاريع الصغيرة والمتوسطة مع تفعيل دور خدمة التوصيل والبريد والعمل من المنزل الذي أصبح ضرورة ملحة للعمل مع مراعاة التباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات والقفازات.

٤. العمل على إعادة الإغلاق العام إذا ما اقتضت الضرورة ذلك مع ضرورة توفير الدعم المادي للأسر الفقيرة لغرض مواجهة حالات الفقر وفقدان العمل.

المراجع:

المراجع العربية:

- هاني عبد اللطيف، آثار كورونا الاقتصادية: خسائر فادحة ومكاسب ضئيلة ومؤقتة، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/3/24، https://:net.aljazeera.studies/ar/4613/article.
- محمد الشرقاوي، التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيوليبرالية – الجزء 1)، مركز الجزيرة للدراسات، 2020/3/23، https://:net.aljazeera.studies/ar/article/4611.
- مركز الجزيرة للدراسات، ما بعد وباء كوفيد 19: أي عالم يمكن توقعه، 2020/4/13، https://:aljazeera.studies/ar/net/4644
- مركز الجزيرة للدراسات، ما بعد كوفيد 19: أي عالم يمكن توقعه، 2020/4/13، https://:aljazeera.studies/ar/net/4644/article .
- أيمن نور عمر، «كورونا وأزمات الاقتصادات الدولية»، مجلة المستقبل العربي، العدد 499، أيلول، بيروت-لبنان، 2020.
- أشرف سمارة، الخسائر والخاسرون جراء أزمة كورونا في الأراضي الفلسطينية، ورقة بحثية صادرة عن مرصد السياسات الاجتماعية والاقتصادية (المرصد)، حزيران، 2020.
- جبريل محمد، «تأثيرات جائحة كورونا على النساء في الفترة الواقعة بين 6 أيار و4 حزيران 2020"، ورقة بحثية صادرة من المكتب التنفيذي لاتحاد لجان المرأة الفلسطينية، رام الله – فلسطين، 2020.

المراجع الأجنبية:

[1]. Alber, N. (2020). The Effect of Coronavirus Spread on Stock Markets: The Case of the Worst 6 Countries. Available at SSRN 3578080.

[2]. Baker, S. R., Bloom, N., Davis, S. J., Kost, K. J., Sammon, M. C., & Viratyosin, T. (2020). The unprecedented stock market impact of COVID-19 (No. w26945). National Bureau of Economic Research.

[3]. Baker, S., Bloom, N., Davis, S. J., Kost, K., Sammon, M., & Viratyosin, T. (2020). The unprecedented stock market reaction to COVID-19. Covid Economics: Vetted and Real-Time Papers, 1(3).

[4]. Elsayed, A., & Elrhim, M. A. (2020). The Effect Of COVID-19 Spread On Egyptian Stock Market Sectors. Available at SSRN 3608734.

[5]. Gormsen, N. J& ,.Koijen, R. S. (2020). Coronavirus: Impact on stock prices and growth expectations .University of Chicago, Becker Friedman Institute for Economics Working Paper.)222020-(

[6]. Sansa, N. A. (2020). The Impact of the COVID-19 on the Financial Markets: Evidence from China and USA. Electronic Research Journal of Social Sciences and Humanities, 2.

[7]. Wang, C., Li, W ,.Drabek, D., Okba, N. M., van Haperen, R., Osterhaus, A. D&.Bosch, B. J. (2020). A human monoclonal antibody blocking SARS-CoV-2infection .Nature Communications 11(1), 16-.

[8]. Zhang, D., Hu, M., & Ji, Q. (2020). Financial markets under the global pandemic of COVID-19. Finance Research Letters, 101528.

الهوامش:

1 https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51675634
2 https://www.who.int/ar
3 https://www.albankaldawli.org/
4 https://www.imf.org/external/arabic/index.htm
5 https://www.amf.org.ae/ar

مواقع الإنترنت:

- https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech-51675634
- https://www.who.int/ar
- https://www.albankaldawli.org/
- https://www.imf.org/external/arabic/index.htm
- https://www.amf.org.ae/ar

جائحة كورونا: الأداء الفلسطيني في مشهد عالمي متقلب

عبد الغني سلامة*

مدخل

ظهر فيروس كورونا في إقليم ووهان وسط الصين لأول مرة في كانون الأول من العام ٢٠١٩، ومنذ ذلك الوقت بدأ ينتشر بشكل سريع، حتى أعلنته منظمة الصحة العالمية جائحة عالمية، وما زالت أرقام ضحاياه تزداد باطّراد، وحتى بداية أيلول ٢٠٢٠ بلغ عدد الإصابات حول العالم نحو ٢٥ مليون إصابة، توفي منهم نحو مليون شخص، فيما شُفي نحو ١٧ مليون مصاب.[١]

ينتمي هذا الفيروس إلى عائلة معروفة بتأثيرها على الإنسان والحيوان تسمى «كورونا فيريدي»، اكتشفت أول مرة عام ١٩٦٠، وتضم هذه العائلة فيروس SARS، الذي ظهر في الصين أيضاً سنة ٢٠٠٢، وأصاب أكثر من ٨ آلاف شخص، توفي منهم نحو ٩٠٠ (بنسبة وفاة ١٠٪) وفيروس MERS، الذي ظهر في السعودية سنة ٢٠١٢، وأصاب أكثر من ٧٠٠ شخص، توفي منهم أكثر من ٣٠٠ (بنسبة وفاة تقدر بنحو ٥٠٪).[٢]

سمي هذا الفيروس «كوفيد ١٩»، أو «كورونا المستجدة»، ويسبب حمى والتهاباً بالجهاز التنفسي، وقد يؤدي إلى الوفاة، ولحد الآن لا يوجد له علاج، ولا لقاح، ولكن من يتمتعون بصحة جيدة، ومناعة قوية يتعافون منه. ينتقل الفيروس من شخص لآخر أثناء فترة حضانته (١- ١٤ يوماً)، أي قبل ظهور أعراض

* باحث، وكاتب رأي.

المرض؛ مما يجعل احتواءه أكثر صعوبة، مقارنة بفيروس سارس، أو فيروس إيبولا، حيث إن المصابين بهما ينقلون المرض بعد ظهور أعراضه، لذا فمن السهل الحد منهما من خلال تحديد المصابين وعزلهم ومراقبة كل من خالطهم. ومع ذلك، يمكن للإجراءات الوقائية أن توقف انتقال عدوى كورونا بنسبة ٦٠٪، وبالتالي يمكن حصر الوباء، أو عرقلة انتشاره، ولكن هذا يحتاج وقتاً طويلاً.

كورونا، حالة إرباك عامة

حتى اللحظة، لا أحد يعلم مصدر الوباء على وجه الدقة، ولا سببه الحقيقي؛ البعض يقول إنّ أميركا اختلقت الفيروس، لضرب اقتصاد الصين! علماً أن الصين لم تتهم أي طرف.. والبعض يقول إنّ الفيروس تسلل بالخطأ من إحدى المختبرات الصينية! وآخرون يزعمون أن الصين تعمدت اختلاق الأزمة لأهداف اقتصادية، منها شراء أصول الشركات الأجنبية العاملة في الصين بأسعار زهيدة! أو أن الصين حاولت قدر المستطاع تحويل أزمتها إلى فرصة، لتعويض جزء من خسائرها.

وتلك المزاعم تحتاج إلى أدلة وبراهين ومعلومات مؤكدة، والتمييز بين السبب والنتيجة.

بعيداً عن نظرية المؤامرة، وادعاءات التخليق الاصطناعي للفيروس، لا شك في أن الفيروس موجود حقيقة، وهناك جهات دولية ومنظمات عديدة استفادت من الضخ الإعلامي، وضخمته، بعضها لأسباب تتعلق بالحروب التجارية، وتعميق عزلة الصين، وبعضها لدراسة سلوك البشر في الأزمات والمحن، لمعرفة كيفية التحكم بهم، وتوجيههم في لحظات معينة.. وبعضها لخلق حالة رعب جماعي والاستفادة منها في تسويق منتجات أو تمرير سياسات.

ومنذ انتشار كورونا، يخرج علينا كل يوم تقريباً «عالِم»، أو «رجل دين»، أو «إعلامي».. ويقولون أشياء كثيرة عن كورونا، ويطرحون ما يحلو لهم من نظريات.. عن طرق الوقاية، أو عن علاج معين، أو قرب التوصل لإنتاج اللقاح، أو عن أصل الفيروس، وكيف نشأ.. وأغلب تلك النظريات متناقضة أو مربكة ومحيرة.. والسبب وراء حالة الإرباك هذه أن الفيروس مستجد، ومتغير، ومتطور، وما زال المجتمع العلمي يجهل عنه الكثير، وما زال بصدد دراسته وتحليله، وسنحتاج وقتاً طويلاً قبل فهمه بشكل كامل.

لحسن الحظ، فإن المجتمع العلمي يمتلك مؤسسات ومراكز علمية مرموقة، مؤسسات لا تبحث عن الشهرة والربح، ولا تسمح بنشر إلا ما تتأكد من صحته، وهذه المؤسسات تغطي جميع المجالات العلمية (طب، فلك، فيزياء..).. في مجال الأوبئة والأمراض، لدينا منظمة الصحة

العالمية، وفي كل دولة وزارة صحة.. لا بأس من الاطلاع على ما يُنشر، ولكن لا تثق إلا بالمنظمات والمراكز العلمية المعتمدة والرسمية.

ومع ذلك، يجب ألا نقلل من شأن الوباء، أو نتجاهله، أو نتعامل معه كأمر عرضي، أو وباء سينتهي حتماً، ولو بعد حين.

التداعيات الاقتصادية للجائحة

وبالإضافة لمخاطره الصحية، فإن الوباء تسبب بخسائر اقتصادية هائلة، ليس في الدول التي تعتمد على السياحة فحسب، وإنما أيضاً في جميع اقتصاديات العالم. وهذه الخسائر مرشحة للزيادة إذا لم يتمكن العالم من وضع حد لانتشاره عبر لقاح معين، أو إيجاد علاج له.

من المؤكد أن الصين تلقت ضربةً قويةً، ستعيق نموها الاقتصادي، ربما لسنوات عديدة، ومع أنها لم تصرح بحجم خسائرها، فإنها قد تبلغ عشرات المليارات.. ووفقاً لبيانات رسمية سُجل **انكماش اقتصادي بنسبة ٦,٨٪ خلال أول ثلاثة أشهر من الجائحة، مقارنة بالفترة نفسها قبل عام، وهو أول انكماش منذ العام ١٩٩٢.** [٣]

ستؤثر هذه الخسائر سلباً على اقتصاديات العالم كله تقريباً، حيث إن الصين الدولة الأولى عالمياً في التصدير، وهي أكبر شريك تجاري لمعظم دول العالم، ومنتجاتها تفيد بشكل خاص الطبقات الفقيرة، وقد استغلت الشركات الرأسمالية (الأميركية بالذات) عزلة الصين، وطرحت منتجاتها في الأسواق بأسعار مرتفعة، قبل أن تستعيد الصين عافيتها من جديد.. وكان المتضرر الأكبر من ذلك هم فقراء العالم، فضلاً عن إلغاء ملايين العقود التي أبرمها تجار ومستثمرون بين مختلف الدول والشركات قبل الأزمة ثم عطلتها الإغلاقات.

لا تتوقف المشكلة الاقتصادية عند الصين، فالولايات المتحدة تضررت بدرجة كبيرة جداً، وكذلك الاتحاد الأوروبي، والدول الصناعية، ودول العالم كافة، ومن المبكر تقدير حجم الخسائر بدقة، لكنها ستبلغ أرقاماً فلكية غير مسبوقة، وسيدخل العالم مرحلة ركود اقتصادي، وتباطؤ في النمو، وغلاء أسعار، وزيادة في معدلات البطالة، وزيادة في نسب الفقر.

التداعيات الاجتماعية للجائحة

مُشاهدة صور تداعيات محنة كورونا تفطر القلب، وتبعث فيه الأسى والأحزان.. في بدايات الأزمة، ومع فرض التباعد الاجتماعي وتقييد الحركة بدت أهم العواصم وكأنها مدن أشباح، الشوارع خالية من المارة، المسارح بلا جمهور، المقاهي بلا زبائن، المساجد والكنائس ودور العبادة بلا مصلين، حتى الكعبة الشريفة والفاتيكان خلتا من حجاجهما.. كل دولة أغلقت حدودها، وأقفلت مطاراتها، وانزوت على

نفسها.. التغيرات التي أصابت سلوك الناس تثير القلق: لم يعد أحد يصافح أحداً، صار كل شخص مشتبهاً به، وإذا اضطررت لمقابلة صديق ترشه بالمطهرات، أو تعقم يديك خشية العدوى.. هذا ضروري وصحي، لكن النفس تخشى التقلبات الكبيرة في أنماط الحياة.

تعمق عند كثير من الناس شعورهم بالخوف، وخشيتهم من انهيار عوالمهم الخاصة التي بنوها على مدار عقود طويلة، واعتادوا عليها.. بحلوها ومرها.. تعمق خوفهم من الإصابة بالوباء، أو فقدان أحبتهم.. وهذا كله قلق إنساني مشروع.. فضلاً عما يسببه ذلك من تغيير في العادات الاجتماعية، كالامتناع عن المشاركة في الأعـراس، أو بيوت العزاء، وكذلك توقف الأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية، وغيرها..

حتى بعد أن تراجعت معظم دول العالم عن إجراءات التباعد الاجتماعي، أو خففت قبضتها وتشددها في ذلك، وبدأ الناس يعتادون الوباء ويتقبلون وجـوده.. مع ذلك، لم يعد شكل الحياة الاجتماعية كما كان قبل الجائحة، وكل شيء تغير تقريباً، وبعض الأمور لن تعود كما كانت سابقاً نهائياً.

هناك تخوفات من استغلال الشركات الدوائية الكبرى حالة الرعب العالمي، لتسويق لقاحات وأدوية ومطهرات ومعدات مرتبطة بالوباء، لن تكون متوافرة سوى للأغنياء، ليترك الفقراء في مواجهة مصيرهم.

هناك، أيضاً، قلق من استغلال الحكومات حالة الرعب التي تجتاح المجتمعات، فهذه هي الحالة النموذجية التي تحتاجها الأنظمة الشمولية بالذات لتسويق سياساتها، وفرضها على شعوبها، حيث إن حالة الرعب تسهّل على الأنظمة تمرير برامجها، وفرض الأحكام العرفية لقمع معارضيها.

وهناك قلق كبير من ازدياد معدلات البطالة، وتسريح عمال وموظفين، ومن إفلاس شركات، وتراجع القدرة الشرائية، وركود الأسواق، ومن تداعيات الأزمة الاقتصادية التي تنعكس مباشرة على الوضع الاجتماعي، وتنذر بحدوث اضطرابات وقلاقل أمنية واحتجاجات عمالية وثورات جياع.

الوجه الآخر للجائحة

كما للحقيقة وجهان، لكل مصيبة فوائدها..

مع إعلان الطوارئ في أغلب دول العالم، وفرض حظر التجول، وشل مرافق الحياة.. وغيرها من الإجراءات التي فُرضت في الأشهر الأولى من الجائحة، تشكلت فرصة نادرة للأرض لتأخذ استراحة قصيرة.. وللطبيعة أن تستعيد توازنها، وللنظام البيئي أن يعيد ترتيب نفسه من جديد.. لتستحم الشوارع بالأمطار، ثم تتنشف بدفء الشمس.. وللطيور أن تهنأ

بسماء بلا طائرات، وللحيوانات المعرضة للانقراض أن تتكاثر بهدوء في البراري النظيفة، وللأسماك أن تسبح حرة في بحار دون بارجات ولا غواصات، وللأشجار أن تنقّي أجواءنا من ملوثات المصانع، وعوادم السيارات.

ما أصاب كوكبنا من ضُر، وما عاشه العالم من ذعر ورعـب، فرصة لنا جميعاً لنعيد التفكير بماهيتنا، ولندرك حجمنا الحقيقي في نظام الكون، لنتواضع قليلاً، وقد عرفنا أن فيروساً بالغ الصغر، أصابنا في مقتل، وكشف ضعفنا، وهشاشة حضارتنا.. فكل جيوش العالم وطائراته وصواريخه تقف عاجزة أمام هذا الفيروس اللعين.. فنعي أن كل ما حققه الإنسان من منجزات، وما بناه، وما سيبنيه.. تؤكد أننا ما زلنا ضعافاً أمام جبروت الطبيعة وظواهرها، على الرغم من أننا حيدنا بعضها، وسخّرنا بعضها الآخر لصالحنا، لكن الطريق ما زال أمامنا طويلاً وشاقاً.

وهي فرصة أيضاً لنجدد ثقتنا بالعلم، ونسقط عنا الخرافات.. فالعلم وحده من سينقذنا.. والله سبحانه حثنا على العلم.. وهي فرصة أيضا للدول التي أنفقت المليارات على سباق التسلح، وأهدرتها في حروبها العبثية أن تسخّر تلك الأموال والموارد لبناء المعامل والمختبرات والمشافي..

وهي فرصة أيضاً للمجتمع الدولي، أن يسترد إنسانيته، وأن يتماسك أكثر، من خلال عولمة إنسانية رحيمة متعاونة، لا من خلال عولمة رأسمالية متوحشة.

وهي فرصة لنلتزم بيوتنا قليلاً، فنعيد اكتشاف علاقاتنا الأسرية، وبنائها من جديد، ولندفئ أبناءنا بالحنان.

ولا بد لنا من القول إنّ ما نراه اليوم من صور حزينة، وتداعيات اقتصادية خطيرة، وأحداث كارثية على مختلف الصعد هو بداية المخاض لعالم جديد، عالم ما بعد كورونا، وقد نحتاج زمناً طويلاً نسبياً لبلورة هذا العالم المختلف، بكل تجلياته النوعية والكيفية؛ فالتجربة الإنسانية التاريخية علمتنا أن التراكمات والمتواليات هي التي تصنع الواقع الجديد، وتكيّف صيرورته. وأحياناً يحصل التغيير الجوهري بسبب حدث صغير، أو خطأ وقع بالصدفة، أو بسبب غباء مسؤول، أو نتيجة اجتهاد عالم.. وقد أظهرت تداعيات أزمة كورونا أن الدول التي لديها نظام إداري متطور قادر على التعامل مع الأزمات والطوارئ، هي التي ستمتلك المستقبل (وربما تكون الصين)، وحاليا أي دولة ستطور لقاحاً ضد الفيروس، ستكون أكثر أهمية وتأثيراً في النظام الدولي الجديد أكثر من كل القوى العظمى التقليدية.

مواجهة الوباء عالمياً

لأن منشأ الفيروس كان من الصين، فقد

بذلت الحكومة الصينية ومنذ وقت مبكر جهوداً جبارةً في سبيل احتوائه، مثل بناء مستشفيات ضخمة، وتخصيص مراكز عزل وحجر صحي، وتوفير مستلزمات الوقاية، وتوزيع الكمامات على السكان، وعزل مناطق كاملة، وفرض حظر التجول، وتعقيم الشوارع والمرافق العامة، وسيطرتها على الإعلام، لمنع نشر الرعب والشائعات.

الصين، على الرغم من تعداد سكانها الهائل، واكتظاظ مدنها، وازدحام أسواقها، تمكنت من احتواء الوباء بقدر كبير، ونجحت نسبياً في الحد من انتشاره.. لكن الصين لديها إمكانيات خارقة، وقدرة كبيرة على السيطرة والتحكم بسلوك المواطنين، يساعدها في ذلك ثقافة الصينيين الخاصة، التي تتسم بالنمطية والنظام، والخضوع للتعليمات، وأيضاً نظامها الحزبي الصارم، وامتلاكها نظماً إلكترونية متطورة، تتيح لها مراقبة سلوك كل فرد في الدولة.

لكن هذه العناصر غير متوافرة في معظم دول العالم، وبالذات في بلداننا العربية.

وقد ظهرت المشكلة بشكل أكبر في الدول ذات التعداد السكاني الضخم، مثل الهند والبرازيل، التي تفتقر لآليات الضبط والسيطرة على السكان، وفيها عشوائيات ومناطق مزدحمة جداً، وفقيرة جداً، حيث تعيش بين الناس أنواع عديدة من الحيوانات.. وكذلك الدول التي تفتقر للتجهيزات الطبية والبنية التحتية الصحية، وفيها تعداد سكاني هائل، مثل نيجيريا، أو أثيوبيا، أو باكستان، أو غيرها..

فمع كل الاحتياطات التي اتخذتها الصين، وجميع دول العالم في مطاراتها ومرافئها، ونقاطها الحدودية، فإن الفيروس تسلل عبر مسافرين يحملونه؛ فنقلوه إلى بقية العالم.. وما أثار الرعب، هو احتمالية وجود مصادر أخرى للفيروس، من المرجح أن الظروف البيئية التي أدت لنشوء الفيروس في إقليم «ووهان» قد تتوافر في أي مكان آخر في العالم، وبالتالي ينشأ مصدر جديد للفيروس.. ما يعني أنه مع انتشاره على نطاق عالمي، سيحصد أرواح الملايين، قبل أن يتمكن العلماء من إيجاد اللقاح المضاد.

لعل أحد أهم أسباب تفاوت الأرقام والبيانات بشأن عدد الضحايا بين مختلف البلدان، هو طبيعة الإجراءات التي اتخذتها كل دولة، وتوقيتها، وكفاءة تطبيقها.. فالبلدان التي تأخرت عن اتخاذ الإجراءات الوقائية، أو تلك التي اتبعت سياسة «مناعة القطيع»، أو التي لم يلتزم سكانها بالحظر، كانت الأكثر من حيث عدد الإصابات والوفيات.

في ذروة الأزمة في العديد من الدول الأوروبية كانت معدلات الوفاة تتراوح بين ٨٠٠~١٠٠٠

حالة وفاة يومياً (إيطاليا، إسبانيا على سبيل المثال)، والعديد من دول العالم عانت من مشكلة نقص عدد الأسرّة في المستشفيات، ونقص عدد أجهزة التنفس الصناعي (وهي أجهزة مهمة جداً لمن يصلون مرحلة حرجة من المرض)، حتى أميركا عانت من ذلك، وبعض الدول عانت من نقص الكمامات ونقص في مواد التعقيم، ونقص في عدد الغرف المعدة للحجر الصحي.

اختلفت سياسات الدول في التعامل مع الجائحة، بعضها شدد في إجـراءات العزل والتباعد الاجتماعي والإغلاقات، وحظر التجول أو قيد الحركة (أولها الصين)، وبعضها اتبع سياسة «مناعة القطيع»، واكتفى بمنع الحشود الجماهيرية وإغلاق المدارس والجامعات ودور العبادة (لفترة)، مع السماح بممارسة الحياة الاعتيادية والأنشطة الاقتصادية بحدها الأدنى. وهناك دول اتبعت خليطاً بين تلك السياستين.

من الدول التي لم تلتزم بسياسة تقييد الحركة وإغلاق المؤسسات، واتبعت سياسة «مناعة القطيع» بريطانيا، التي أول من تحدث عنها كان رئيس وزرائها، بمشورة من مستشاره العلمي. وكذلك السويد، والدول الاسكندنافية، واليابان، وألمانيا، حيث لم تفرض حظراً للتجول، واكتفت بإغلاق المدارس والجامعات فترة محدودة، ومنع التجمعات الكبيرة، وإيقاف المهرجانات الرياضية والحشود الجماهيرية الضخمة، وما ساعدها في احتواء الوباء ثقافة المواطنين الصحية، وتقيدهم بالتباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات، والتقيد بالنظافة الشخصية، فضلاً عن تمتعها بنظام صحي كفؤ.

وبينما اختلفت الآراء حول الأداء الصيني في التصدي للوباء، بدا الأداء الأميركي عرضة لانتقادات كثيرة. مع إقرار بوجود حالة من التخبط والإرباك، والكثير من الانتقادات عن إنكار الفيروس، وبطء الاستجابة لتفشي الجائحة.

في حين أظهرت دول معينة (على رأسها ألمانيا وكوريا الجنوبية، السويد) فعالية واضحة في نظامها الصحي، وتعاملها الاستباقي، الذي وضعها في موقف جيد في مواجهة الجائحة، سواء من حيث السيطرة على انتشارها، أو من حيث عدد الضحايا.

وعلى مـدار أشهر الأزمـة، شهد تعامل الإدارة الأميركية مع الأزمة انتقادات واتهامات بالفشل من معارضيها السياسيين، خاصة الحزب الديمقراطي. وكان جو بايدن، قد زاد من انتقاداته لترامب، لما وصفه بـ «الأخطاء الكارثية» التي ارتكبها في التعامل مع الأزمة منذ بدايتها. وقال بايدن في تغريدة على تويتر: «تعلمنا من أزمة كورونا أن إدارة ترامب فشلت في التخطيط والإعداد، وامتد ذلك إلى تقييم

الأزمة والتعامل مع هذا الخطر الذي هدد الأمة الأميركية، وكل ذلك قادنا لنتائج كارثية». [٤]

في الأشهر الأولى من الجائحة شهد العالم ظاهرة غريبة، وهي قرصنة الدول مساعدات أو مواد طبية (وبالذات أجهزة التنفس) تنقلها بواخر في عمق البحار، وهي في طريقها إلى دولة معينة، فتأتي دولة أخرى وتقرصنها، وذلك بسبب زيادة الطلب على هذه المعدات، وعجز الدول عن توفيرها في الوقت الملائم، وبالأعداد والكميات المطلوبة. فمثلاً، أعلنت تونس عن عملية سرقة في عرض البحر تعرضت لها باخرة محملة بالكحول الطبي كانت متجهة إلى تونس من الصين وتم تحويلها إلى إيطاليا. وتعرضت إيطاليا بدورها إلى «عملية سرقة من جارتها التشيك» بحسب وسائل إعلام إيطالية، أعلنت «استيلاء سلطات براغ على شحنة كمامات طبية كانت مرسلة من الصين إلى إيطاليا». كما أعلن عن «اختفاء ستة ملايين كمامة طبية في أحد مطارات كينيا، كانت في طريقها إلى ألمانيا». [٥]

إحصائيات كورونا حتى بداية أيلول ٢٠٢٠

تختلف معطيات وبيانات جائحة كورونا من بلد لآخر، وهي معطيات مرشحة للتغيير باستمرار.

حتى بداية أيلول ٢٠٢٠، وحسب آخر تحديثات منظمة الصحة العالمية، جاءت أميركا في الترتيب الأول من حيث عدد الإصابات والوفيات، بمعدل ٦,١ مليون إصابة، و١٩٠ ألف وفاة. تبعتها البرازيل، ٣,٨ مليون إصابة، ١٢٠ ألف وفاة. ثم الهند ٣,٥ مليون إصابة، ٦٥ ألف وفاة. ثم روسيا ٩٩٠ ألف إصابة، ١٧ ألف وفاة. ثم البيرو ٦٥٠ ألف إصابة، ٣٠ ألف وفاة. [٦]

وبالنسبة لحالات الوفاة، جاءت الدول الأكثر في قائمة الترتيب، على النحو الآتي: أميركا، البرازيل، المكسيك، الهند، بريطانيا. وفي دول أميركا اللاتينيّة والكاريبي المنطقة الأكثر تضررا سجلت أكثر من ربع مليون وفاة.

اللافت للنظر أن الصين باتت في آخر القائمة تقريباً من حيث عدد الإصابات والوفيات، فحتى ٢٠٢٠/٩/١ بلغت الإصابات نحو ٨٥ ألفاً، والوفيات أقل من خمسة آلاف.

يلاحظ انخفاض عدد الإصابات في إفريقيا، وعدد كبير من دول العالم الثالث، وربما يكون السبب عدم الإبلاغ عن الحالات، أو عدم إجراء الفحوص. وآخر دولة في القائمة هي «أنغويلا» بثلاث إصابات فقط.

على الصعيد العربي، وصل إجمال حالات الإصابة بفيروس كورونا حتى بداية أيلول ٢٠٢٠، إلى نحو مليون وربع المليون إصابة، فيما بلغ عدد الوفيات نحو ٢٤ ألف حالة.

تتصدر السعودية، قائمة أكثر الدول العربية تأثراً بفيروس كورونا، من حيث الإصابات بـ

٣١٣ ألف إصابة، ثم العراق بـ ٢٢٤ ألف حالة، تليها قطر بـ ١١٩ ألف حالة، وتأتي بعدها مصر بـ ٩٩ ألف حالة، ثم عُمان بـ ٨٥ ألف إصابة.

على صعيد حالات الوفاة، تتصدر العراق، الدول العربية بـ ٦٨١٤ حالة وفاة، ثم مصر في المركز الثاني بـ ٥٣٦٢ حالة، تليها السعودية في المركز الثالث بـ ٣٨١٣ حالة، وبعدها الجزائر بـ ١٤٨٣ حالة، ثم المغرب بـ ١٠٥٢ حالة وفاة. (المصدر: https://arabia.as.com/)

في فلسطين المحتلة (إسرائيل) بلغت الإصابات نحو ١١٤ ألف إصابة، والوفيات ٩٠٩. أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فبلغت الإصابات ٢٢ ألف إصابة والوفيات ١٤٩.

تعاطي السلطة الوطنية مع الجائحة

كما فعل في معظم دول العالم، اجتاح فيروس كورونا الأراضي الفلسطينية، وظهرت أول حالة منه في بيت لحم في بداية آذار ٢٠٢٠.

يلاحظ أن فلسطين كانت من بين أقل الدول في عدد الإصابات والوفيات، وظلت كذلك حتى نهاية أيار، وحسب تقرير المتابعة اليومي بتاريخ ٢٥ أيار، بلغ عدد الإصابات الإجمالية بفيروس كورونا في فلسطين ٦٠٢ إصابة، منها (٤٧٥ حالة شفاء) و(٥ حالات وفاة)، و(١٢٣ حالة نشطة) قيد العلاج. وحسب التوزيع الجغرافي يوجد منها (٤٢٣ إصابة) إجمالية في الضفة وغزة، و(١٧٩ إصابة) في القدس. وقد بلغ عدد العينات التي خضعت للفحص منذ بداية ظهور الوباء في فلسطين (٥٤٠٢٢ عينة)، كانت جميعها سلبية باستثناء الـ ٦٠٢ إصابة المذكورة. وفيما يتعلق بأوضاع الجالية الفلسطينية في مختلف أنحاء العالم حتى ٢٥ أيار، فقد تم رصد (١٦٠٣ حالات إصابة)، منها (٩٦ حالة وفاة)، و(٧٨٧ حالة تعاف)، والباقي حالات نشطة قيد العلاج.[٧]

بعدها بدأت موجة ثانية من الجائحة أشد، وصارت أعداد الضحايا في ازدياد مستمر ومطّرد، فبعد أن كانت الإصابات أقل من عشرة يومياً، على امتداد الستة أشهر الأولى من السنة، صارت بحدود ٥٠٠ حالة يومياً. وحتى تاريخ (٢٠٢٠/٩/١) بلغ عدد الإصابات الإجمالي ٢٩٨٦٩، تعافى منهم ٢٠٥١٠، وعدد الوفيات ١٧٣.

منذ وقت مبكر تداركت القيادة الفلسطينية خطورة الوباء، واتخذت الإجراءات الاحترازية، التي شملت إغلاق الحدود (معبر الكرامة)، ومنع التنقل بين المدن، وتحديد ساعات التجول، وإغلاق الأماكن العامة، والمحال التجارية، وإغلاق المدارس والجامعات ودور العبادة..

مع أن مثل تلك الإجراءات اتخذتها معظم الدول، لكن الفرق تمثل في اتخاذها في وقت مبكر، وتشديد الرقابة والمتابعة، ومدى التزام

المواطنين بها..

تفاوت مستوى الالـتـزام في الأراضي الفلسطينية من منطقة إلى أخرى؛ في المدن كان التزام السكان بالتعليمات الصحية أفضل (ارتداء القفازات والكمامة والتعقيم والتباعد الاجتماعي..)، بينما كان في الأرياف أقل، ربما لغياب الرقابة المباشرة، ولأسباب اجتماعية أخرى..

تميزت الأراضي الفلسطينية بغياب كثير من مشاهد الفوضى التي شاهدناها في عدد كبير من العواصم، خاصة في بدايات الأزمة، فلم نلحظ مثلاً اكتظاظاً شديداً في الأسواق، أو إقبالاً مبالغاً فيه على الاستهلاك، أو اختفاء مواد معينة، أو تعاركاً على شراء سلعة.. (وبالطبع مع وجود استثناءات معينة)، وعلى المستوى الرسمي، وعلى الرغم من قلة الإمكانيات، وضعف البنية التحتية الصحية مقارنة بدول أخرى، فإن مستوى الخدمات الصحية (فحص عينات، حجر صحي، تقديم علاج..) ظل مقبولاً وربما جيداً، لاسيما أن دولاً كبرى انهارت منظومتها الصحية، وعجزت عن توفير حتى أسرة أو أجهزة تنفس للمرضى.

ربما ساعد على صمود المجتمع الفلسطيني والسلطة الوطنية عدم وجود مدن كبرى، مثل تلك التي تعدادها بالملايين، إضافة إلى اتخاذ قرارات الحجر المنزلي منذ وقت مبكر، وحالة الوعي الصحي التي بدت جيدة إلى حد مقبول، والجهود الكبيرة التي بذلتها طواقم وزارة الصحة، وأجهزة الأمن والبلديات.. حتى إن منظمة الصحة العالمية أشادت بجهود السلطة.[٨]

لكن ما ميز السلطة الوطنية هو أداء الحكومة، خاصة في المجال الإعلامي، وبالذات ما صار يُعرف بالإيجاز الصحافي (الصباحي والمسائي).

في الإيجاز الصحافي برع الناطق باسم الحكومة، الإعلامي «إبراهيم ملحم»؛ بصوته الواثق والهادئ، وإجاباته عن الأسئلة بشفافية ووضوح، وعدم إخفاء أي معلومة.. الأمر الذي أكسبه شعبية، ومكّنه من الوصول إلى قلوب الناس، وهذا بدوره انعكس إيجابياً على مكانة الحكومة عند الشعب، وأكسبها احتراماً خاصاً.

ومع كل ما سبق؛ فإن فئات معينة من المجتمع كانت لديها مواقف متباينة من أداء الحكومة؛ البعض قال إن أداءها كان عادياً، وأقل ما يمكن لها أن تعمله، وهذا واجبها ودورها، وكل من أدى دوراً في هذه المرحلة، فعَلَ ذلك لأن طبيعة دوره الوظيفي تتطلب منه ذلك، وهو يتلقى راتباً مقابل جهده.. وبالتالي لا داعي لتقديم الشكر لأحد، أو الإشادة بدور مميز..

وثمة رأي آخر مفاده أن أداء الحكومة كان متميزاً (وغير معتاد) مقارنة بأداء الحكومات

الفلسطينية السابقة، بل ومقارنة بحكومات ودول عديدة في العالم، سواء الدول المتقدمة والغنية، أو دول الجوار التي وصلت فيها حالات الإصابة بالفيروس أرقاماً مرعبة، أو مقارنة بالدول التي تخفي الأرقام والمعطيات الحقيقية، وتزيف الواقع، ولا تصارح شعبها والعالم بحقيقة الوضع.

على أي حال، الموضوع ليس تقديم الشكر أو عدمه.. ولا الإشادة أو الذم.. فبلغة الأرقام، ووفقاً لمعطيات الواقع، يمكن القول إنَّ المجتمع الفلسطيني (شعبياً ورسمياً) استطاع التعامل مع أزمة كورونا بقدر من المعقولية، واستطاع تجنب كارثة كبيرة كان يمكن أن تحصل، واستطاع الصمود حتى الآن بأقل الخسائر (والتقييم هنا نسبي)..

ليس مطلوباً من السلطة اختراع دواء أو مصل لكورونا، فتلك مهمة عجزت عنها كبريات الدول (حتى الآن)، لكن المطلوب تبني استراتيجية واضحة، حتى لو تضمنت التخفيف التدريجي على قيود العزل، والعودة المتدرجة والمدروسة للحياة الطبيعية، أو على الأقل استئناف عجلة الاقتصاد بقدر معقول، لاسيما أن المتضرر الأكبر من تبعات كورونا، أي الأزمة الاقتصادية، هم الفقراء والطبقات الضعيفة والعمال وأصحاب المشاريع الصغيرة.

إدارة حالة الطوارئ الفلسطينية أثناء أزمة وباء كورونا

في هذا البند سنستعرض تقرير مجلس الوزراء الفلسطيني، الذي يلخص الحالة، ويشرح كيفية إدارة الحكومة الأزمة، وخلال الموجة الأولى من الجائحة، أي حتى نهاية أيار ٢٠٢٠.[٩]

منذ بدء عملها، واجهت حكومة د. محمد اشتية ظروفاً سياسية واقتصادية داخلية وخارجية معقدة وبالغة الصعوبة، فرضها الاحتلال مدعوماً بالإدارة الأميركية ضمن تحالف أنتج «صفقة القرن»، وما ارتبط بها من حصار سياسي ومالي أميركي، وقرصنة إسرائيلية لأموال المقاصة، واعتداءات مستمرة لسرقة الأراضي وهدم المنازل وتعطيل مشاريع التنمية. وفي هذا الجو جاءت أزمة الجائحة العالمية «فيروس كورونا»، التي تطوّر فهمُنا لطبيعتها وحجمها وتأثيرها علينا بشكل سريع ومتراكم خلال الأشهر الماضية. وهذه الظروف هي الأصعب في تاريخ الحكومات الفلسطينية والقضية الفلسطينية.

ولمواجهة الجائحة، حددت الحكومة مبادئ عدة تقوم عليها استراتيجيتها القائمة أولاً على منع وصول الوباء إلى فلسطين (وهذا تعذر بطبيعة الحال)، ثم الحد من انتشاره، للمحافظة على صحة المواطنين وأرواحهم، وكذلك احتياجات جميع الشركاء.

وقد سعت الحكومة إلى أن تجعل من هذه الاستراتيجية تحقق التواصل الفعال مع جميع الجهات على الصعيد الوطني والدولي، بما يشمل جميع الأجهزة الحكومية المدنية والأمنية والقطاع الخاص والمجتمع المدني والجهات الدولية، وأن تتسم بالمرونة في اتخاذ القرارات المتركزة على منع تفشي الوباء وخفض البيروقراطية الإداريــة وإصــدار القرارات بالسرعة اللازمة وتخصيص الموارد المالية المطلوبة دون تأخير، مع المحافظة على عجلة الحياة اليومية بالحد الأدنى.

ولتحقيق مبدأ الشفافية، عملت الحكومة على تزويد الجمهور بالمعلومات، بشكل دقيق ومتواصل بشأن حالة الوباء وجميع القرارات والتوجيهات المتخذة للتصدي له، بهدف منع الإشاعات وطمأنة المواطنين حيث تم عقد مؤتمرات صحافية بشكل يومي، وأصدرت لجنة المتابعة اليومية ٨٥ تقرير متابعة حتى تاريخه.

وقد أشادت منظمة الصحة العالمية بأداء الحكومة الفلسطينية التي اتخذت إجراءات متقدمة لمكافحة انتشار الفيروس، وأكدت أن الحكومة قامت بإجراءات تفوق ما هو موصى به دولياً، وأشادت بدور رئيس الوزراء وحكومته في إدارة هذه الأزمة بشكل جدي حازم، وأشارت إلى أن وزارة الصحة ملتزمة بمعايير منظمة الصحة العالمية وأنها تقوم بكل ما يمكن عمله للحد من انتشار المرض بوساطة إجراءات فحص المرضى، والحجر، والصحة العامة، للتخفيف من الآثار السلبية على المواطنين. [١٠]

وعندما صاغت الحكومة استراتيجيتها في مكافحة الوباء سعت إلى أن تكون مرتبطة بآليات تنفيذية وتحديد المسؤوليات والصلاحيات، وبما ينسجم مع معايير إدارة الأزمة مع الممارسات الإدارية العالمية لإدارة الأزمات، والتأكد من الحفاظ على سلاسل تزويد الأدوية والأغذية ومراقبة الأسواق، وأن يتسم الإعلام بالشفافية وتوفير المعلومات الصحيحة للمواطنين بشكل يومي. وتضافر الجهود الأمنية لتطبيق القرارات ميدانيا، بما يضمن تكامل الشراكات مع المجتمع المدني والقطاع الخاص والدول المانحة.

استجابت القيادة السياسية بشكل استراتيجي ومبكّر لمواجهة تداعيات انتشار الجائحة، حيث تم إعلان حالة الطوارئ بالمرسوم الرئاسي الأول يوم ٠٥ آذار ٢٠٢٠، الذي تم تجديده مرات عديدة.

ومنذ بوادر ظهور الوباء وانتشاره عالمياً لاسيما في الصين منتصف كانون الثاني ٢٠٢٠، بدأ مجلس الــوزراء متابعة حالة الوباء العالمي بشكل مستمر، وأدركت القيادة

الفلسطينية خطورته وأهمية اتخاذ تدابير استباقية تمنع وصول الفيروس إلى فلسطين وتحد من انتشاره. ومنذ البداية وبعد صدور المرسوم الرئاسي الأول بشأن حالة الطوارئ، تم تشكيل هيكل لإدارة الأزمة، مؤلف من ثلاثة مستويات رئيسة متصلة لاتخاذ القرارات على المستوى الوطني، مدعومة بهياكل مؤسسية تنسيقية وإعلامية وأمنية، تجعل من قضية الوباء شأناً وطنياً يشارك الجميع في مواجهته، وهي: المستوى السياسي ممثلاً بالرئيس ورئيس الوزراء والقيادة السياسية، وهم من يقع على عاتقهم اتخاذ القرارات الجوهرية مثل إعلان حالة الطوارئ، ولجنة الطوارئ الوطنية برئاسة رئيس الوزراء، ومؤلفة من عدد من القيادات السياسية وعدد من الوزراء ذوي الاختصاص، حيث تعزز عمل هذه اللجنة بوساطة لجنة المحافظين واللجنة الأمنية. أما المستوى التنفيذي فهو مؤلف من أطراف عدة منها الأجهزة الحكومية المدنية والأمنية وجهات الاختصاص القادرة على تنفيذ خطة الحكومة لمواجهة الأزمة مثل وزارات: الصحة والاقتصاد والزراعة والعمل والتنمية الاجتماعية والمواصلات والاتصالات، وشمل هيكل إدارة الأزمة لجان طوارئ المحافظات بقيادة المحافظ في كل محافظة، وعضوية مديري مديريات وزارات الاختصاص في المحافظات إضافة الى رؤساء الدوائر الأمنية في المحافظات. وتمت متابعة حالة الطوارئ اليومية ميدانياً من خلال لجنة مؤلفة من المساعد الأمني لوزير الداخلية وممثلي عدد من وزارات الاختصاص والشرطة والدفاع المدني.

وشمل هيكل إدارة الأزمة الخلية الإعلامية بقيادة الناطق الرسمي للحكومة وعضوية الإعلاميين من وزارة الصحة والداخلية، وكذلك منظومة الشركاء المحليين التي شملت المجتمع المدني، والقطاع الخاص (جمعية الفنادق، المستشفيات الخاصة والأهلية)، والمؤسسات الإعلامية، والنقابات (نقابة الأطباء)، والاتحادات (اتحاد عمال فلسطين)، حيث يقع على عاتقهم دور تكاملي وإسناد قيادة الأزمة ودعمها المعنوي والمادي، إضافة للشركاء الدوليين من دول عربية وصديقة ومنظمات دولية داعمة لتقديم الخبرات والدعم المالي والمساندة في مواجهة الأزمة من خلال المؤسسات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية (WHO).

وحتى تاريخ التقرير (٢٥/٥)، اتخذت الحكومة في جلساتها العادية والطارئة نحو ٦٠ قراراً للتعامل مع احتياجات الأجهزة الميدانية والمواطنين لمواجهة الفيروس والآثار المترتبة عليه في المراحل المختلفة لانتشار الفيروس ومن اللحظة الأولى لاكتشافه.

فمثلاً، قامت وزارة الصحة بجهود كبيرة

في مكافحة الوباء، ومن ذلك تخطيط الخرائط الوبائية وتحديثها بشكل يومي وفحص العينات في جميع محافظات الوطن، وجميع القادمين من دول العالم، وتنسيق ذلك مع الأردن ومصر وفق آلية متفق عليها لمواجهة الوباء على معبري الكرامة ورفح. وتجهيز مناطق حجر صحي لعلاج المصابين، وإعداد البروتوكولات الصحية للتعامل مع المصابين ومحيطهم، واتخاذ ما يلزم من إجراءات لتجهيز الطواقم الطبية بما يشمل إجراءات السلامة العامة، وإصدار التعليمات اللازمة لكيفية التعامل مع الفيروس وتعميمها على جميع مرافق الدولة والمنشآت، واتخاذ الإجراءات اللازمة للحجر الصحي. وتم بشكل منسق مع الصحة إلغاء حجوزات الفنادق لجميع رعايا الدول التي ينتشر فيها الفيروس، وتعميم قائمة هذه الدول على الفنادق بشكل مستمر، وتواصلت وزارة الخارجية مع سفراء وقناصل وممثلي هذه الدول لاتخاذ ما يلزم من إجراءات للمحافظة على سلامة رعاياهم وعودتهم إلى بلادهم.

وتم تعطيل المدارس والجامعات ورياض الأطفال كافة خلال فترة الطوارئ، وتأجيل أي مؤتمرات مقررة الانعقاد في الأراضي الفلسطينية، وتوقف سفر المسؤولين، ومُنع التجمع أو التجمهر، ومُنع التنقل بين المحافظات، وتم إغلاق جميع المديريات في المحافظات ما عدا مديريات الصحة والمالية والاقتصاد والتنمية الاجتماعية والشؤون المدنية، مع استمرار العمل في المقار الرئيسية للدوائر الحكومية بالحد الأدنى من الموظفين لإنجاز القضايا الملحة التي تهم المواطنين. ومُنح رؤساء الدوائر الحكومية صلاحية إصدار أذونات الحركة والتنقل الخاصة بموظفيهم، ومُنح المحافظون صلاحية إصدار أذونات الحركة والتنقل للقطاع الخاص والأهلي لتقديم الخدمات الأساسية مثل مزودي خدمات الاتصالات والإنترنت، وخدمات القطاع الزراعي، ومصانع الأدوية والأغذية وما يرتبط بها، ونقل البضائع للتصدير والاستيراد. وتم نشر قوات الأمن والشرطة وبقية الأجهزة الأمنية، في مختلف المدن ومداخلها حفاظاً على الأمن العام وتطبيق كامل الإجراءات مع بقاء حرية التنقل متاحة للقضاة، وللمحامين فقط.

في الجانب المالي، خصصت الحكومة مبلغ (١٠٠ مليون شيقل) كموازنة طارئة لتغطية احتياجات التعامل مع الوباء، والأخذ بعين الاعتبار في قانون الموازنة الأثر المالي المتعلق بتأثر فلسطين بفيروس كورونا وانعكاساته على مختلف القطاعات الاقتصادية، مع ضمان التدفق النقدي الأسبوعي لـوزارة التنمية الاجتماعية بشكل منتظم لتغطية احتياجات (٥٠ ألف أسرة) انضمت إلى نظام المساعدات خلال هذه المرحلة الصعبة. كذلك، تم إنشاء

صندوق «وقفة عز» بقرار من رئيس الوزراء من مجموعة من رجال الأعمال لتنظيم جمع التبرعات في صندوق واحد ليتم صرفها على الاحتياجات الطبية والاجتماعية والعمال الذين توقف عملهم، وتم توجيه الدعوة للتبرع للصندوق.

شكل عمل العمال في الداخل إحدى القضايا الجوهرية في مكافحة الوباء، فقامت وزارة العمل بالتعاون مع هيئة الشؤون المدنية والأجهزة الأمنية بمتابعة حركة العمال والإشراف على دخولهم وخروجهم، وإجراء الفحوص لهم وتقديم التوعية لهم، وبناءً على طلب مجلس الوزراء أشرف وزير العمل بالتنسيق مع اتحاد عمال فلسطين على توقيع اتفاقية مع أصحاب العمل من القطاع الخاص لضرورة الالتزام بحقوق العمال المحليين خلال حالة الطوارئ وإجراءات الحجر الإلزامي، وعدم إنهاء أعمالهم بل دفع رواتبهم كاملة أو نصف راتب على الأقل خلال هذا الظرف الطارئ الذي تمر به البلاد، واعتبار إنهاء عمل أي موظف خلال هذ المرحلة عملاً مخالفاً للقانون.

شكلت الحكومة لجنة اقتصادية لإعادة العمل، حيث قامت بإجراء الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية، وتقييم الآثار المترتبة على حالة الطوارئ، وتقديم الحلول لمعالجة الآثار، حيث قدمت اللجنة عدداً من التوصيات التي تحولت إلى إجراءات ميدانية.

وعملت وزارة التربية والتعليم على إعداد خطة محكمة لعقد امتحان الثانوية العامة في موعده ضمن الإجراءات الصحية الصارمة.

من أبرز القرارات الإدارية والإجراءات الحكومية المرنة التي تمس حياة المواطنين بشكل مباشر خلال فترة الطوارئ:

- وقف إجازات الكوادر العسكرية، وإجازات الموظفين المدنيين لا سيما في القطاع الصحي.
- تمديد سريان جوازات السفر للمواطنين المقيمين في الخارج لمدة سنة مجاناً.
- تمديد سريــان رخص القيادة المنتهية خلال فترة الطوارئ وضمان سريان تأمين السيارات خلال الفترة نفسها مع المحافظة على حقوق شركات التأمين والمؤمّنين.
- تمديد التأمين الصحي الحكومي للمواطنين الذين ينتهي تأمينهم خلال فترة الطوارئ.
- تعليمات سلطة النقد بتأجيل الشيكات والقروض المستحقة خلال فترة الأزمة لضخ (٣٥٠ مليون دولار) في السوق.
- ضمان استمرار سلسلة تزويد المواد التموينية والصحية للمواطنين باستمرار فتح المحال ذات العلاقة.
- ضبط الأسواق، ومنع الاستغلال، والرقابة المشددة من حماية المستهلك.
- نشر أرقام هواتف مديريات الصحة ودوائر

الطب الوقائي في المحافظات، وهواتف الجهات الحكومية الأخرى.

- دوام الوزارات بالحد الأدنى لتقديم الخدمات للمواطنين، وتمكين الأمهات العاملات في القطاع العام اللواتي لديهن أطفال بحاجة إلى الرعاية للعمل من المنزل، والطلب من القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني مراعاة دوام الأمهات خلال حالة الطوارئ.
- تقديم التعليم عن بُعد في المدارس والجامعات.
- شكلت الأجهزة الأمنية خلية أزمة منعقدة على مدار الساعة مكونة من رؤساء الأجهزة الأمنية لإدارة الحالة الأمنية في فلسطين، حيث تم نشر الحواجز الخارجية على مداخل المدن والقرى وتأمينها لضمان الإغلاق والسيطرة من خلال حواجز ثابتة داخل المدن من الشرطة والأمن الوطني للحفاظ على الأمن الداخلي والحد من حركة المواطنين. [١١]

تقارير وزارة الصحة ومعطياتها

بدأت الموجة الثانية من كورونا في النصف الثاني من حزيران ٢٠٢٠، ومعها بدأت أعداد الإصابات بالازدياد، وبعد أن كانت في شهر آذار ١٣٣ حالة، ثم ٢١١ في نيسان، ثم ٢٠٤ في أيار، أخذت في حزيران تشهد ارتفاعاً ملحوظاً، من ١٩٨٠ حالة إلى ٩٣٤٦ حالة في تموز، ثم ١٠٨١١ في آب. (الضفة الغربية وقطاع غزة).[١٢]

في قطاع غزة كانت جميع الإصابات من القادمين من الخارج، الذين تم عزلهم في الحجر الصحي، إلا أنه في آب بدأت تظهر إصابات داخل القطاع، وأخذت الأعداد تتضخم بسرعة فائقة، نتيجة الاكتظاظ السكاني الهائل، وصعوبة التزام الناس في بيوتهم، لأسباب اجتماعية عديدة.

أعلى نسبة إصابات سجلت في محافظة الخليل (٣٦,٥٪)، ثم القدس وضواحيها (٢٧٪)، ثم رام الله والبيرة (١٢,١٪)، ثم بيت لحم (٦,٢٪)، ثم نابلس (٣,٢٪)، ثم غزة (٢,٣٪)، والبقية موزعة على باقي المحافظات.

توزيع الحالات حسب الجنس: الذكور ٤٥,٨٩٪، الإناث ٥٤,١١٪.

أما عن كيفية انتقال العدوى، فكانت على النحو التالي: عمّال داخل الخط الأخضر (٠,٦٤٪)، مخالطون للعمال (١,١٪)، اكتشاف الحالة على المعابر (٠,٣٪)، مخالطون لأهلنا في الداخل المحتل ٤٨ (٠,٢٦٪)، مسافرون (٠,٥١٪)، الانتقال المجتمعي في الأعراس وبيوت العزاء وغيرها (٥٦,٣٪)، الكادر الصحي ومخالطوهم (٠,٧٪)، أسباب أخرى (٣٩٪).

أي أن أكبر سبب لانتقال الفيروس هو عدم التباعد الاجتماعي في المناسبات العامة. [١٣]

قدرات وزارة الصحة

مثل كل حكومات العالم، تفاجأت الحكومة الفلسطينية بجائحة كورونا، لم يكن بحسبان

وزارة الصحة مثلاً أنها ستواجه مثل هذا التحدي، خاصة في ظل الظروف الصعبة التي تعاني منها السلطة، والمنطقة بشكل عام، مثل هذا التحدي يحتاج إمكانيات ضخمة، وموارد، وكادراً طبياً كبيراً، وبنية تحتية متطورة.. ومثل هذه المتطلبات غير متوفرة بالقدر الكافي.

ومع ذلك واجهت وزارة الصحة التحدي بكفاءة شهد لها العالم، وأدارت الأزمة بقدر كبير من الحكمة، وبجهود جبارة بذلها الأطباء والممرضون والمسعفون والكوادر الصحية، والجهات المساندة، وهذه المعركة أدارتها الدكتورة مي الكيلة بالتعاون والتكامل مع جميع الأطراف ذات العلاقة. [١٤]

في بداية الأزمة وضعت الحكومة الفلسطينية خطة بتاريخ ١٤ آذار ٢٠٢٠، هدفت إلى زيادة قدرات الفحص إلى ٢٠,٠٠٠ عينة، ورفع الطاقة الاستيعابية للمستشفيات بـ ٢٠٠ سرير إضافي. وتوسيع نطاق القدرات على معالجة التهابات الجهاز التنفسي وتقديم العناية المركزة لدعم ١٠٠ سرير إضافي. وتعميم رسائل إرشاد وتوعية إلى مليون فلسطيني تبيّن التدابير الوقائية وكيفية الحماية الفعالة من الإصابة بالفيروس، ودعم ٥ آلاف عامل من الكادر الصحي بمعدات الوقاية الشخصية. وبالإضافة إلى الاحتياجات الصحية الرئيسة، شملت الخطة محاور أخرى من الاستجابة القطاعية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالاستجابة لفيروس كورونا، وبلغت تكاليف هذه الخطة ٤٢ مليون دولار. [١٥]

ثم أعلنت الحكومة بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٩، عن موازنة الخطة الفلسطينية لمواجهة وباء كورونا، عُرفت بـ «موازنة الطوارئ»، بتكلفة بلغت ١٣٧ مليون دولار، تشمل توفير الأدوية والمعدات وتجهيز القطاع الصحي لمواجهة الوباء في الضفة، بما فيها القدس، والقطاع.

في بداية الجائحة كانت عينات الفحص تُرسل إلى المختبرات الإسرائيلية، ثم صارت تُفحص في مختبرات وزارة الصحة المركزية، اليوم تتوفر لدى وزارة الصحة سبعة مختبرات معتمدة لإجراء فحص كورونا، وهي: مختبرات الصحة المركزية برام الله (٣٥,٧٪ من العينات)، مختبر الكاريتاس بيت لحم (١١,٢٪ من العينات)، مختبر جنين (٨,٥٪ من العينات)، مختبر الخليل (٢٠,٧٪ من العينات)، نابلس (١٥,١٪)، غزة (٧,٨٪)، أريحا (١٪). وبلغ مجموع عدد العينات المفحوصة ٢٨٢٤١٠ عينة. [١٦]

فيما يتعلق بأجهزة التنفس، أكد الناطق باسم وزارة الصحة ومسؤول ملف فيروس كورونا الدكتور كمال الشخرة، أن المستشفيات الفلسطينية تمتلك ٢٠٥ أجهزة تنفس صناعي، وسيتم تركيب ١٠ أجهزة أخرى خلال أيام،

وننتظر وصول ٢٥٠ جهازاً جديداً في الفترة القادمة. [١٧]

في تصريح آخر لتلفزيون فلسطين، قال إن الوزارة خصصت ٨٠ جهاز تنفس صناعي لمصابي فيروس كورونا في مستشفيات الضفة الغربية.

هناك مخاوف جدية من أنه في حال حدوث ارتفاع كبير بأعداد المصابين بفيروس كورونا فإن المستشفيات ستمتلئ، ولن تعود هناك أجهزة تنفس صناعي كافية، مما قد يؤدي إلى حدوث وفيات. ولذلك تحاول الحكومات في مختلف دول العالم زيادة عدد أجهزة التنفس الصناعي تحسباً لمثل هذه الحالة.

وبالنسبة لعدد الأطباء والكادر الصحي، قال المتحدث باسم نقابة الأطباء رمزي أبو اليمن: إن عدد الأطباء العاملين في مختلف مراكز ووحدات وزارة الصحة يبلغ ٢,٥٢٥ طبيباً، بمعدل ٥,٢ أطباء لكل ١٠,٠٠٠ نسمة من سكان فلسطين، بمعدل ٤,٦ طبيب في الضفة الغربية و٦,١ طبيب في قطاع غزة. [١٨]

ويعمل ١٢٥٠ طبيباً بالمستشفيات الحكومية بالضفة، بمتوسط طبيب لكل ٢٤٠٠ مواطن، خلافاً للمقاييس الدولية التي تنص على تخصيص طبيب لكل ١٥٧ مواطناً، بينما يعمل قرابة ٢٥٠٠ طبيب في قطاع غزة بمعدل طبيب لكل ٨٠٠ مواطن. ودفع العجز الطبي الحكومة الفلسطينية لإجراء تعيينات جديدة.

في قطاع غزة الذي يعيش فيه نحو مليوني فلسطيني، يبلغ متوسط عدد الأسرّة في مستشفياتها قرابة ١٣ سريراً لكل ١٠ آلاف مواطن. وفي الضفة تبلغ عدد أسرة العناية المركزة قرابة ١٥٠ سريراً في المستشفيات الحكومية والخاصة أي بمعدل سرير لكل ٢٠ ألف مواطن.

أما على صعيد أجهزة التنفس الصناعي، فتقدر عدد أسرة العناية المركزة في القطاع بقرابة ٦٩ جهازاً في المستشفيات العامة والخاصة، أي بمعدل سرير لكل ٢٨ ألف مواطن. [١٩]

وأظهرت دراسة أعدها د. نضال دويكات نائب رئيس جامعة النجاح بخصوص عدد أجهزة التنفس الصناعي، التي تحتاجها مستشفيات الضفة للتعامل مع الحالات الحرجة في حال انتشرت الإصابات بفيروس كورونا المستجد بشكل واسع: أنه في حال حدوث أسوأ الاحتمالات، لا قدر الله، وهو احتمالية الإصابة بنسبة ٨٠٪ لمن هم فوق الستين عاما ونسبة شدة الإصابة (الحالات الحرجة التي تستدعي عناية مكثفة وهي ٢٪ حسب منظمة الصحة العالمية) فإن العدد الكلي المطلوب هو ٢٤٨٨ جهاز تنفس صناعي في محافظات الضفة. [٢٠]

لحد الآن، يمكن القول إنّ السلطة الوطنية

ما زالت مسيطرة على الأمر (نسبياً)، عدد الإصابات والوفيات في ارتفاع مستمر، لكنه ما زال ضمن المعدل العالمي، لم تصل الأمور إلى درجة الضغط الشديد على المستشفيات، لكن المختصين أعربوا عن قلقهم في حالة حدوث زيـادة أكبر في عدد الإصابات، خاصة من يضطرون لدخول مستشفى وتلقي مساعدة، أو استخدام جهاز تنفس، لأنه في هذه الحالة لن يكون بمقدور السلطة معالجة الأمر، وستحدث حالات وفيات كثيرة، وهذه لها تداعيات خطيرة على مستويات عدة.

وليس واضحا لنا، كيف ستتصرف الحكومة إذا تفاقمت الأمور (لا قدر الله) هل ستضطر لإعادة الإغلاق، أم ستترك المواطنين يواجهون مصيرهم، خاصة في ظل شح الإمكانيات ونقص الموارد.

خلاصة

اهتمام العالم بكورونا، وخوفهم منه، ليس بالأمر الغريب، بل هو فعل طبيعي وواع؛ فهذا الفيروس يكاد يشل حركة الكوكب، وقد أصاب عصب الاقتصاد، وصار يهدد بأزمة اقتصادية عالمية، وينذر بكوارث اجتماعية لا أحد يعلم مدياتها.. الأثرياء وأصحاب المصالح يخافونه، وكذلك الناس العاديون والبسطاء.. فقد بات يهدد حياة كل إنسان.. ومن لم يصبه الفيروس، سيتأثر بتداعياته.. لكنها فرصة أن نتذكر أوبئة لا تقل خطورة، تضرب أنحاء عديدة من كوكبنا ولم نكن نحس بها، أو نحس بها، ولكننا لم نتأثر ولم نتحرك، لاعتقادنا أنها لن تصيبنا.. لنتذكر مثلا أن وباء الجوع يقتل عشرات آلاف الأطفال يومياً.

جائحة كورونا ليست الأولى، ولا هي الأخطر، فقد سبق للبشرية أن واجهت كوارث وجائحات أشد خطورة، لذا ستنتهي غمامة كورونا، كما انتهت غيرها، وستصير مجرد ذكرى وأرقام.. فذكاء البشر أثبت نجاعته في التغلب على قوى الطبيعة.. المهم، بعد أن نسترد صحتنا، أن نعود لإنسانيتنا..

هذا الوباء العالمي، على الرغم من مخاطره، والمصائب التي يجرها، فإنه من ناحية أخرى، وللمفارقة، قد يكون فرصة للفلسطينيين، فرصة أن ننخرط في هذه المأساة الكونية، فنصبح جزءاً من هم عالمي، وجزءاً من قلق إنساني كبير، فنعي أننا قطعة من هذا العالم الواسع.

في الحالة الفلسطينية، تباينت وجهات النظر حول تقييم أداء الحكومة، مع أن تقارير منظمة الصحة العالمية أشادت بجهود السلطة، وبأداء وزارة الصحة تحديدا، وكذلك فعل فريق خبراء كورونا الذي قدم خصيصا من الصين، واطلع على الوضع عن كثب، وأشاد باستراتيجية السلطة في التصدي للجائحة، وكذلك تقارير

صحافية عديدة اعتبرت أداء الحكومة جيداً أو مقبولاً ضمن الإمكانات المتاحة، وفي ظل الظروف السياسية والاقتصادية الصعبة.. مع ذلك، فإن مختصين، ونشطاء، ومن عامة الشعب عبروا عن عدم رضاهم عن أداء الحكومة، واعتبروها مقصرة، وتتخبط بقراراتها، خاصة قرارات الفتح والإغلاق، ومواقيتها.

بعض الأصــوات اتهمت الحكومة بأنها انحازت لمصالح الأثرياء والرأسماليين حين قررت استئناف الأنشطة الاقتصادية وفتح الأسواق والمحال.. وذلك على حساب صحة المواطنين، وفي حقيقة الأمر المتضرر الأكبر من سياسات الإغلاق هم عامة الشعب والناس البسطاء وعمال المياومة والحرفيون وأصحاب المنشآت الصغيرة، في حين أن الأثرياء في فلسطين، في بقية دول العالم لديهم من الأرصدة ما يضمن لهم حياة رغيدة.

مشكلة الموازنة بين الاعتبارات الصحية وضرورة الحفاظ على صحة وأرواح المواطنين من جهة، وبين احتياجات الناس اليومية، وضرورة عدم إيقاف عجلة الاقتصاد والأنشطة التجارية والاجتماعية والثقافية من جهة ثانية من أعقد المشاكل.. فالاعتبارات الصحية تقتضي تقييد الحركة والإغلاق، على عكس الاحتياجات الاقتصادية والحياتية اليومية التي تتطلب فتح كل شيء، وعدم تقييد الحركة.

تلك هي مشكلة كل دول العالم، لكن ما يفاقم المشكلة في فلسطين الاعتبارات السياسية، وواقع الاحتلال، وعدم سيطرة السلطة على المنافذ والحدود والمعابر، والتداخل اليومي في مختلف القضايا مع أهلنا في الداخل المحتل، وهيمنة سلطات الاحتلال على الموارد والمقدرات ومناطق C، واختلاف سياساته واستراتيجيته عن سياسة الحكومة الفلسطينية واستراتيجيتها بشأن التعاطي مع الأزمة.

فمثلا بلغت الإصابات في (إسرائيل) نحو ١١٤ ألف إصابة، والوفيات ٩٠٩. أما في الضفة الغربية وقطاع غزة فبلغت الإصابات ٢٢ ألف إصابة والوفيات ١٤٩. أي أن عدد الإصابات في إسرائيل أكثر بخمسة أضعاف مقارنة مع الضفة والقطاع، وعدد الوفيات يزيد بستة أضعاف.

ومن الانتقادات التي وجهت للحكومة طريقة إدارتها لصرف التعويضات للمتضررين، من خلال «صندوق وقفة عز»، وهو صندوق أنشئ بقرار من رئيس الحكومة، ويهدف إلى تعزيز التضامن والتكافل بين مختلف أبناء الشعب الفلسطيني، من خلال مشاركة المؤسسات والشركات ورجال الأعمال والأفــراد داخل فلسطين والشتات، بالمساهمة في الصندوق، للتخفيف من آثار الأزمة الاقتصادية، ومواجهة جائحة كورونا في فلسطين.

انحصرت تبرعات الصندوق في توجيه الدعم للعائلات المعوزة والمتضررة جراء الأزمة من خلال وزارة التنمية الاجتماعية، وتقديم الدعم لتلبية احتياج القطاع الصحي عن طريق وزارة الصحة الفلسطينية. وقد بلغت قيمة التبرعات ١٢,٥ مليون دينار أردني، لغاية ٢٠٢٠/٥/١١.[٢١] وهو رقم أقل بكثير من المبلغ المتوقع جمعه، لذا كانت التعويضات متواضعة مقارنة بحجم الضرر، كما أن أسراً كثيرة متضررة لم تحصل على أي تعويض، مقابل أسر غير مستحقة حصلت على تعويض، ومثل هذا النوع من الأخطاء وارد، مع أنه غير مقبول، وغير مبرر، ولكن هذا يفتح المجال أيضاً لانتقاد رجال الأعمال والشركات الكبرى لعدم تبرعهم، أو تبرعهم بمبالغ متواضعة.

ومع استمرار الجائحة، ومعها حالة الطوارئ، يُظهر منحنى إصابات كورونا خللاً ما، قد يكون سببه عدم تقيد فئات كثيرة من المجتمع بالتعليمات الصحية، خاصة المشاركة في الأعراس والتجمعات الكبيرة، أو بسبب غياب الاستراتيجية الصحيّة الموحّدة، ولا يبدو إذا وصل المنحنى إلى الذروة، أم ما زال أمامه صعود آخر، حيث لا تتوفر مؤشرات لنهاية وشيكة للوباء أو نهاية زمنية واضحة في الرسم البياني له، وهذا الأمر يهدد قدرة نظام الرعاية الصحية على تقديم المساعدة، وما يعزز خطورة هذا التهديد عدم الالتزام الواضح من المواطنين بإجراءات الوقاية.

مع التمنيات بالسلامة للجميع

الهوامش:

١ تقرير منظمة الصحة العالمية. https://www.bbc.com/arabic/51855397

٢ موقع منظمة الصحة العالمية. https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/advice-for-public/q-a-coronaviruses

٣ أول انكماش اقتصادي في الصين، وكالة فرانس برس ٢٤. https://www.france24.com/ar/20200417

4 BBc news. https://www.bbc.com/arabic/interactivity-52346836

٥ سطو وقرصنة، الجزيرة نت، https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/25

٦ إحصاءات منظمة الصحة العالمية، و worldometer. https://www.worldometers.info/coronavirus/?utm_campaign=homeAdvegas1?

٧ أمجد غانم، تقرير مجلس الوزراء، http://www.palestinecabinet.gov.ps/portal/news/details/51401

٨ تصريح مدير مكتب منظمة الصحة العالمية في فلسطين د. جيرالد روكنشواب http://site.moh.ps/index/ArticleView/ArticleId/4851/Language/ar

٩ أمجد غانم، تقرير مجلس الوزراء، http://www.palestinecabinet.gov.ps/portal/news/details/51401

١٠ أمجد غانم، تقرير مجلس الوزراء، http://www.palestinecabinet.gov.ps/portal/news/details/51401

١١ أمجد غانم، تقرير مجلس الوزراء، http://www.palestinecabinet.gov.ps/portal/news/details/51401

١٢ وزارة الصحة الفلسطينية، المرصد الإلكتروني لكوفيد١٩، http://site.moh.ps/index/index/Language/ar

١٣ وزارة الصحة الفلسطينية، المرصد الإلكتروني لكوفيد١٩، http://site.moh.ps/index/index/Language/ar

١٤ د. مي الكيلة، وزيرة الصحة، طبيبة ودبلوماسيّة وأكاديميّة، تحمل درجة الدكتوراه في الصحة العامة والإدارة الصحية، ذات خبرة واسعة في إدارة المؤسسات الصحيّة ورسم سياساتها.

١٥ مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة، https://www.ochaopt.org/ar/content/covid-19-response-plan

١٦ وزارة الصحة الفلسطينية، المرصد الإلكتروني لكوفيد١٩، http://site.moh.ps/index/index/Language/ar

17B-NEWS،http://bnews.ps/news/5e85cf28e914c614e47d8f3d

أجهزة التنفس والكادر الطبي، وكالة سند للأنباء، ٢٢-٣- ١٨ 2020https://snd.ps/p/24037.

أجهزة التنفس والكادر الطبي، وكالة سند للأنباء، ٢٢-٣- ١٩ 2020https://snd.ps/p/24037.

٢٠ كم جهازا للتنفس تحتاج الضفة في أسوأ الظروف، وكالة معا الإخبارية. ٢٠٢٠/٣/٢٢. https://www.maannews.net/news/1010559.html

٢١ صندوق وقفة عز, https://www.waqfetizz.ps/

فيروس كورونا يعزز التجارة الإلكترونية في فلسطين.. فرص وتحديات

محمود أبو شنب*

مقدمة

عطل فيروس كورونا (كوفيد-١٩) عجلة الحركة الاقتصادية في مختلف بلدان العالم، التي اتخذت إجـراءات وقائية صارمة لمنع تفشي الفيروس حفاظاً على صحة المواطنين وسلامتهم، ولجأت دولة فلسطين تبعاً للحالة الوبائية إلى إعلان حالة الطوارئ مبكراً بتاريخ ٥ آذار ٢٠٢٠.[١]

تبعها إجـراءات حكومية لتنفيذ حالة الطوارئ تتراوح بين الإغلاق الكلي والجزئي و»التوازن بين الصحة والاقتصاد» للحد من انتشار الفيروس الذي أصاب ٤١٤١٦ مواطناً في فلسطين حتى تاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٠[٢].

فرضت تداعيات فـيروس كورونا على الاقتصاد الفلسطيني، تحديات جديدة على مختلف مركبات الاقتصاد الوطني، خاصة أنه يعاني من تشوهات اقتصادية جراء سياسات الاحتلال الإسرائيلي الذي يتحكم بمدخلات الإنتاج ويفرض نظام سيطرة وتحكم للحد من وجود اقتصاد دولة وبقائه تابعاً لاقتصاد الاحتلال الإسرائيلي، ومن المتوقع أن ينكمش الاقتصاد بنسبة ٧,٦٪ على الأقل إذا عادت الأوضاع الطبيعية تدريجياً بعد حالة الاحتواء، وبنسبة تصل إلى ١١٪ إذا كان الانتعاش الاقتصادي أبطأ أو فُرضت قيود إضافية،[٣] وتقدر الحكومة الفلسطينية قيمة الخسائر الإجمالية للاقتصاد الفلسطيني الناجمة عن

* باحث في السياسات العامة.

كورونا بـ ٣,٨ مليار دولار.[٤]

وعلى الرغم من توقف معظم القطاعات الاقتصادية جراء الجائحة الصحية المستمرة، فإن بعض القطاعات شهدت انتعاشاً وازدهاراً كما هو حال قطاعات المستلزمات الطبية والأدوية، والاتصالات وتكنولوجيات المعلومات، والثروة الزراعية، والتجارة الإلكترونية خاصة في البلدان القائمة على الاقتصاد الرقمي، مما وضع أمام الحكومات ومختلف مكونات الاقتصاد فرصة الاهتمام بالتجارة الإلكترونية وتوظيف التكنولوجيا في ممارسة الأنشطة التجارية للتغلب على الأزمات وتداعياتها، وهذا يقودنا للبحث في واقع التجارة الإلكترونية في فلسطين خلال الجائحة الصحية المستمرة منذ شهر تموز ٢٠٢٠، من خلال المنهج الوصفي التحليلي والخروج بأهم التوصيات التي من شأنها أن تعزز فرضية توظيف التكنولوجيا في ممارسة الأنشطة الاقتصادية وبناء اقتصاد رقمي يعزز فرص النمو والازدهار والتغلب على تداعيات الأزمات.

التجارة الإلكترونية

تعرف منظمة التجارة العالمية (WTO) التجارة الإلكترونية بأنها «الإنتاج والتوزيع والتسويق والبيع أو تسليم البضائع والخدمات بالوسائل الإلكترونية»[٥] وهناك العديد من التعريفات يمكن تلخصيها بأن التجارة الإلكترونية هي «تنفيذ كل ما يتصل بعمليات بيع وشراء السلع والخدمات والمعلومات باستخدام شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى الشبكات التجارية العالمية الأخرى». ويشمل ذلك:[٦]

١. عمليات توزيع السلع وتسليمها ومتابعة الإجراءات.
٢. سداد الالتزامات المالية ودفعها.
٣. إبرام العقود وعقد الصفقات.
٤. التفاوض والتفاعل بين المشتري والبائع.
٥. علاقات العملاء التي تدعم عمليات البيع والشراء وخدمات ما بعد البيع.
٦. المعلومات عن السلع والبضائع والخدمات.
٧. الإعلان عن السلع والبضائع والخدمات.
٨. الدعم الفني للسلع التي يشتريها الزبائن.
٩. تبادل البيانات إلكترونياً (Electronic Data Interchange) بما في ذلك:
١. التعاملات المصرفية.
٢. الفواتير الإلكترونية.
٣. الاستعلام عن السلع.
٤. كتالوجات الأسعار.
٥. المراسلات الآلية المرتبطة بعمليات البيع والشراء.

أنواع التجارة الإلكترونية

١. **التجارة الإلكترونية بين الأعمال B2B:** هي تجارة إلكترونية تتم بين مؤسسات الأعمال فيما بينها، ومن أمثلتها قيام

مؤسسة ما باستخدام شبكة الإنترنت للحصول على طلبياتها من الموردين واستلام الفواتير وتسويتها.[٧]

٢. **التجارة الإلكترونية من الأعمال إلى المستهلك B2C:** يشير هذا النوع من التجارة الإلكترونية إلى التبادلات الإلكترونية بين مؤسسات الأعمال والزبائن، حيث تقوم المؤسسة بعرض المنتجات والخدمات وتسويقها وبيعها للزبائن وتقديم الدعم والخدمات، والإجابة عن استفساراتهم إلكترونياً.

٣. **التجارة الإلكترونية من المستهلك إلى الأعمال C2B:** يشير هذا النوع من التجارة الإلكترونية إلى اتصال الزبائن في شكل مجموعات بالمؤسسات باستخدام التكنولوجيا الرقمية لتحقيق مكاسب من خلال الحصول على عروض خاصة كخصم الكمية، حيث يستفيد الزبائن من اجتماعهم معاً في تشكيل قوة اقتصادية يخاطبون من خلالها هذه المؤسسات.

٤. **التجارة الإلكترونية من المستهلك إلى المستهلك C2C:** في هذا النوع من التجارة الإلكترونية يتم التعامل بين المستهلكين فيما بينهم مباشرة ودون الحاجة إلى وسطاء من خلال مواقع خاصة مثل، .eBay com ويشتمل ذلك على المزادات الإلكترونية التي يتم فيها التعامل بين المستهلكين.

٥. **التجارة الإلكترونية من الأعمال إلى الحكومة B2G:** وهي التجارة بين الشركات والحكومة (محلياً).

التجارة الإلكترونية عالمياً

يشهد حجم التجارة الإلكترونية عالمياً نمواً متسارعاً، حيث بلغت مبيعاتها أكثر من ٣,٥ تريليون دولار في جميع أنحاء العالم في العام ٢٠١٩ بزيادة ٢٠,٧ في المائة عن ٢٠١٨. وبلغ عدد المتسوقين الإلكترونيين لعام ٢٠١٩ نحو ١,٩ مليار نسمة بواقع مبيعات نحو ٣,٥ تريليون دولار مقارنة بـ١,٨ مليار شخص في العام ٢٠١٨ وهو ما يقارب ربع سكان العالم ومن المتوقع أن يزداد العدد إلى ٢,١٤ مليار نسمة في العام ٢٠٢١ بواقع مبيعات ستبلغ نحو ٤,٩ تريليون دولار.[٨]

ارتفعت في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إيرادات المبيعات عبر الإنترنت بشكل متسق مع توقعات بأن تبلغ إيراداتها ٤٨,٨ مليار دولار بحلول العام ٢٠٢١، وبمعدل نمو يبلغ ٩ر١٦٪ خلال الأعوام من ٢٠١٦ إلى٢٠٢١.

وشكلت التجارة الإلكترونية نحو ١٩٪ من إجمالي مبيعات التجزئة في المنطقة في العام ٢٠١٧، مع تصدر مجلس التعاون الخليجي بـ ٣٪. وبحسب ما توضحه دراسة أجرتها«Bain» و google هناك حاجة لتعزيز العناصر

مبيعات التجارة الإلكترونية عالمياً في الفترة من (٢٠١٧ -٢٠٢٣) بالتريليون دولار أميركي.[١١]

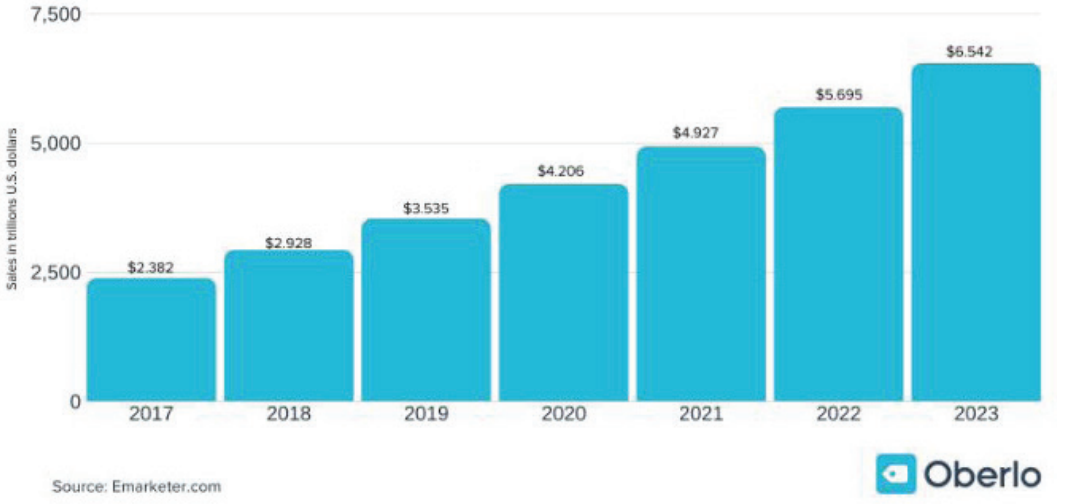

الأساسية لنظام التجارة الإلكترونية في المنطقة من أجل نمو التسويق.[٩]

وتأتي الإمارات في المركز الأول في قائمة الدول العربية الأكثر تسوقاً عبر الإنترنت بنسبة ٣٥٪ من إجمالي تجارة السلع والعملات، وفي المركز الثاني تأتي السعودية بنسبة ١٠٪ من إجمالي تجارة السلع والعملات، وفي المركز الثالث تأتي مصر بنسبة ٩٪ من إجمالي تجارة السلع والعملات.[١٠]

أبرز القطاعات التي تصدرت سوق التجارة الإلكترونية عام ٢٠١٩

تصدر قطاع السفر والإقامة أبرز القطاعات في سوق التجارة الإلكترونية بقيمة ١,١٩ تريليون دولار، بنسبة نمو ٧,٩٪، مستحوذاً على نسبة ٣٤,٦٪. وحل في المركز الثاني قطاع الموضة والأزياء ومنتجات التجميل بـ ٦٢٠,١ مليار دولار، بنسبة نمو ١٨٪. وجاء قطاع الإلكترونيات بحجم سوق بلغ ٤٥٦,٩ مليار دولار، بنمو ١٨٪، وعلى مستوى لعب الأطفال والهوايات سجل حجم التجارة الإلكترونية ٣٨٣,٢ مليار دولار، بنمو ١٦٪. في حين بلغت منتجات الأثاث ٣١٦,٧ مليار دولار، بنمو ١٩٪، ثم الأغذية والعناية الشخصية بـ ١٦٨,٨ مليار دولار بنمو ١٣٪، ثم ألعاب الفيديو بـ ٨٣,١٥ مليار دولار بنمو ٤,٩٪، ثم الديجيتال ميوزيك بـ ١٣,٥٩ مليار دولار بنمو ٤,٨٪[١٢]

ترتيب أكبر ١٠ دول عالمياً في مبيعات مواقع التجارة الإلكترونية[١٣]

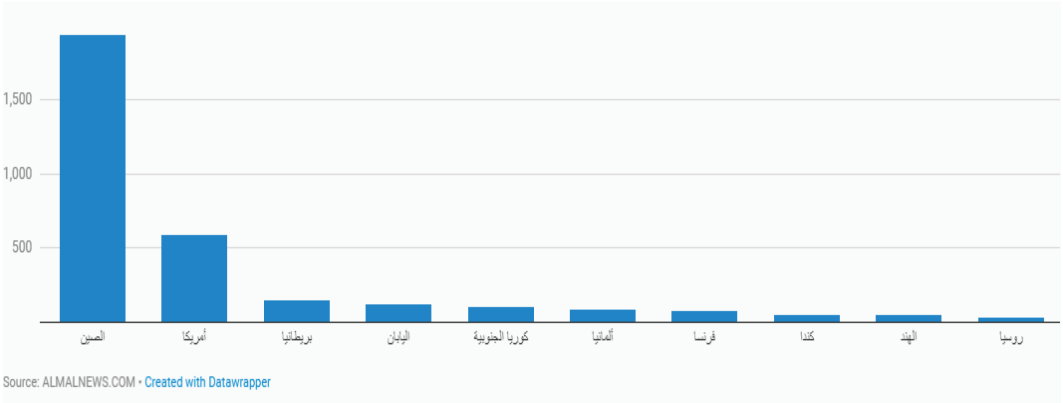

تأثير كورونا على التجارة الإلكترونية عالمياً

كشفت تقرير متخصص عن «مؤشر التسوّق» للربع الأول من العام ٢٠٢٠، الذي يتناول بيانات وأنشطة ما يزيد على مليار متسوّق حول العالم، عن تغيّرات في سلوكيات الشراء حول العالم، تأثراً بانتشار جائحة فيروس «كوفيد-١٩» وإقدام العملاء على شراء المنتجات خلال التزامهم بالبقاء في منازلهم.[١٤]

أبرز الاستنتاجات من مؤشر التسوق للربع الأول من العام ٢٠٢٠ تتضمن:

١. **ارتفاع الطلب على التجارة الإلكترونية:** سجلت مبيعات التجارة الإلكترونية نمواً بمعدّل ٢٠٪ في الربع الأول من العام ٢٠٢٠ مقارنة بمعدّل ١٢٪ في الفترة ذاتها من العام ٢٠١٩، تضمن ذلك زيادة عدد زوار المواقع بمعدل ١٦٪ وزيادة في إنفاق المتسوقين بمعدل ٤٪ (ارتفاع متوسّط مبلغ الإنفاق المتسوّق لكل زيارة). ومن المتوقّع استمرار هذا التوجه للنمو مع تركيز الشركات أكثر على التجارة الإلكترونية.

٢. **تحول مشتريات السلع الرئيسة إلى التسوّق الرقمي:** تسببت سياسات التباعد الاجتماعي والتزام المنازل في ارتفاع الطلب على عدد من السلع الرئيسة عبر متاجر التسوّق الرقمي والتجارة الإلكترونية، بما في ذلك منتجات المواد الغذائية، والعناية الشخصية، والعديد غيرها. ومع التزام السكان حول العالم بالبقاء في منازلهم في الفترة بين ١٠ آذار وحتى ٢٠ آذار، سجلت مبيعات هذه السلع الرئيسة ارتفاعاً بمعدل ٢٠٠٪ وحافظت على ارتفاعها في الربع الأول من العام.

٣. **التسليم من المتاجر» يوفّر مزيدا من**

الأمان والمرونة للمستهلكين: تتيح بعض مواقع التسوّق الإلكترونية إمكانية الشراء عبر الموقع ومن ثم استلام المنتجات من المتاجر التقليدية، وهو ما أسهم في نمو إيرادات المبيعات الإلكترونية بمعدل ٢٧٪ في الربع الأول، مقارنة بنمو بلغ ١٣٪ فقط للمواقع التي لم توفّر هذا الخيار للتسليم. ففي الفترة ما بين ١٠ آذار وحتى ٢٠ آذار، سجلت إيرادات المبيعات الرقمية التي وفّرت خيار التسليم من المتاجر نموا بمعدل ٩٢٪ - سواء كان التسليم على رصيف الطريق، أو التسليم في السيارة، أو عبر منصات التسليم أثناء القيادة، أو حتى الاستلام من المتاجر – مقارنة بنمو لم يتجاوز ١٩٪ للمواقع الإلكترونية التي لم توفر خيارات مماثلة خلال الفترة ذاتها من السنة.[١٥]

٤. **طفرة في المبيعات الإلكترونية للسلع المنزلية، وملابس الأنشطة، والألعاب:** استمر المتسوّقون في شراء عدد من السلع غير الأساسية أثناء تسوّقهم لعدد من السلع الأساسية. فشهدت إيرادات المبيعات الرقمية نموا بمعدل ٥١٪ لصناعة المنتجات المنزلية (الديكورات المنزلية والحرف اليدوية)، وزيادة سنوية تصل إلى ٣١٪ لملابس الأنشطة (كالملابس الرياضية)، وزيادة سنوية بمعدل ٣٤٪ لمنتجات التسالي والألعاب.[١٦]

٥. **المتسوّقون في المناطق انتشار «كوفيد-١٩» يلجؤون إلى القنوات الرقمية للحصول على السلع الأساسية:** شهدت الفترة بين ١٠ آذار إلى ٢٠ آذار ارتفاع حجم الإنفاق على التسوّق الإلكتروني لشراء السلع الأساسية في منطقة نيويورك بمعدل ١٥٨٪. أما في كاليفورنيا، فقد زاد حجم الإنفاق على التسوّق الإلكتروني بمعدل ٢٣٠٪، ووصل في ولاية واشنطن إلى ١٥٧٪، ولويزيانا إلى ١٦٧٪، وذلك خلال الفترة ذاتها من السنة.[١٧]

بينت منظمة التجارة العالمية أن زيادة ملحوظة سجلت في استخدام التجارة الإلكترونية مع تكيف المستهلكين مع إجراءات الإغلاق والتباعد الاجتماعي. غير أن المنظمة وجهت الانتباه إلى تحديات عدة، مثل الحاجة إلى سد الفجوة الرقمية داخل البلدان وفيما بينها.[١٨]

شهدت مبيعات التجارة الإلكترونية حسب مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) ٢٥,٦ تريليون دولار في جميع أنحاء العالم سنة ٢٠٢٠، بزيادة قدرها ٨ بالمائة مقارنة بسنة ٢٠١٧، حيث قدرت قيمة مبيعات التجارة الإلكترونية سنة ٢٠١٨، التي تشمل عمليات

البيع بين الشركات (B2B) وبين الشركات والمستهلك (B2C)، وعادلت ٣٠ بالمائة من الناتج المحلي الخام على مستوى العالم خلال هذا العام.[١٩]

ووفقا لأحدث تحليل حول التجارة الرقمية لبيانات وزارة التجارة الأميركية في الأشهر الستة الأولى من العام ٢٠٢٠، أنفق المستهلكون ٣٤٧,٢٦ مليار دولار على الإنترنت مع تجار التجزئة بزيادة ٣٠,١٪ من ٢٦٦,٨٤ مليار دولار للفترة نفسها من العام ٢٠١٩، وبالمقارنة، نمت مبيعات التجارة الإلكترونية خلال النصف الأول من العام ٢٠١٩ بنسبة ١٢,٧٪ فقط على أساس سنوي.[٢٠] ومثل الإنفاق عبر الإنترنت ١٨,٦٪ من إجمالي مبيعات التجزئة للربعين الأولين من العام ٢٠٢٠.

نمت مبيعات البقالة عبر الإنترنت بنسبة ٢٢,٠٪ في العام ٢٠١٩، مما جعل التجارة الإلكترونية قناة مبيعات البقالة الأسرع نمواً بفارق كبير. لكن التجارة الإلكترونية للبقالة نمت بشكل أسرع بمجرد انتشار فيروس كورونا في جميع أنحاء العالم في أوائل العام ٢٠٢٠.

حصة التجارة الإلكترونية بحلول نهاية نيسان ٢٠٢٠، كانت في سوق البقالة تراكمية ١٢,٤٪ في جميع أنحاء الصين وفرنسا وإسبانيا والمملكة المتحدة، بزيادة من ٨,٨٪ في نهاية العام ٢٠١٩ حيث إن مبيعات بائعي التجزئة على الإنترنت «المحترفين» - أولئك الذين يعملون بشكل أساسي عبر الإنترنت - دفعت هذا النمو. على سبيل المثال، ارتفعت حصة مجموعة علي بابا في السوق الصينية إلى ١٠,٩٪ بنهاية نيسان. هذا ارتفاع من ٥,٧٪ في نهاية العام ٢٠١٩.[٢١]

وشهدت مبيعات شركة أمازون للتجارة الإلكترونية قفزة وصلت إلى ٢٦٪ خلال الربع الأول من العام الجاري، مقارنة بالفترة المقابلة من العام الماضي، لتصل إلى ٧٥ر٥ مليار دولار، بحسب ما أعلنته أمازون عقب إغلاق الأسواق الأميركية. وأمازون هي أكبر شركة عالمية لتجارة التجزئة عبر الإنترنت.[٢٢]

التجارة الإلكترونية في فلسطين

شهدت فلسطين تقدماً ملحوظاً في السنوات الأخيرة في مجال «التجارة الالكترونية»، حيث استقبل البريد الفلسطيني أكثر من نصف مليون مادة بريدية من الخارج خلال عام ٢٠١٩، ويذكر أن أغلبية المواد البريدية قادمة من جمهورية الصين الشعبية بنسبة تبلغ ٧,٨٤ ٪[٢٣]، ويأتي البريد الوارد من الأردن في المرتبة الثانية بنسبة تبلغ ٣,٤٪ من مجموع المواد البريدية الواردة، ثم أميركا وباقي دول العالم.

وترجع زيادة حجم البريد أساسا لتنامي حجم التجارة الإلكترونية وتنامي الطلب على مواقع التجارة الإلكترونية التي أصبحت تشكل مصدر دخل للبعض عبر استيراد السلع التي لا تتواجد في السوق الفلسطينية.[٢٤]

وأظهرت نتائج المسح الأسري لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات لعام ٢٠١٩ أن ما نسبته ٨٪ من مستخدمي الإنترنت قد قاموا بشراء سلع أو خدمات عبر الإنترنت في فلسطين بواقع ٩٪ في الضفة الغربية و٦٪ في قطاع غزة. أما فيما يتعلق بأبرز أنواع السلع أو الخدمات المشتراة عبر الإنترنت، فأظهرت نتائج المسح أن ٦٣٪ من الأفراد (١٨ سنة فأكثر) الذين قاموا بشراء سلع أو خدمات عبر الإنترنت قاموا بشراء الملابس أو الأحذية أو الملابس الرياضية أو الإكسسوارات، يليها مستحضرات التجميل بنسبة ٢٢٪، ويليها السلع المنزلية (مثلا الأثاث، والألعاب، وما إلى ذلك، باستثناء المنتجات الإلكترونية الاستهلاكية) بنسبة ٪.[٢٥]

وبين معطيات تقرير حديث حول اتجاهات وسائل التواصل الاجتماعي في الضفة الغربية وقطاع غزة، عن وجود أكثر من ألف صفحة للتجارة الإلكترونية الفلسطينية، على منصات التواصل الاجتماعي في العام ٢٠١٩، مع ارتفاع النسبة المئوية لتلك التي تعمل من غزة. وبالاستناد إلى دراسة استقصائية لصفحات التجارة الالكترونية النشطة، وجد التقرير أن شركات التجارة الالكترونية الفلسطينية قد عالجت ما بين ٢٠ إلى ٤٠ ألف عملية تسليم في عام ٢٠١٩. وأن كل شركة من شركات التسويق الرقمي، أنفقت ما يتراوح بين خمسة آلاف إلى عشرة آلاف دولار في العام ذاته.[٢٦]

وتعددت وسائل التجارة الإلكترونية في فلسطين بين المواقع إلكترونية والتطبيقات، أو من خلال صفحات عبر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث بلغ مثلا في وسائل التواصل الاجتماعي أكثر من ٧٠٠ صفحة بين فيسبوك وانستغرام للتسويق الالكتروني في قطاع غزة ومثلها في الضفة الغربية وأراضي ٤٨، والقدس المحتلة.[٢٧]

وأطلقت سلطة النقد الفلسطينية الإستراتيجية الوطنية لتطوير وسائل الدفع الإلكتروني ٢٠١٨-٢٠٢٣ والتي تستهدف تطوير وسائل الدفع بالتجزئة من خلال تطوير البنية التحتية لأنظمة وأدوات الدفع الإلكترونية في فلسطين وخفض المخاطر المرتبطة بعدم وجود عملة وطنية ومكافحة تبيض الأموال.[٢٨]

وأعلنت الشركة الوطنية لخدمات الدفع الالكتروني «Jawwal Pay» عن إطلاق خدماتها التجارية المتعددة للدفع الإلكتروني ومحفظة

الهاتف النقال بعد حصولها على رخصة نهائية من سلطة النقد الفلسطينية لمباشرة العمل، وسيتيح للمستخدمين إجراء معاملاتهم المالية مثل: إرسال واستلام الأموال داخل فلسطين أو إعادة تعبئة خطوط الهاتف النقال وتسديد الفواتير في أي وقت وبطريقة سهلة وسريعة، كما أن الخدمة سوف تسهّل عمليات الدفع للتجار أو قطاع الأعمال، وكذلك الشراء من خلال مواقع التجارة الإلكترونية مباشرة. [٢٩]

أبرز المعيقات التي تحول دون انتشار التجارة الإلكترونية في المجتمع الفلسطيني: [٣٠]

١- عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي يعاني منه المجتمع الفلسطيني؛ نتيجة لاستمرار الاحتلال الذي يقف عائقًا أمام تطور هذا المجتمع واستقراره الأمني، ويحول دون خلق البيئة المناسبة لبناء اقتصاد فلسطيني متطور وفاعل وحيوي ومتحرر من التبعية للاقتصاد الإسرائيلي.

٢- غياب البيئة القانونية الناظمة للتجارة الإلكترونية في فلسطين، التي توفر الثقة والأمان وحفظ الحقوق؛ فكل العمليات الجارية في الأرض الفلسطينية تتم عبر وسيط وفي ظل فراغ قانوني.

٣- غياب البوابة التي تتم من خلالها المعاملات الإلكترونية وتضمن صحة المعاملات المالية لهذه التجارة، وعدم توفر الخدمات المصرفية الإلكترونية بشكل كاف، وخاصة أدوات الدفع الإلكترونية.

٤- غياب ثقافة الشراء عبر الإنترنت في المجتمع الفلسطيني، لمحدودية السوق، وطبيعة الشراء السريع المتوفر، والثقافة الفلسطينية التي تفضل رؤية البضاعة قبل شرائها؛ أي المعاملة وجها لوجه.

آثار فيروس كورونا(كوفيد-١٩) على التجارة الإلكترونية في فلسطين

دفع فيروس كورونا(كوفيد-١٩) المستهلكين والشركات الفلسطينية بمختلف أنواعها إلى تغيير الأنماط التقليدية في ممارسة الأنشطة التجارية للتغلب على تداعياتها الاقتصادية، من خلال توظيف المنصات والصفحات الإلكترونية في تقديم الخدمات، عبر إنشاء متاجر إلكترونية وعقد صفقات تجارية بين الشركات وزيادة في حجم التسوق عبر الإنترنت، واستخدام وسائط التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهاتف المحمول في عمليات البيع والشراء، الأمر الذي ساهم في ارتفاع حجم مبيعات التجارة الإلكترونية إلى المستهلكين.

فرضت جائحة كورونا في فلسطين، متغيرات جديدة على عمليات العرض والطلب، والتسويق والترويج، ووجد المستهلك والمستثمر والمنتج الفلسطيني نفسه أمام سوق عالمية تتبنى

آليات الترويج والتسويق الإلكتروني للتغلب على تداعيات كورونا التي أظهرت الضرورة الملحة للنهوض بالتجارة الإلكترونية وأهميتها الكبيرة في الاندماج مع اقتصاديات البلدان وتنمية التجارة المحلية والخارجية.

وأظهرت كورونا الفرص المتاحة أمام الشباب، في ممارسة الأعمال عن بعد والحصول على وظائف متخصصة في مجالات التجارة الإلكترونية ومكملاتها التي تحظى باهتمام عالمي ومحلي، وتشهد نموا متسارعاً، وقد تم استحداث شركات توصيل بين المزود والمستهلك وهذا خلق فرص عمل في مجال التوصيل.

وعلى الرغم من إجراءات التباعد الاجتماعي، والإغلاق سواء الكلي أو الجزئي، للحد من الإصابة بفيروس كورونا بدأت تتشكل بوادر ثقافة التجارة الإلكترونية بمختلف أنواعها لدى المستهلك والصانع والتاجر والتكيف مع الواقع الذي فرضه الفيروس وما نجم عنه من متغيرات سلوكية ومجتمعية مما انعكس إيجاباً في خلق فرص عمل وزيادة حجم المبيعات المتداولة عبر التجارة الإلكترونية.

شهدت مبيعات التجارة الإلكترونية لمجموعة عابدين الصناعية التجارية خلال فترة الجائحة الصحية وتحديداً في فترة الإغلاق (تموز-أيار ٢٠٢٠) ارتفاعاً بنسبة ٧٠٪ تقريباً، وتراجعت إلى ٤٠٪ عندما سمحت الحكومة بالعمل الجزئي واستقرت على ٦٠٪، كما انعكس حجم المبيعات الإلكترونية إيجاباً على قطاع الشحن والنقل والخدمات اللوجستية خلال الجائحة الصحية نتيجة إجراءات تقييد الحركة. [٣١]

وتسعى الشركة المذكورة إلى تطوير موقع التسويق الإلكتروني الخاصة بها بدل افتتاح فروع جديدة في محافظات الضفة الغربية، لأهمية التجارة الإلكترونية في عمليات التصنيف، والتسهيل على الزبائن، في تلبية احتياجاتهم من السلع وقد جرى رفع حجم الأصناف المدرجة ضمن التطبيق الإلكتروني من ٤ آلاف صنف إلى ١٤ ألف صنف، وأدى ذلك إلى توفير فرص عمل مباشرة وغير مباشرة في الجرافيك والتصوير وغيرها. لذلك وجدت الشركة أهمية الاستثمار في التسويق الإلكتروني في تقليل حجم النفقات بالإضافة إلى السرعة في عمليات الوصول إلى الصنف وهذا يخدم عمليات العروض على السلع. [٣٢]

وبين محمد عفيف القواسمي رئيس مجموعة شركات للصناعات الغذائية والتكنولوجيا، أن حجم المبيعات الإلكتروني زاد بشكل كبير خاصة الصناعات الغذائية المنزلية حيث شهد حجم مبيعاتها عبر التسويق الإلكتروني خلال الفترة الممتدة (تموز- أيار ٢٠٢٠) ارتفاعاً بأكثر من ٦٠٪ مقارنة مع الفترة نفسها من العام ٢٠١٩ كما جرى توظيف أيد عاملة لتلبية

احتياج الزبائن.[٣٣]

وفي ظل إغلاق العديد من القطاعات التجارية منعا للتجمعات والاختلاط قامت المحال التجارية بإنشاء متاجر إلكترونية عبر منصات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهاتف المحمول من أجل تلبية احتياج المواطنين من السلع والمنتجات وحتى الخدمات، وأتاح التسويق الإلكتروني بدائل لتجار التجزئة وخاصة العاملين على البسطات والبائع المتجول.[٣٤]

وبين مدير عام الإدارة العامة لحماية المستهلك إبراهيم القاضي أن أصحاب شركات ومحال تجارية عملوا خلال أزمة كورونا منصات إلكترونية أو من خلال صفحة عبر فيسبوك والإعلانات الممولة في تقديم السلع للزبائن مع خدمة التوصيل، معتبراً استخدام السوبرماركت هذه المنصات سابقة في فلسطين في عمليات تسويق المنتجات أي أنه لم يتوقف على توصيل الوجبات أو الملابس أو الإكسسوارات بل نشطت في مجال الأحذية.[٣٥]

وجد المتسوقون إلكترونياً وفق استطلاع لموقع الاقتصادي أن وسيلة الشراء الإلكترونية طريقة سهلة وتوفر الوقت والجهد في تلبية احتياجات المنزل دون الحاجة إلى الخروج، وأن عملية التسويق الإلكتروني لم تكن بحسبان المواطن الفلسطيني من قبل، وهناك مواقع تقدم عروض مغرية ومنافسة وقد اتجهت الكثير من الأسر إلى تلبية احتياجاتها من خلال المواقع الإلكترونية المتخصصة في بيع مختلف السلع وصولاً إلى بعض محال التموين التي تعرض بضائعها على منصات الفيسبوك والخاصة بمتاجرها.[٣٦]

وسّعت شركة «واصل»، إحدى أكبر الشركات المتخصصة في تقديم الخدمات اللوجستية نشاطها منذ نحو عامين لتشمل توصيل السلع التي يطلبها الزبائن من شركات عبر الإنترنت، وأبرزها مستلزمات العناية الشخصية «كوزميتكس»، وإلى حد ما الملابس، إضافة إلى خدماتها التقليدية في نقل البريد لكبريات الشركات والبنوك والقنصليات والمؤسسات الأجنبية، «لكن هذا القطاع حقق قفزة هائلة خلال أزمة كورونا، وتوسع ليشمل قائمة طويلة من السلع، كالأغذية المساعدة (فيتامينات)، وأصنافاً من الأدوية التي لا تحتاج إلى وصفة طبية، والكهربائيات، وغيرها من السلع، إضافة إلى الكوزميتكس والملابس.[٣٧]

مالك عثمان، مدير الدائرة التجارية في مجموعة «واصل»، الشركة الفلسطينية للتوزيع والخدمات اللوجستية يتحدث عن قفزة هائلة تشير إلى أن معظم القطاعات استمرت بالعمل حتى مع وصول إجراءات تقييد الحركة إلى أقصاها، وتوقعنا في بداية الأزمة، تراجعاً حاداً في حجم النشاط نتيجة توقف الأعمال ما انعكس

على الدخل لدى المواطنين، لكننا تفاجأنا بأن التجارة الإلكترونية وخدمات التسليم قفزت إلى أكثر من الضعف.[٣٨]

ويقدر أحمد الرمحي، مالك ومؤسس شركة «وي ديلفر» للخدمات اللوجستية والتوصيل، الزيادة في حجم أنشطة «الدلفري» بأكثر من ٢٠٠٪ خلال شهرين فقط، قال إن «معظمها في قطاع المواد الغذائية، والمستلزمات الطبية، والملابس».[٣٩]

واعتبر طارق التميمي مدير عام غرفة تجارة وصناعة مدينة الخليل، أن الجائحة أتاحت فرصة في البدء بعملية التسويق بشكل أفضل، وكانت هناك حركة كبيرة في عمليات التسويق الإلكتروني وتبعها خدمات مكمل لها، وهناك مواقع تجارية إلكترونية عالمية منافسة مما يتطلب عرض السلع وفق المواصفات المطلوبة لافتاً إلى أن غرفة تجارة وصناعة مدينة الخليل عملت على تشجيع أصحاب المحال التجارية على التفكير بممارسة التسويق الإلكتروني.[٤٠]

وبين جمال الديك رئيس الاتحاد العام للفلاحين والتعاونيين الزراعيين الفلسطينيين، أن التجارة الإلكترونية كانت بوابة لتسويق منتجاتنا خلال الجائحة الصحية، وقد تم إبرام صفقات وخاصة في مجال المنتجات النسوية وتم التواصل مع بعض الشركات في الكويت وقطر والسويد لأغراض التصدير وتم تصدير شحنة إلى الكويت وأخرى إلى السويد بفعل التشبيك الإلكتروني.[٤١]

سجل إقبال المواطنين على التسجيل في غرفة تجارة وصناعة محافظة الخليل من أجل الحصول على خدمات تتعلق بالتجارة الإلكترونية وتوصيل الطرود ارتفاعاً ملحوظاً، أحد الشركات التي كانت تنقل نحو ٧ آلاف طرد بالشهر ارتفع إلى نحو ٢٠ ألف طرد خلال الجائحة الصحية وبالتالي أصبح العدد على مستوى الضفة والداخل الفلسطيني كبير جداً، وهناك أيضاً عدد كبير من شركات التوصيل التي توجهت للغرفة التجارية من أجل الحصول على تصاريح الحركة التي تتم بالتنسيق مع المحافظ ووزارة الاقتصاد الوطني وبالتالي أصبح صاحب المحل التجاري في وسط مدينة الخليل يبيع منتجاته عبر المنصات الإلكترونية إلى مختلف مدن الضفة الغربية دون الحاجة لفتحه.[٤٢]

وأشار محمد هشام أبو القمبز استشاري تسويق رقمي، إلى انتشار الصفحات الإلكترونية التجارية ذات العلاقة بمنتجات ومستلزمات الوقاية من كورونا، (كمامات، مواد تعقيم) وهناك شركات قدمت كامل خدماتها عبر التطبيقات الإلكترونية نظراً لعمليات الإغلاق مما أدى إلى إنعاش كبير في قطاع التجارة الإلكترونية والتوصيل واللوجستيات، وحالياً تتوفر فرصة أمام الشباب مع انتشار الثقافة

الإلكترونية والحلول والتعليم المجاني مما يؤهل للعمل عن بعد وفتح متجر الإلكتروني.[٤٣]

وباتت التجارة الإلكترونية غير مقتصرة على النطاق الدولي وإنما متاحة أمام الشركات والمصانع الفلسطينية ويومياً هناك إعلانات ممولة في مجال التجارة الإلكترونية ويتعامل معها المستهلك كونها شركات ومحال تجارية معروفة مما يعزز الثقة بين المستهلك والتاجر.

أشار طارق التميمي إلى منافسة كبيرة على المواقع الإلكترونية الخاصة بالتجارة الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي حيث كانت تشتري المنتج من محافظة الخليل وتقوم بعملية تسويقها إلكترونيا وكان هناك طلب عليها كما طرأت خدمات أخرى خاصة في مجال البريد، وعمل عدد كبير من شركات التوصيل أو شركات البريد المرخصة من وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ونؤكد على أهمية تخفيض تكلفة نقل السلعة، في ظل افتتاح خدمات مكتب البريد الأمر الذي يسهل عملية توصيل السلع للزبائن إلى البيت وفق المواصفات المطلوبة.[٤٤]

وتشير الإحصائيات إلى أن ٣٥-٤٠٪ من أصحاب المحال التجارية توجهوا إلى عمليات التسويق الإلكتروني سواء عبر مواقع إلكترونية أو عبر صفحات التواصل الاجتماعي لترويج المنتجات، وطرأ تحسن على ثقة المجتمع الفلسطيني في عمليات الشراء الإلكتروني مقارنة مع السنوات الماضية التي سادها تخوف من عمليات الشراء الإلكتروني لعدم وجود الهوية والمكان وفق حديث مدير عام غرفة تجارة وصناعة مدينة الخليل.[٤٥]

وأبرزت الجائحة الصحية التحديات التي تحد من النهوض بالتجارة الإلكترونية منها عدم توفر سياسات وأطر تشريعية ناظمة للتجارة الإلكترونية وعدم توفر قاعدة بيانات للصفحات الإلكترونية التي تعمل في مجال التجارة الإلكترونية كونها غير مرخصة خاصة عبر منصات التواصل الاجتماعي والتي يصعب إحصاؤها، بالتالي فإن استخدام منصات الإلكترونية له سلبيات وإيجابيات تتعلق بالمنافسة والتهرب الضريبي وعدم توفر فواتير على عكس الشركات الرسمية المسجلة والتي توفر معززات رسمية عند عملية الإعلان الإلكتروني.[٤٦]

تعاملت الإدارة العامة لحماية المستهلك في وزارة الاقتصاد الوطني مع عدد من الشكاوى ذات الصلة بالتجارة الإلكترونية وكان أكثرها متعلقاً بقطاع الملابس والأجهزة الكهربائية لاختلاف العلامة التجارية المطلوبة، كما تمت معالجة إشكالية المكيفات التي لا تحمل المواصفات نفسها، وتمت معالجة الإعلانات غير معلنة السعر خاصة في الحملات الإلكترونية وعلى وجه الخصوص في الأجهزة الكهربائية

والمكيفات والسيارات، حالياً هذه الأصناف تعلن مع السعر، وبعضها تم إخطار أصحابها لتصويب وضعها القانوني.[٤٧]

وفي ظل إجراءات تقييد الحركة والتنقل وارتفاع عمليات الشراء والاعتماد على وسائط التجارة الإلكترونية «شجعت الحكومة الفلسطينية خدمات التوصيل إلى المنازل سواء باستخدام السيارات أو الدراجات، حتى لا يحتاج المواطنون إلى مغادرتها والإضرار بالإجراءات الاحترازية لمواجهة كورونا، متوقعة أن تشكل فكراً ونمطاً استهلاكياً جديداً بعد انتهاء الأزمة وفق حديث سالم عاصم وزير النقل والمواصلات في الحكومة الفلسطينية.[٤٨]

استحدثت وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات خدمة «التوصيل والتحصيل» التي تشجع التجارة الإلكترونية الداخلية في فلسطين وإلى الخارج ولا تضيف أي أعباء على المستهلكين مما ينعكس إيجاباً على الاقتصاد الفلسطيني، حيث إن هناك خصما تشجيعيا يصل لغاية ٢٠٪ للتجار أصحاب المتاجر الإلكترونية التي تعمل على توفير طلبات المستهلكين الفلسطينيين.[٤٩]

أظهرت أزمة كورونا أهمية الاهتمام بالحالة الرقمية في فلسطين حيث انتعشت بعض الأنشطة الإلكترونية مثل الخدمات المصرفية الإلكترونية والتجارة الإلكترونية، على الرغم من عدم توفر بيئة ناظمة وآمنة للتجارة الإلكترونية في فلسطين. كما تمكنت العديد من المؤسسات الاقتصادية من متابعة العمل عن بُعد مع بعض التباين العائد إلى قصور في شبكة الإنترنت، أو عدم توفر الأجهزة الإلكترونية، أو عدم توفر المعرفة والخبرة الرقمية، كما أن طبيعة النشاط الاقتصادي تحدد مدى موافقة العمل الإلكتروني لمتطلبات هذا النشاط أو ذاك.[٥٠]

كشفت الجائحة الصحية وفق رئيس مجلس إدارة صندوق الاستثمار الفلسطيني، نائب رئيس الوزراء السابق، والمسؤول السابق في البنك الدولي محمد مصطفى، الحاجة الملحة لتطوير البنية التحتية الإلكترونية، حيث أظهرت الجائحة أيضاً عدم جاهزية البنية التحتية الإلكترونية اللازمة للمستقبل. (digital infrastructure) هذه البنية هي الشبكة الموازية لشبكة الطرق السريعة وشبكات الهاتف في الحقبة الماضية. إنها الشبكة اللازمة لتمكين خدمات التجارة الإلكترونية، والتعليم عن بعد، والخدمات الصحية المتقدمة، والمعاملات المالية الإلكترونية، والعمل من المنزل، وعقد الاجتماعات دون سفر. وبذات الأهمية، لا بد من دعم مراكز البحث والتطوير والمبدعين وشركات الريادة والتكنولوجيا، لأن اقتصاداً جديداً سيُخلق في العالم بعد انتهاء أزمة كورونا بشكلٍ سيتخطى فيه الثورة الصناعية الرابعة إلى ما بعدها. [٥١]

خاتمة

في ظل عدم التقين بموعد انتهاء فيروس كورونا COVID-19 فإنه يتحتم على المجتمعات التكيف مع تداعيات هذا الفيروس اقتصادياً واجتماعياً وسلوكياً والتفكير في الانتقال من الأنماط التقليدية في ممارسة الأعمال والأنشطة التجارية إلى توظيف وسائط التجارة الإلكترونية لضمان الاستمرار في تقدم الخدمات وسلسلة التوريد والتوزيع والتغلب على الخسائر التي تتكبدها المنشآت التجارية في ظل التدابير الصحية لمنع انتشار فيروس كورونا.

تعتبر التجارة الإلكترونية في الحالة الفلسطينية خلال الجائحة الصحية أداة استراتيجية في تلبية احتياجات المستهلكين من جهة ومحركاً اقتصادياً من جهة أخرى خاصة للمنشآت الصغيرة ومتناهية الصغر، ويتطلب الاندماج في المتغيرات الحالة من الحكومة الفلسطينية أن تسارع إلى توفير البيئة القانونية الناظمة لممارسة التجارة الإلكترونية في بداياتها وهي أقرب إلى الأنشطة التجارية، والعمل على توفير بينية تحتية قوية تأسس للاقتصاد الرقمي.

يؤشر النمو المتسارع العالمي للتجارة الإلكترونية على الفرص الكامنة التي توفرها وسائط التجارة الإلكترونية سواء في نطاق توفير فرص عمل والاستمرار في تقديم الخدمات والسلع للمواطنين وعمليات التوريد، لذلك شهدت التجارة الإلكترونية بين الشركات والأفراد الـ (B2C)نمواً كبيراً وكان هناك إقبال ملحوظ من المواطنين على المتاجر الإلكترونية وارتفاع حجم المبيعات الإلكترونية في بعض الشركات إلى نسبة ٦٠٪.

يستدعي صون حقوق المستهلك وتوفير البيئة الآمنة عبر منصات التجارة الإلكترونية التشدد في عمليات الرقابة والمتابعة خاصة أن جزءاً كبيراً من عمليات التسويق الإلكتروني لا تتبع الأنظمة والقوانين المعمول بها خاصة المتضمنة في قانون حماية المستهلك، وقد برزت عمليات استغلال المواطنين للمستلزمات الطبية (الكمامات، التعقيم) في بداية أزمة كورونا.

أخيراً، من المهم إدراك أهمية النهوض بواقع التجارة الإلكترونية في فلسطين من الأطراف ذات الصلة بعملية التطوير من خلال وضع برنامج إصلاحي شامل ضمن رؤية تشاركية قائمة على بناء اقتصاد رقمي يواكب التطورات والتغيرات والاندماج الفاعل في الاقتصاد العالمي.

المراجع

١. زين أبو دقة، سري طه، التجارة الإلكترونية وفلسطين- ممنوع الوصول، إصدار حملة-المركز العربي لتطوير الاعلام الاجتماعي، ٢٠١٩.

٢. التجارة الإلكترونية في ظل تداعيات جائحة كورونا، معهد التخطيط القومي المصري، حزيران ٢٠٢٠.

٣. مبيعات التجارة الإلكترونية العالمية (٢٠١٧-٢٠٢٣).

https://www.oberlo.com/statistics/global-ecommerce-sales

٤. تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين، شركة ايبوك، ٢٠١٩.

http://ipoke.co/SocialMediaOnPalestine2019.pdf

٥. تقرير منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) ٢٠١٩.

٦. تقرير منظمة التجارة العالمية، ٢٠٢٠.

٧. إطلاق خدمات دفع إلكتروني جديدة في فلسطين، الاقتصادي، ٢٩ نيسان ٢٠٢٠.

https://www.aliqtisadi.ps/article/75025/

٨. تقرير شركة أبحاث السوق statista عام ٢٠٢٠.

٩. تقرير مبيعات التجارة الإلكترونية عالمياً خلال ٢٠١٩،

https://2u.pw/FDgij

١٠. الحالة الرقمية للوباء، الحالة الرقمية للوباء

https://www.alhadath.ps/article/123068/

١١. د. محمد مصطفى، الوجه الآخر للأزمة،١٢ نيسان ٢٠٢٠،

https://2u.pw/dva5R

١٢. الاستراتيجية الوطنية للشمول المالي، سلطة النقد الفلسطينية، https://www.pma.ps/ar

١٣. تقرير الديلفري» صناعة ناشئة تزدهر في زمن كورونا»، الأيام، ٢٠ نيسان ٢٠٢٠، https://cutt.us/triQS

١٤. انتشار التجارة الإلكترونية في فلسطين، فضائية النجاح، ١٣ أيلول ٢٠٢٠

https://www.youtube.com/watch?v=kKnXou42yQQ

١٥. البريد الفلسطيني يستحدث خدمات تعزز انتعاش التجارة الإلكترونية، ٤ حزيران ٢٠٢٠،

١٦. تقرير كيف يغير الفيروس التاجي التجارة الإلكترونية،٢٥ آب ٢٠٢٠ https://www.cutt.us/zlQHp

١٧. تقرير مبيعات «أمازون» تقفز ٢٦٪ في الربع الأول بسبب أزمة كورونا ٢ أيار ٢٠٢٠ HTTPS://CUTT.US/EI2KE

١٨. تقرير ليوم العالمي للاتصالات ومجتمع المعلومات، ١٧ايار ٢٠٢٠، http://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=3737

١٩.تقرير الاونكتاد» جائحة كوفيد ١٩ تقوض اقتصاد الأرض الفلسطينية المحتلة المنهك، ٨ أيلول ٢٠٢٠ https://www.mas.ps/server/files/Palestine_ar_PR20023/2020/pdf.

٢٠. مقابلة مسجلة مع مدير عام الإدارة العامة لحماية المستهلك في وزارة الاقتصاد الوطني إبراهيم القاضي بتاريخ ٣ أيلول ٢٠٢٠

٢١. مقابلة مسجلة مع جمال الديك رئيس الاتحاد العام للفلاحين، بتاريخ، ٢٥ أيلول ٢٠٢٠

٢٢. مقابلة مسجلة مع رئيس مجموعة عابدين الصناعية التجارية محمد عابدين بتاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٠

٢٣. مقابلة مسجلة مع رئيس مجموعة شركات للصناعات الغذائية والتكنولوجيا محمد عفيف القواسمي بتاريخ ٢ أيلول ٢٠٢٠

٢٤. مقابلة مسجلة مع الرئيس التنفيذي لهيئة المدن والمناطق الصناعية الحرة بتاريخ ٦ أيلول ٢٠٢٠.

٢٥. مقابلة مسجلة مع مدير عام شركة آرمكس غسان بسطامي بتاريخ ١٥ أيلول ٢٠٢٠.

٢٦. مقابلة مسجلة مع رئيس مجلس إدارة شركة الأرض للمنتجات الزراعية بتاريخ، ٢٥ أيلول ٢٠٢٠

الهوامش

١ الرئيس يصدر مرسوما بإعلان حالة الطوارئ
https://wafa.ps/ar_page.aspx?id=wxM9yia871529739630awxM9yi

٢ ملخص الوضع الفلسطيني لفيروس كورونا
http://site.moh.ps/Index/covid19/LanguageVersion/1/Language/ar

٣ الاقتصاد الفلسطيني يعاني وجائحة فيروس كورونا تكبده الخسائر

https://2u.pw/bgYSo

٤ ٣,٨مليار دولار تقديرات خسائر الاقتصاد الفلسطيني
https://wafa.ps/ar_page.aspx?id=iyMWJna873604561170aiyMWJn

5 Electronic commerce
https://www.wto.org/english/tratop_e/ecom_e/ecom_e.htm

6 https://eco.najah.edu/sites/eco.najah.edu/files/01.pdf

٧ التجارة الالكترونية في تداعيات جائحة كورونا، معهد التخطيط القومي المصري، حزيران ٢٠٢٠.

https://2u.pw/3obfY

8 https://www.oberlo.com/statistics/global-ecommerce-sales

٩ التجارة الالكترونية وفلسطين، حملة، المركز العربي لتطوير الاعلام الاجتماعي

https://2u.pw/gUFSG

١٠ التجارة الالكترونية في تداعيات جائحة كورونا، معهد التخطيط القومي المصري، حزيران ٢٠٢٠

١١- مبيعات التجارة الإلكترونية العالمية (٢٠١٧ – ٢٠٢٣).
https://www.oberlo.com/statistics/global-ecommerce-sales

١٢- التجارة الالكترونية في تداعيات جائحة كورونا،
https://2u.pw/3obfY

١٣- ٣,٥تريليون دولار مبيعات التجارة الإلكترونية عالميا خلال ٢٠١٩.

https://2u.pw/FDgij

١٤- مؤشر التسوّق يسلّط الضوء على تغيّر أنماط التسوّق مع انتشار فيروس كورونا المستجدّ

https://2u.pw/EMYjA

١٥- مؤشر التسوّق يسلّط الضوء على تغيّر أنماط التسوّق مع انتشار فيروس كورونا المستجدّ

https://2u.pw/EMYjA

١٦- المصدر السابق.

١٧- المصدر نفسه.

١٨- دور التجارة الإلكترونية خلال فيروس كورونا
https://www.wto.org/english/news_e/news20_e/rese_04may20_e.htm

19-https://ar.le360.ma/economie/164353

20-https://www.digitalcommerce360.com/202025/08//ecommerce-during-coronavirus-pandemic-in-charts/

21-https://www.digitalcommerce360.com/202020/07//the-coronavirus-pandemic-lifts-global-online-grocery-sales/

٢٢- مبيعات شركة أمازون
https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13d9ebb7y333048759Y13d9ebb7

٢٣- التجارة الالكترونية في فلسطين https://2u.pw/RJnuv

٢٤-المصدر السابق.

25-http://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=3737

٢٦- المصدر نفسه.

27-http://ipoke.co/SocialMediaOnPalestine2019.pdf

https://2u.pw/gUFSG

28-https://2u.pw/sMj5x

29-https://www.aliqtisadi.ps/article/75025/

30-https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9256

٣١- مقابلة مع رئيس المجموعة محمد عابدين بتاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٠.

٣٢- مقابلة مع رئيس المجموعة محمد عابدين بتاريخ ١٦ أيلول ٢٠٢٠.

٣٣- مقابلة مع رئيس المجموعة محمد عفيف القواسمي بتاريخ ٢ أيلول٢٠٢٠ .

٣٤- مقابلة مع مدير عام الإدارة العامة لحماية المستهلك إبراهيم القاضي بتاريخ ٣ أيلول ٢٠٢٠.

٣٥- مقابلة للمصدر السابق.

36-https://www.aliqtisadi.ps/article/74962/%E28%80%B

37-https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13d09e80y332439168Y13d09e80

٣٨- المصدر السابق.

٣٩- المصدر نفسه.

٤٠- مقابلة عبر فضائية النجاح، ١٣ أيلول ٢٠٢٠،

٤١-مقابلة مع رئيس الاتحاد العام للفلاحين، بتاريخ، ٢٥ أيلول ٢٠٢٠،
https://www.youtube.com/watch?v=kKnXou42yQQ

٤٢- مقابلة عبر فضائية النجاح، ١٣ أيلول ٢٠٢٠
https://www.youtube.com/watch?v=kKnXou42yQQ

٤٣- المصدر السابق.

٤٤- انتشار التجارة الالكترونية في فلسطين
https://www.youtube.com/watch?v=kKnXou42yQQ

٤٥- مقابلة عبر فضائية النجاح، ١٣ أيلول ٢٠٢٠

٤٦- مقابلة مع مدير عام الإدارة العامة لحماية المستهلك إبراهيم القاضي بتاريخ ٣ أيلول ٢٠٢٠.

٤٧- المصدر نفسه

48-https://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=13d09e80y332439168Y13d09e80

49-https://www.maannews.net/news/2008104.html

50-https://www.alhadath.ps/article/123068/

51-https://www.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4CB0xya873747324120a4CB0xy

التغيرات والأبعاد الاجتماعية في ظل جائحة كورونا

لبيب فالح طه*

تمهيد

بدأ يزحف نحو العالم، مع نهاية العام ٢٠١٩ وبداية العام ٢٠٢٠، خطر استثنائي... لم يكن زلزالاً أو بركاناً أو إعصاراً خيم على بقعة معينة دقائق معدودة؛ بل كان خطراً زاحفاً نحو البشرية في زوايا الكون الأربع وعلى مدار شهور عدة حتى الآن، إنه جائحة كورونا التي ملأت الدنيا وشغلت الناس.

كانت الجائحة ولا تزال تحمل تحديات عظيمة للبشرية التي وقفت أمامها عاجزة لا تملك لها دفعاً، وكل ما قامت بعمله هو محاولة تجنب أخطارها وارتداداتها؛ فلم تملك لها عقاراً مضاداً أو علاجاً.

وبمقدار جسامة الحدث كانت جسامة النتائج، بدا العالم وكأن سكتة دماغية أصابته؛ فمختلف قطاعات الاقتصاد مشلولة أو شبه مشلولة، ونشاطات الإنسان والمجتمع دخلت مرحلة التجميد إلى حين.

ستحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على الأبعاد والتغيرات الاجتماعية التي ألقت بظلالها على المجتمع الفلسطيني بفعل فيروس كورونا وتداعياته.

تعريف التغير الاجتماعي

التغير الاجتماعي هو ظاهرة تناولها الكثير من علماء الاجتماع بالتعريف والتفسير، فكان من التفسيرات التي وضعت ما يلي:

* باحث وصحافي.

تحول اجتماعي في المجال الثقافي والمؤسسي عبر الزمن.[1]

يعرف ماكيونس Macionis التغير الاجتماعي بأنه: التحول في تنظيم المجتمع وفي أنماط الفكر والسلوك عبر الزمن. أما ريتزر Ritzer فيقول: إن التغير الاجتماعي يشير إلى التباين التاريخي في العلاقات بين الأفراد والجماعات والتنظيمات والثقافات والمجتمعات. ويعرفه فارلي Fare-ley بأنه التبدل في أنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية والنظم والبناء التنظيمي.[2]

تقول الدكتورة فادية الجولاني عن دراسة التغير في مجتمع ما إنه لا يجوز أن ندرسه من خلال فترة قصيرة نسبياً، وإنما يجب أن يكون المدى الزمني متضمناً أجيالاً عدة حتى يمكن الوقوف على نتائج التغير بصورة ملموسة.[3]

كيفية حدوث التغير الاجتماعي

لا بد أن هناك قوى تـؤدي إلى التغير الاجتماعي، وهذه القوى هي:

- القوى الداخلية التي تفعل فعلها في تحريك أحد مكونات التدرج أو المؤسسات الاجتماعية.
- القوى الخارجية التي تأتي من خارج نظام البيئة وتفعل فعلها في تحريك مكونات النظام البيئي وتبديله.[4]

قسم إسماعيل شلش عوامل التغيير إلى: عوامل اجتماعية تكوينية، والتعديل في الهيئة الطبيعية، والتغيير من خلال الاستعارة الثقافية، والصراع الاجتماعي والتناقضات داخل البناء الاجتماعي، والخصائص السكانية.[5]

بخصوص جائحة كورونا فقد كانت مؤثراً وافداً من الخارج حيث نقل الفيروس بوساطة مخالطة سياح يونانيين في بيت لحم، والعمل داخل إسرائيل التي ينتشر فيها المرض بشكل لافت؛ مما يعني أن المؤثر خارجي طارئ وليس بفعل صيرورة جرت ببطء وتدرج ضمن تطور طبيعي في المجتمع.

المتضررون من التغير (جائحة كورونا)

كان ضحايا الجائحة سكان المعمورة جمعاء، بمن فيهم سكان فلسطين، لقد استنزفت الجائحة أرواحاً بشرية ونفقات وطاقات أنفقت لمعالجة تداعيات الجائحة، تعطل الاقتصاد أو معظم قطاعاته، ولزم الناس بيوتهم، وتعطلت النشاطات البشرية بمختلف أنواعها. لكن هناك من استفاد من الجائحة على أساس مبدأ «مصائب قوم عند قوم فوائد»، فالبيئة ارتاحت قليلاً من عوادم السيارات والآلات وسمومها، واستفاد تجار الكمامات ومواد التعقيم التي صار الطلب عليها كبيراً، واستفاد سجناء أطلق سراحهم في إيران وغيرها.

ما الذي يحدد إن كان التغير اجتماعياً أم لا؟

هناك مـدارس عـدة تتناول مصطلح (اجتماعي) وما يتعلق به من تغير وهي:

- نظريات شاملة أو عامة: تتضمن رؤية شاملة

تعتبر كل ما يؤثر على الإنسان اجتماعياً؛ ومن منظري هذه الرؤية: سبنسر وماركس وسروكن وتوينبي.

- التغير الثقافي: حيث ترى هذه المدرسة أن التغيرات الاجتماعية تكمن في الثقافة ولا يمكن فهمها خارج حدودها.
- التغير التكنولوجي: وهذه المدرسة تقوم على اختبار التأثير الاجتماعي على الإبداعات التقنية.
- عمليات التغير المختار أو المنتقى: هذه المدرسة أصبحت تدرس مواضيع اقتصادية وسكانية وسياسية، بل وتدرس تخصصات دقيقة كالتصنيع والتحضر والتمركز السياسي.[٦]

يتبنى الباحث هنا النظرية الشاملة أو العامة التي ترى أن كل ما يؤثر على الإنسان يعد اجتماعياً، ومن هذ المنطلق ستتم دراسة النتائج المادية وغير المادية للتغير الاجتماعي التي تشمل:

التغيرات التكنولوجية، التغيرات الاقتصادية، التغيرات العائلية والقرابية، التغيرات الاجتماعية، التغيرات الثقافية، التغيرات النفسية، التغيرات السياسية، التغيرات التربوية والتعليمية، التغيرات الترويحية والترفيهية.[٧]

التغيرات التكنولوجية

ساهمت جائحة كورونا في نشوء مجتمع معلوماتي، هذا المجتمع يتصف بأن الحاسوب]والأجهزة الذكية الأخرى[يسيطر على الأذهان، ويعتمد المجتمع في قوته الإنتاجية على المعلومات بما فيها المعلومات التقانية المعرفية والمنفعة الملعوماتية.[٨]

تعزز اعتماد الناس على التكنولوجيا وتطبيقاتها أكثر من أي وقت مضى في ظل كورونا والإغلاق، فقد أعطيت بعض دروس المدارس عبر تقنية التعليم الإلكتروني، وتعزز اعتماد الناس على وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة للتواصل مع الأقارب وقضاء حاجاتهم المختلفة، ولمقاومة حالة السأم التي انتابت الكثير من الناس، خاصة أن التواصل المادي تقلص كثيراً بفعل الإغلاق والحجر الصحي.

في عصر الجائحة تم تعزيز التجارة الإلكترونية، حيث وجد ما يعرف بـ E-com-merce، بحيث أصبحت الكثير من الإعلانات وعمليات بيع وشراء السلع والخدمات تتم عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

التغيرات الاقتصادية

تراجع الوضع الاقتصادي:

ضربت جائحة كورونا الاقتصاد العالمي ضربة موجعة، فمعظم قطاعات الاقتصاد تعطلت بصورة كاملة أو شبه كاملة خاصة خلال فترة الإغلاق الشامل، توقفت حركة المصانع والمـزارع والمواصلات والبورصات وشركات المضاربة ولزم العمال والموظفون

بيوتهم دون عمل أو إنتاج.

كان وقع الجائحة وتبعاتها وخيماً على قطاعات فلسطين الاقتصادية المختلفة التي يعاني اقتصادها مشاكل بنيوية بسبب الاحتلال كعائق أساسي أمام النمو والازدهار.

يعتبر القطاع السياحي أكبر القطاعات المتضررة من جائحة كورونا؛ حيث بلغت نسبة توقفه ١٠٠٪ بسبب إغلاق المنشآت السياحية مثل المطاعم وقاعات المؤتمرات وورش العمل، وصالات الأفراح إلى جانب إلغاء جميع الحجوزات وإغلاق شركات السياحة والسفر والحج والعمرة. القطاع الصناعي تضرر في غزة حيث تراجع إنتاجه وفقد نحو ١٠,٠٠٠ عامل وظائفهم، وتراجعت القطاعات التجارية المختلفة وانخفضت قدرتها الإنتاجية بسبب انعدام قدرتها الشرائية، وتوجه المواطنون إلى القطاعات الأكثر احتياجاً التي تمثلت في المواد الغذائية ومواد التنظيف والوقاية والمستلزمات الطبية.[٩]

وزير الاقتصاد الفلسطيني خالد العسيلي قال: إن الجائحة فاقمت مشكلة البطالة حيث بلغ عدد العاطلين عن العمل ٣٣٦,٣٠٠ في الربع الأول من العام الجاري بواقع ٢١١,٣٠٠ في قطاع غزة و١٢٥,٠٠٠ في الضفة الغربية. وقدر وزير الاقتصاد خسائر الاقتصاد الفلسطيني جراء الجائحة بثلاثة مليارات دولار.[١٠]

سامر سلامة وكيل وزارة العمل قال: إن الـوزارة تدخلت وقدمت مساعدات للعمال المتأثرين من خلال صندوق وقفة عز. سمير حزبون رئيس غرفة تجارة وصناعة بيت لحم قال: إن غالبية المنشآت الاقتصادية ما زالت تعمل دون طاقتها الكاملة منذ الخامس من آذار.[١١]

وأضاف وكيل وزارة العمل: «تراجع الناتج المحلي الفلسطيني بـنسبة ١٥٪ مقارنة بالعام الماضي، فيما انخفض الاستهلاك العام نحو ١,٣ مليار دولار، وانخفض حجم الاستثمار بنحو ٢,١ مليار دولار، فيما تراجعت الواردات بنحو مليار دولار». ولفت إلى أن هناك العديد من القطاعات التي لا تعمل حتى اللحظة مثل قطاع الحرفيين، فهناك نحو ٢٥٠ مشغلاً متوقفاً، فيما هناك عاملات عاطلات عن العمل إضافة إلى شركات الحافلات وغيرها من القطاعات.[١٢]

أمين عام اتحاد نقابات عمال فلسطين شاهر سعد قال: إن العديد من النزاعات وقعت نتيجة عدم التزام العديد من شركات القطاع الخاص بالاتفاق الذي وقعه اتحاد النقابات والقطاع الخاص ووزارة العمل، الذي يكفل حصول العاملين على نصف راتبهم على الأقل خلال شهري آذار ونيسان الماضيين، وأوضح أن ٢٥٪ من شركات القطاع الخاص التزمت بشكل كامل بالاتفاق، فيما التزمت ٤٥٪ بشكل

جزئي والباقي لم تلتزم. سعد قال: إن هناك نحو ٩٢ ألف عامل يعملون في إسرائيل بشكل قانوني يدخلون شهرياً نحو ٨٠٠ مليون شيكل تسببت «كورونا» لهم بخسائر تصل إلى مليار شيكل».[١٣]

قلة قليلة من العمال تم تعويضها، ومن تم تعويضه عن بعض خسائره كان تعويضه رمزياً. وواجه عمال المياومة وعمال القطاع غير الرسمي، وسائقو الحافلات وأصحاب المشاريع الصغيرة وغيرهم مصيرهم دون أي مورد رزق.

ما يفاقم المشكلة في فلسطين هو القصور في نظام التأمين الصحي والضمان الاجتماعي، مما يترك فئة كبيرة من الشعب عرضة للفقر والمرض دون أي سند.

ازدهار تجارة التوصيل delivery بفعل الإغلاق:

برز نمط تسوق جديد في فلسطين بفعل كورونا وإجراءات العزل والتباعد الاجتماعي، فقد انتشرت تجارة التوصيل، حيث أصبح الكثير من المواطنين يطلبون السلع والخدمات بوساطة الإنترنت أو عبر الهاتف.

ظهرت قبل الجائحة شركات متخصصة بتقديم الخدمات اللوجستية، وفي زمن كورونا شهدت التجارة الإلكترونية والخدمات اللوجستية قفزة كبيرة في حجم النشاط زاد على الضعف، ويبدو أن ظروف الجائحة تؤسس لقطاع اقتصادي واضح المعالم، يرجح أن يستمر ويتوسع وتتضح استقلاليته عن قطاع تجارة التجزئة، وباقي القطاعات الاقتصادية، حتى بعد انتهاء الجائحة.

أصحاب شركات توزيع ومسؤولون فيها مثل السيد أحمد الرمحي والسيد مالك عثمان، قالوا إن العمل تضاعف في هذا القطاع مما اضطرهم لرفع عدد موظفيهم العاملين في خدمات التوصيل، وفي قطاع غزة برز ارتفاع كبير في الطلب على خدمات توصيل السلع، إذ ارتفع العدد من بضع طلبات يومياً إلى نحو ألف طلب في اليوم.[١٤]

في الأسواق العالمية الضخمة، كالولايات المتحدة وأوروبا، تشير المعطيات إلى قفزة خيالية في حجم التجارة الإلكترونية وصناعة «الدلفري»، إذ اضطرت شركة (أمازون) الأميركية، وهي واحدة من كبرى شركات التجارة الإلكترونية على مستوى العالم، إلى تعيين أكثر من ١٠٠ ألف موظف جديد في شهر آذار الماضي، وأعلنت عزمها توظيف ٧٥ ألفا آخرين هذا الشهر لمواجهة الطلب المتزايد على خدماتها في ظل إجراءات العزل، فيما أعلنت شركة «وولمارت» نيتها توظيف ١٥٠ ألف عامل جديد، فيما قالت شركة «إنستاكارت» لخدمات التوصيل إنها تنوي توظيف ٣٠٠ ألف عامل متعاقد جديد، في وقت تشير فيه إحصاءات رسمية أميركية إلى

فقدان ١٧ مليون وظيفة في مختلف قطاعات الاقتصاد الأميركي.[١٥]

من ملامح ازدهار قطاع التوزيع ما قاله صلاح هنية، المنسق العام لجمعيات حماية المستهلك في فلسطين، من أن الشكاوى بسبب سوء خدمات الشراء عبر الإنترنت والتوصيل للمنزل، خصوصاً عبر صفحات فيسبوك لمحال غير معروفة، وأحياناً الصورة لا تطابق الواقع. هذه الشكاوى انخفضت خلال فترة كورونا.[١٦]

زيادة نسبة الفقر:

أظهرت بيانات صادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء، منتصف نيسان الماضي، أن نحو ٤٥٣ ألف عامل في فلسطين من أصل مليون و١٠ آلاف، قد تضرروا بصورة مباشرة من حالة الطوارئ. وارتفع عدد العائلات المستفيدة من المساعدات الحكومية الفلسطينية إلى ١٣٥ ألفاً، بحسب تصريحات رئيس الوزراء محمد اشتية.[١٧]

توقع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني تراجع الناتج الإجمالي المحلي لعام ٢٠٢٠ بنسبة ١٤٪ مقارنة مع العام ٢٠١٩، وتقدر خسائر الاقتصاد الكلي (الناتج المحلي الإجمالي) بنحو ٢,٥ مليار دولار بالمقارنة مع الوضع الطبيعي لعام ٢٠٢٠ نتج عنه انخفاض الاستهلاك العام والخاص نحو ١,٣ مليار دولار أميركي، وانخفاض الاستثمار نحو ٢,١ مليار دولار، وتراجع الواردات نحو مليار دولار.[١٨]

العمل عن بعد:

لقد أصبح هناك نمط عمل جديد في فلسطين وهو العمل عن بعد، هذا النمط موجود في العالم الذي تتوافر لديه بنية تحتية تسمح بذلك، لكن في فلسطين كان الأمر من باب الأمر الواقع لا أكثر.

كما كان هناك تغيب عن العمل بحكم الإغلاق وحالة الطوارئ، فقد أشارت دراسة للجامعة العربية الأميركية على عينة درستها خلال الفترة السابقة (خلال ٧ أيام سبقت تاريخ إجراء الدراسة من٢٠٢٠\٤\١٩ حتى ٢٠٢٠\٥\١١) إلى أن ١٨٪ من العينة ذهبوا إلى أعمالهم وخاصة الذكور، حيث بلغت نسبة الذكور ٣٠٪ مقابل ٦٪ من الإناث اللواتي، أشرن إلى وجودهن في أماكن عملهن في تلك الفترة.[١٩]

تعزيز التجارة الإلكترونية:

كثير من الناس لجؤوا إلى التجارة الإلكترونية؛ حيث وجدوا في هذه الظروف فرصة لإنشاء مشاريعهم الخاصة في قطاع التجارة الإلكترونية، فلا يحتاج الأمر أكثر من صفحة على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك»،

واختيار سلعة للترويج لها، والحصول من منتجها على سعر جيد.[٢٠]

التغيرات على مستوى الأسرة والمجتمع

ظهور بعض المشكلات الاجتماعية:

قالت شبكة المنظمات الأهلية: إن تأزم الوضع المعيشي في قطاع غزة أدى إلى انتشار العديد من الظواهر السلبية أهمها انتشار حالات التسول بشكل ملحوظ خلال الفترة الأخيرة خصوصاً بين فئة الأطفال، كما انتشر التسول الإلكتروني، إضافة إلى انتشار العديد من المشاكل الاجتماعية وعلى رأسها ارتفاع معدلات الطلاق في قطاع غزة وزيادة ملحوظة في أوامر الحبس على الذمم المالية.[٢١]

تعزيز الضبط الاجتماعي:

يعرف الضبط الاجتماعي بأنه العملية التي يستطيع المجتمع بوساطتها السيطرة على أفراده وتنظيم سلوكهم من خلال مجموعة من الوسائل بالشكل الذي يؤدي إلى اتساق هذا السلوك مع التوقعات الاجتماعية، التي تعمل على المحافظة على استمرارية المجتمع ونموه في الأوضاع الاعتيادية وتلافي التخلف الذي يحدث في بعض مؤسساته خلال عمليات التطور التدريجي أو التغير المفاجئ لاسيما أثناء الأزمات الاقتصادية والانقلابات السياسية والحروب والثورات والكوارث الطبيعية... إلخ.[٢٢]

حاولت الحكومة ضبط الناس اجتماعياً عبر الإغلاق الشامل أو الجزئي، وتحديد المسموح والممنوع والتوجيه وإرشاد الناس عبر بيانات من الحكومة سواء عبر الناطق باسمها أو من وزيرة الصحة أو رئيس الوزراء محمد شتية نفسه. لقد كانت هيبة الحكومة والقانون على المحك وتولت أجهزة الأمن تنفيذ تعليمات الحكومة، وخول محافظي المحافظات صلاحيات اتخاذ ما يرونه مناسباً من إجراءات.

اتباع سياسة التباعد الاجتماعي:

بفعل هذه السياسة تجنب الناس استقبال الــزوار أو الاحتفال بمناسبات اجتماعية كالزواج وغيرها، وحتى الأعياد الدينية كالفطر والأضحى مرت على الناس في ظل إغلاق المدن والقرى. أصبح التوجس من الآخرين وتجنب الاحتكاك بهم عادة دارجة، فلا مصافحة أو تقبيل أو اقتراب من الآخرين.

سياسة التباعد الاجتماعي استلزمت قلة الزيارات أو انعدامها، وعند سؤال العينة المدروسة من الجامعة العربية الأميركية عن زيارة الأقرباء والأصدقاء فقد أفاد ٣٨٪ منهم بأنهم زاروا أقربائهم وأصدقائهم، حيث بلغت نسبة الذكور ٤١٪ مقابل ٣٥٪ للإناث (٣٣٪ في الضفة الغربية و٤٧٪ في قطاع غزة).[٢٣]

كما ذكر (١٧٪ من العينة وخاصة الذكور بنسبة ٢٣٪ مقابل ١١٪ للإناث) أنهم خرجوا

إلى أماكن مزدحمة (١١٪ في الضفة الغربية و٢٧٪ من قطاع غزة).[٢٤]

تباعد: كما أن ٨٦٪ منهم احتفظوا بمسافة لا تقل عن متر بينهم وبين أي شخص يسعل أو يعطس، أما عن ارتداء القفازات عند مغادرة المنزل، فقد قال ٤٣٪ من العينة إنهم يرتدون القفازات عند الخروج من المنزل وخاصة الذكور بنسبة ٥١٪ مقابل ٣٥٪ للإناث (٥٠٪ في الضفة الغربية و٣٠٪ في قطاع غزة).[٢٥]

ازدياد العنف الأسري:

يقول أحد الأمثال: «إن كان الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة». أثرت أيام الإغلاق الطويلة مع قلة الدخل على سلوك بعض الناس وتصرفاتهم بصورة سلبية.

تقول هبة الزيان، مديرة مكتب هيئة الأمم المتحدة للمرأة في قطاع غزة: إن أزمة كورونا أثرت على النساء والفتيات في فلسطين بشكل أكبر، مشيرة إلى أن العنف الأسري زاد بشكل كبير خلال فترة الإغلاق التي فرضتها الحكومة.[٢٦]

التغيرات الثقافية: تمثل تبدل القيم والمعايير والقواعد والآداب الاجتماعية في علاقات الأفراد والجماعات وميولهم ومواقفهم السلوكية.[٢٧]

لقد استلزمت الجائحة تغيرات في قواعد تعاملات الأفــراد ومعاييرها، ففي دراسة الجامعة العربية الأميركية أشارت النتائج إلى أن ٩٧٪ من العينة قاموا بتنظيف أيديهم بانتظام،[٢٨] وأن عادة تجنب المصافحة والتقبيل قد تصبح تغيراً ثقافياً إن استمر العمل بها مدة طويلة.

التغيرات النفسية: التغيرات النفسية هي التحولات الفكرية والعاطفية والانفعالية والمعرفية داخل شخصية المجتمع.[٢٩]

يسلط موقع DW الألماني نقلاً عن تقرير لصحيفة (ذ إيكونوميست) البريطانية الضوء على الآثار النفسية لــ كورونا، إذ يشير إلى أن الوباء جلب الخوف من إصابة المرء أو عائلته بالعدوى، كما أن الحجر الصحي المنزلي الذي يعيشه جزء واسع من العالم، تسبب بإحساس الناس بالوحدة والتوتر والقلق، خاصة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه وغير مؤهل طبيعياً للتعايش مع إجراءات التباعد الاجتماعي التي فرضها الفيروس. ومن أكثر المتأثرين نفسياً بالفيروس، الناس الذين فقدوا وظائفهم بسبب الجائحة، إذ يتوقع اختصاصي نفسي تحدث للصحيفة فقدان هؤلاء حتى هوياتهم، وروتينهم اليومي، والكثير من روابطهم الاجتماعية.[٣٠] والفلسطينيون ليسوا استثناء في هذا المجال، فهم يعانون أصلاً بفعل الاحتلال وعوامل أخرى متعددة، ليأتي كورونا ويزيد الطين بلة.

التغيرات السياسية: برز بفعل كورونا

منطق الدولة مقابل منطق العائلة والعشيرة، أصبحت الحكومة تأمر فتطاع، وتنهى فيرتدع المخالفون؛ هذا لم يكن يعني أن الصورة وردية تماماً، لكن قد تكون المرة الأولى التي يستجيب فيها الفلسطينيون بشكل جماعي لتعليمات سلطة غير احتلالية.

التغيرات التربوية والتعليمية: أغلقت المدارس والجامعات، وتم تجريب التعليم الإلكتروني ولم يتم تعميمه لأسباب عدة، ترك الطلبة مدارسهم وجامعاتهم، وكان عليهم أن يبحثوا عن مصيرهم وملء أوقات فراغهم بأي شيء.

التغيرات الترويحية والترفيهية: أغلقت أماكن الترفيه بفعل كورونا، فلا ملاعب ولا مباريات ولا متنزهات ولا مسابح أو مدن ملاهي، أو سفر للخارج أو الداخل.

في النهاية لا نستطيع ادعاء تغير اجتماعي لأن التغير يحتاج إلى أجيال كما ورد في التعريف، وما جرى هو أبعاد وتمظهرات اجتماعية إن استمرت يمكن القول إنها تغيرات اجتماعية.

لقد طبعت كورونا العالم بطبعة جديدة لم تكن مألوفة من قبل، فالحياة بعد كورونا لم تعد كما قبلها، وإيقاعات الحياة أصبحت تضبط حسب إيقاعات الجائحة.

المصادر والمراجع

الكتب:

إبراهيم عثمان وقيس النوري. (٢٠١١). التغير الاجتماعي. ط٢. عمان: جامعة القدس المفتوحة.

فادية عمر الجولاني. (١٩٨٤). التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير. الدمام: دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع.

معن خليل العمر. (٢٠٠٤). التغير الاجتماعي. ط١. عمان ورام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع.

الدوريات:

إسماعيل سرور شلش. (١٩٨٠). التغير الاجتماعي في الوطن العربي. المستقبل العربي. ١٦:٤٥-٥٧.

الشبكة العنكبوتية الدولية:

الإحصاء الفلسطيني يعلن التنبؤات الاقتصادية لعام ٢٠٢٠ جراء جائحة كورونا. متوافر على موقع: http://www.pcbs.gov.ps/portals/_pcbs/PressRelease/Press_Ar_23-4-2020-forc-ar.pdf. آخر تحديث بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٢٣. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

غني ناصر حسين القريشي. (٢٠١٢). المفهوم العلمي للضبط الاجتماعي. متوافر على موقع:

http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=8&depid=3&lcid=31128

آخر تحديث: ٢٠١٢/١٠/٢٠ ١١:٢٣:٤٧

»في دراسة أجرتها الجامعة العربية الأميركية أفاد ٩٣٪ من العينة بأنهم على ثقة بأن فلسطين يمكن أن تكسب المعركة ضد فيروس كورونا. متوافر على موقع: https://www.aaup.edu/ar/News/ . آخر تحديث: الجمعة، حزيران ٥, ٢٠٢٠. تم الوصول إليه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/١٧«.

قيس أبو سمرة. (٢٠٢٠). «التكية الإبراهيمية» تعين فقراء الخليل في زمن كورونا». متوافر على موقع: https://www.aa.com.tr/ar. آخر تحديث بتاريخ: ٢٠٢٠/٥/٥. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

هبة الزيان: أزمة كورونا زادت من العنف الأسري ضد النساء والفتيات في فلسطين. آخر تحديث ٣ تموز ٢٠٢٠. متوافر على موقع:

https://news.un.org/ar/story/2020/07/1057572

تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/١٧.

يهدد بآثار خطيرة.. كيف تنجح في مواجهة كورونا نفسياً؟ متوافر على موقع: https://www.dw.com/ar/. آخر تحديث بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

الصحف:

١.(٢٠ نيسان، ٢٠٢٠). «الديلفري» صناعة ناشئة تزدهر في زمن كورونا. صحيفة «الأيام». صفحة ١+٤.

٢.(١٨ آب، ٢٠٢٠). المنظمات الأهلية: كورونا أدى إلى تدهور كبير في مستوى المعيشة بغزة. صحيفة «الأيام». صفحة ١٨.

٣.(١٩ آب، ٢٠٢٠). اقتصاديون: تداعيات خطيرة لجائحة كورونا على سوق العمل. صحيفة «الأيام». صفحة ١٧.

الهوامش

١ معن خليل العمر. (٢٠٠٤). التغير الاجتماعي. ط١. عمان ورام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع. صفحة ٢٧.

٢ إبراهيم عثمان وقيس النوري. (٢٠١١). التغير الاجتماعي. ط٢. عمان: جامعة القدس المفتوحة. صفحة ٧.

٣ . فادية عمر الجولاني. (١٩٨٤). التغير الاجتماعي مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير. الدمام: دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع. صفحات ٩-١٠.

٤ معن خليل العمر. مصدر سابق. صفحة ٢٨.

٥ إسماعيل سرور شلش. (١٩٨٠). التغير الاجتماعي في الوطن العربي. المستقبل العربي. ١٦:٤٥-٥٧. ينظر صفحات ٥٠-٥٤

٦ معن خليل العمر. مصدر سابق. صفحة ٣٧-٣٨.

٧ إبراهيم عثمان وقيس النوري. مصدر سابق. ينظر صفحات ٥٨-٧٢.

٨ معن خليل العمر. مصدر سابق. صفحة ٢٦٧.

٩ (١٨ آب، ٢٠٢٠). المنظمات الأهلية: كورونا أدى إلى تدهور كبير في مستوى المعيشة بغزة. صحيفة "الأيام". صفحة ١٨.

١٠ (١٩ آب، ٢٠٢٠). اقتصاديون: تداعيات خطيرة لجائحة كورونا على سوق العمل. صحيفة "الأيام". صفحة ١٧.

١١ المصدر نفسه.

١٢ المصدر نفسه.

١٣ المصدر نفسه.

١٤ (٢٠ نيسان، ٢٠٢٠). "الديلفري" صناعة ناشئة تزدهر في زمن كورونا. صحيفة "الأيام". صفحة ١+٤.

١٥ المصدر نفسه.

١٦ المصدر نفسه.

١٧ قيس أبو سمرة. (٢٠٢٠). «التكية الإبراهيمية» تعين فقراء الخليل في زمن كورونا». متوافر على موقع: https://www. .aa.com.tr/arآخر تحديث بتاريخ: ٢٠٢٠/٥/٥. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

١٨ الإحصاء الفلسطيني يعلن التنبؤات الاقتصادية لعام ٢٠٢٠ جراء جائحة كورونا. متوافر على موقع: http://www.pcbs. gov.ps/portals/_pcbs/PressRelease/Press_Ar_23-4-2020-forc-ar.pdf. آخر تحديث بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٢٣. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

١٩ "في دراسة أجرتها الجامعة العربية الأميركية ٩٣٪ من العينة على ثقة بأن فلسطين يمكن أن تكسب المعركة ضد فيروس كورونا. متوافر على موقع: https://www.aaup.edu/ar/News/ . آخر تحديث: الجمعة حزيران ٥، ٢٠٢٠. تم الوصول إليه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/١٧«.

٢٠ (٢٠ نيسان، ٢٠٢٠). "الديلفري" صناعة ناشئة تزدهر في زمن كورونا. مصدر سابق.

٢١ (١٨ آب، ٢٠٢٠). المنظمات الأهلية: كورونا أدى إلى تدهور كبير في مستوى المعيشة بغزة. مصدر سابق.

٢٢ غني ناصر حسين القريشي. (٢٠١٢). المفهوم العلمي للضبط الاجتماعي. متوافر على موقع:

http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=8&depid=3&lcid=31128

آخر تحديث: ٢٠١٢/١٠/٢٠ ١١:٢٣:٤٧

٢٣ في دراسة أجرتها الجامعة العربية الأميركية ٩٣٪ من العينة قالوا إنهم على ثقة بأن فلسطين يمكن أن تكسب المعركة ضد فايروس كورونا. متوافر على موقع: https://www.aaup. edu/ar/News/. آخر تحديث: الجمعة, حزيران ٥, ٢٠٢٠. تم الوصول إليه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/١٧«.

٢٤ المصدر نفسه.

٢٥ المصدر نفسه.

٢٦ هبة الزيان: أزمة كورونا زادت من العنف الأسري ضد النساء والفتيات في فلسطين. آخر تحديث ٣ تموز ٢٠٢٠. متوفر على موقع:

https://news.un.org/ar/story/2020/07/1057572

تم الوصول اليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/١٧.

٢٧ إبراهيم عثمان وقيس النوري. مصدر سابق. ص ٦٦.

٢٨ في دراسة أجرتها الجامعة العربية الأميركية ٩٣٪ من العينة على ثقة بأن فلسطين يمكن أن تكسب المعركة ضد فايروس كورونا. متوفر على موقع: https://www.aaup.edu/ar/News/ . آخر تحديث: الجمعة, يونيو ٥, ٢٠٢٠. تم الوصول اليه بتاريخ: ٢٠٢٠/٨/١٧«.

٢٩ إبراهيم عثمان وقيس النوري. مصدر سابق. ص ٦٧.

٣٠ يهدد بآثار خطيرة.. كيف تنجح في مواجهة كورونا نفسياً؟ متوافر على موقع: https://www.dw.com/ar/. آخر تحديث بتاريخ ٢٠٢٠/٤/٤. تم الوصول إليه بتاريخ ٢٠٢٠/٨/٣٠.

تداعيات فيروس كورونا (كوفيد-١٩) على النساء

إكرام عمر*

مقدمة

تفرض الأوبئة والجائحات الصحية على دول العالم اتخاذ إجراءات وتدابير من شأنها أن تساهم في الحد من انتشارها، فتعلن الحكومات حالة الطوارئ وتلجأ الدول لإغلاق حدودها وتتبع سياسة انعزالية، تقضي بوقف الحركة التجارية والاقتصادية وإغلاق الأسواق وإقفال الشركات أبوابها، مما يشكل حالة استثنائية في حياة الشعوب يتخللها تأثيرات اقتصادية واجتماعية وسياسية وصحية.

لا يزال العالم اليوم يواجه الفيروس المرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة نوع ٢، (SARS-COV-2)، ويشار إليه بـــ«كوفيد-١٩».

الذي اكتشف في مدينة ووهان الصينية بتاريخ ٢٠١٩/١٢/٣١، عقب إصابة ٤٤ شخصاً بدايةً، وبعد ٣ أشهر أعلنت منظمة الصحة العالمية أن الفيروس بات جائحة عالمية بعد وصول الحالات إلى أكثر من ١٢٠ ألف حالة مُصابة، في ١١٦ دولة.[١]

ترتب على إعلان دول العالم حالة الطوارئ واتخاذ إجراءات غير مسبوقة من أجل الحد من انتشار هذا الفيروس والقضاء عليه، تقييد الحركة وإلغاء التجمعات، وتوقف المسيرة التعليمية وإغلاق المنشآت الاقتصادية بشكل كلي وجزئي، الأمر الذي أدى إلى انخفاض مستوى التشغيل والإنتاج والعمالة في معظم القطاعات الاقتصادية، إلى جانب العديد من

* باحثة في السياسات العامة.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية وربما السياسية.

إن الآثار الناجمة عن انتشار فيروس كورونا (كوفيد - ١٩)، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، لن تكون حكراً على جنس معين، فالجائحة ألقت بظلالها على البشرية جمعاء، وعلى اعتبار أن المرأة جزء أساسي في بناء المجتمعات، ستدرس هذه الورقة تأثيرات الجائحة وتداعياتها على النساء والفتيات.

النساء في المواجهة لماذا؟؟

بحسب الموقع الرسمي للأمم المتحدة وضمن مقالة بعنوان «أثر مرض فيروس كورونا لعام ٢٠١٩ (كوفيد-١٩) على النساء والفتيات»، فإن آثار الفيروس بالنسبة للنساء والفتيات تتفاقم نتيجة لاعتبارات عدة منها أن النساء والفتيات يعانين بوجه خاص من آثار سلبية مضاعفة على الصعيد الاقتصادي، لأن دخلهن أقل بصفة عامة، وادّخارهن أقل، ولأنهن يشغلن وظائف غير آمنة أو يعشن في مستويات قريبة من مستوى الفقر».[٢]

تشير البيانات التي جمعت في العديد من البلدان الأكثر تأثراً بجائحة كورونا إلى أن الرجال معرضون بشكل كبير لخطر الإصابة بأعراض شديدة والوفاة عند مقارنتهم بالنساء، فعلى سبيل المثال: إيطاليا لديها ٧١٪ من جميع حالات الوفاة منسوبة إلى الرجال، و٢٩٪ فقط للنساء.[٣]

على الرغم من أن البيانات السابقة تشير إلى عدد وفاة أكبر بين الرجال نتيجة الفيروس، فإن تأثيره على صحة المرأة سلبي عموماً بسبب إعادة تخصيص الموارد والأولويات، بما فيها خدمات الصحة الجنسية والإنجابية.

في ظل الإغـلاق العام يـزداد عبء عمل الرعاية غير المدفوعة الأجر نتيجة بقاء الأطفال خارج مدارسهم، وزيادة حاجة كبار السن إلى الرعاية، وكون الجهات المعنية بتقديم الخدمات الصحية منهكة بحمل يفوق طاقتها. وبالتالي تخضع النساء إلى المزيد من الضغوط النفسية.

التأثيرات الاقتصادية للجائحة على النساء

يرى البنك الدولي في مقالة بعنوان «أثر فيروس كورونا أكبر على المرأة وعلينا أن نراعي ذلك»، أن طبيعة الأعمال التي تقوم بها النساء تزيد من تداعيات الفيروس الاقتصادية عليهن، حيث إن النساء العاملات في وظائف قطاع الخدمات (كمضيفات الطيران، والعاملات في صالونات التجميل) تضررن بشدة من جراء هذه الجائحة على نحو غير متناسب مع الرجال.[٤]

كشفت دراسة أجرتها لجان تابعة للأمم المتحدة، بينها لجنة الأمم المتحدة الاجتماعية والاقتصادية لغرب آسيا «الإسكوا» وهيئة الأمم المتحدة للمرأة، أن التحديات الاجتماعية

والاقتصادية التي تواجهها النساء والفتيات في المنطقة العربية قد ازدادت سوءاً بسبب كورونا.

تتوقع «الإسكوا» أن تخسر المنطقة العربية ١,٧ مليون وظيفة على الأقل في العام ٢٠٢٠ نتيجة جائحة كورونا، بينها ما يقارب سبعمائة ألف وظيفة تشغلها النساء.[٥]

جاءت الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الحكومة الفلسطينية للحد من انتشار جائحة كورونا، لتزيد من معاناة النساء في سوق العمل، خاصة أن الإحصاءات تشير إلى أن جائحة كورونا قد ضربت القطاع الخاص الذي يضم ٦٦٪ من القوى العاملة في فلسطين في العمق. وبالنظر إلى نسبة مشاركة النساء في عمالة القطاع الخاص نجد أن هذا القطاع يضم ٨٣,٦٠٠ عاملة في الضفة الغربية و٢٥,٣٠٠ عاملة في قطاع غزة، يتوزعن على قطاعات عدة، حيث رافق هذه الإجراءات والتدابير تراجع اقتصادي تخلله فقدان العديد من النساء العاملات مصدر دخلهن.[٦]

وحول أثر الجائحة على النساء العاملات، أشارت الصحافية عبير البرغوثي في تقرير أعدته بعنوان «العنف الجندري في الوظيفة العمومية .. جائحة مستترة والصور والضحية واحدة»، إلى إحصائيات وزارة العمل الفلسطينية فيما يخص نسبة الشكاوى التي تلقتها الوزارة خلال الفترة من ٢٢ آذار وحتى ٣١ تموز ٢٠٢٠، ١٤٦ شكوى من الموظفات من أصل ٦٣٢ شكوى، توزعت بين شكوى حول الأجور وعقود العمل والإجازات وإنهاء الخدمة بشكل تعسفي.[٧]

في مقابلة حول التأثيرات الاقتصادية لجائحة كورونا على النساء، قالت كاملة فالح، وهي ربة أسرة: «من الناحية المادية فان وجود رب الأسرة بلا عمل وبلا راتب أمر يستدعي القلق، وحتى أتمكن من مواجهة الوضع الاقتصادي الناجم عن الجائحة اعتنيت بالأرض أنا وزوجي وكنت أبيع من ناتج المحصول الذي زرعته، بالإضافة إلى أن هذه الأزمة علمتني كيف أوفر لو شيئاً قليلاً من دخل زوجي لمثل هذه الأيام الصعبة».

التداعيات الصحية

يرى البنك الدولي أنه وعلى الرغم من أن «قابلية تأثر الذكور بالفيروس» تكون أكبر، فإن النساء والفتيات لديهن أيضاً جوانب ضعف صحية في مواجهة هذه الجائحة، بسبب أدوارهن في أنشطة الرعاية داخل المنزل وخارجه، حيث تتعرض النساء على نحو غير متناسب للإصابة بكورونا، عالمياً تشكل النساء ٨٨٪ من العاملين في مجال الرعاية الشخصية و٦٩٪ من الأخصائيين الصحيين.[٨]

يشير الجدول أدناه إلى زيادة عدد النساء على عدد الرجال الذين يعملون في الخطوط الأمامية، وهذه وظائف تستلزم مخالطة المرضى ولا يمكن القيام بها من المنزل، الأمر الذي من

الممكن أن يجعل النساء أكثر عرضة لخطر الإصابة بالفيروس.[٩]

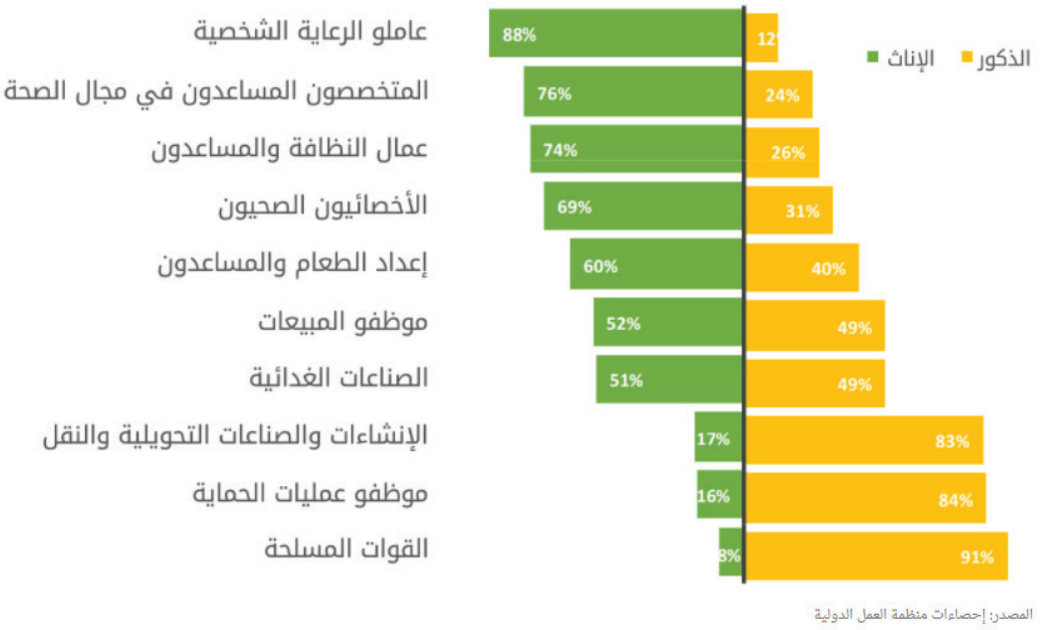

بحسب إحصاءات وزارة الصحة الفلسطينية ترتفع نسبة إصابة الإناث في فلسطين بفيروس كورونا عن الذكور، حيث تبلغ إصابة النساء ٥٣٪ مقابل ٤٥٪ للرجال. [١٠]

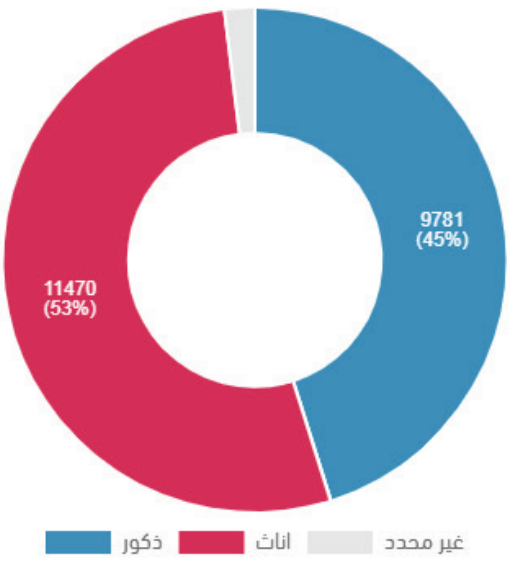

تزيد في ظل انتشار الأوبئة والأمراض المعدية صعوبة حصول النساء والفتيات على العلاج والخدمات الصحية نتيجة تحويل الموارد الصحية للتصدي لحالات طوارئ الصحة العامة، حيث تقل إمكانية استفادة النساء من خدمات الصحة الجنسية والإنجابية وصحة الأم، لا سيما عندما تكون موارد الأنظمة الصحية مقيدة بشدة.

تشكل القيود المفروضة على التنقل تحدياً آخر نظراً إلى أن معظم الاستشارات تجري في العيادات ومعظم الوالدات تتم في المستشفيات. فقد أشارت التقارير إلى «زيادة في معدلات وفيات الأمهات، بسبب صعوبة الوصول إلى الخدمات الصحية والخوف من العدوى في عنابر الولادة.»[11]

تــروي عبير إسماعيل وهي صحافية فلسطينية أصيبت بفيروس كورونا تجربتها فتقول: «كان للجائحة تأثير كبير علي، أستطيع القول إنه الأكثر سلبية هذا العام. بداية عندما حان موعد ولادتي مع أول يوم منع التجول بسبب انتشار الفيروس بالضفة الغربية، مما اضطرني لخوض التجربة وحدي مع زوجي فقط، مع ظروف صحية صعبة كوني أنجبت طفلتي بعملية قيصرية.

في السياق، يعمل الإغلاق الشامل وتقييد الحركة وعدم التنقل، على خلق المزيد من الضغوط النفسية والجسمانية على النساء كونها تزيد من حجم الأعمال المنزلية، فالرعاية الأسرية وما يرافقها من ضغوط نفسية وزيادة في الأنشطة اليومية يؤثر سلباً على صحة النساء، حيث تقول كاملة فالح: من الناحية النفسية أقلقني كثيراً مكوث أطفالي في البيت بعيداً عن مدارسهم ومكوث رب البيت في المنزل بلا عمل، فذلك أتعب نفسيتي ونفسيته.

الضغوط النفسية والاجتماعية سالفة الذكر عبرت عنها الصحافية عبير إسماعيل فقالت: «كامرأة أيضا كان عليّ أنا أتابع واجبات أولادي المدرسية أيضا وحدي في ظل الإغلاق، مع تحول الدراسة عن بعد والاعتماد على الأهالي بشكل فاق الـ٨٠٪. وكل هذه التجربة اعتقدت بأنها انتهت مع انتهاء الإغلاق التام الذي تزامن مع عيد الفطر السعيد أو بعده بقليل. مع ذلك بقيت ملتزمة بالحجر المنزلي خوفاً على ابنتي الرضيعة وأولادي أيضاً، لم أخرج إلا للضرورة لقضاء بعض الحاجات الأساسية».

التأثيرات الاجتماعية

خلقت حالة الإغلاق وإجــراءات التباعد الاجتماعي التي رافقت الجائحة الصحية حالة من العزلة المنزلية للمرأة الفلسطينية حيث لم يعد بمقدورها المشاركة في أي من المناسبات الاجتماعية كالأعراس وبيوت العزاء.

من جهتها، تقول أخصائية السياسات في

مجال المرأة والتمكين الاقتصادي لمنظمة العمل الدولية لورا أداتي: إن «تحدي الطوارئ يضع بالفعل ضغطاً إضافياً على عدم المساواة القائمة في المجتمع، إذا لم يكن هناك بالفعل مشاركة متساوية لرعاية الأطفال أو الأعمال المنزلية، فستكون النساء مسؤولات عن التعليم عن بعد، وضمان وجود الغذاء والإمدادات، للتعامل مع هذه الأزمة».[١٢]

يشكل العنف الأسري واحداً من تداعيات جائحة كورونا على النساء، حيث أكدت مديرة مكتب هيئة الأمم المتحدة للمرأة في قطاع غزة هبة الزيان في مقابلة إعلامية، أن العنف الأسري زاد بشكل كبير خلال فترة الإغلاق التي فرضتها الحكومة الفلسطينية.[١٣]

مع تزايد الضغط الاقتصادي والاجتماعي المقترن بتقييد التجول وفرض تدابير العزلة الاجتماعية بسبب جائحة كورونا، أصبح العنف الجنساني يتزايد بشكل تصاعدي، حيث تشير إحصاءات مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي إلى أنه في شهر أيار الماضي توجهت ١٥٦ سيدة لطلب استشارة قانونية أو اجتماعية من المركز.[١٤]

يتعرض المصابون بفيروس كورونا إلى التنمر الاجتماعي الذي شكل عبئاً إضافياً على المرأة كونها تحاول بشتى الوسائل حماية أطفالها وأسرتها من تداعياته فتقول عبير إسماعيل: «التحدي الأخير الذي ما زلت في خضمه، وهو التنمر الاجتماعي ما بعد التعافي من الفيروس وكيف أبعده عن أولادي بالتحديد الذين قاربوا على دخول المدرسة في سنتهم الجديدة».

آليات تخفيف تداعيات الجائحة على النساء (سبل المواجهة)

تحتاج عملية تحليل تداعيات فيروس كورونا وتأثيره على النساء والفتيات إلى وضع مجموعة من التدخلات والآليات لمواجهة الاختلال الناجم عن هذه التداعيات، فعلى سبيل المثال مواجهة التأثيرات الاقتصادية للجائحة الصحية على النساء يتطلب وضع سياسات اقتصادية تراعي خصوصية المرأة ووضعها الاقتصادي بشكل عام، وخلال الجائحة بشكل خاص. وهذا ما عبرت عنه هبة الزيان، مديرة مكتب هيئة الأمم المتحدة للمرأة في قطاع غزة، حيث بينت أن تحديد الأثر وتوصيفه يعتبر أساسياً لتصميم برامج وتدخلات ومشاريع ووضع سياسات قدر الإمكان مراعية بين الجنسين، أو مراعية لإعطاء النساء فرصاً، وتوفير الحماية لهن وتمكينهن.[١٥]

وحيث أن النساء شريك أساسي إلى جانب الرجل في التصدي لجائحة كورونا، لزم أن يكن شريكاً أساسياً في صناعة سياسات الاستجابة لجائحة كورونا.

شددت الأمم المتحدة على ضرورة وضع

خطة استجابة لجائحة كورونا، ولكل حزمة تدابير وميزانيات تخصص موارد للتعافي منها، تعالج الآثار الجنسانية لهذه الجائحة، الأمر الذي يتضمن: إدماج النساء والمنظمات النسائية في صميم تدابير الاستجابة لجائحة كورونا وتحويل أعمال الرعاية غير المدفوعة الأجر المجحفة إلى اقتصاد رعاية جديد شامل للجميع ويعمل لصالح الجميع، وتصميم خطط اجتماعية اقتصادية مع التركيز المتعمد على حياة النساء والفتيات ومستقبلهن.[١٦]

أوصت «الإيسكوا» وعدد من المنظمات بجملة من الإجراءات التي يجب اتخاذها على مستوى السياسات منها: ضرورة وضع تدابير حكومية لإنعاش الاقتصاد الوطني، بحيث تدعم هذه التدابير إعطاء الأولوية لدمج المرأة في سوق العمل والنهوض بها.[١٧]

على المستوى الصحي دعت «الإيسكوا» الحكومات إلى ضمان حصول النساء، على خدمات رعاية صحية جيدة ومنصفة وبأسعار معقولة، بما في ذلك خدمات الصحة الجنسية والإنجابية. كما دعت إلى إتاحة الوصول إلى خدمات المياه والصرف الصحي والنظافة الصحية للنساء المعرضات للخطر بشكل خاص.

تتطلب مواجهة العنف الأسري والتداعيات الاجتماعية لجائحة كورونا الصحية النهوض بنظم حماية اجتماعية وضمان استفادة النساء من مختلف الفئات العمرية من هذه النظم، على قدم المساواة مع الرجل، وينبغي على السياسات الاجتماعية والاقتصادية أن تركز على حماية النساء من الفقر وحماية العاملات في القطاع غير النظامي.

في الحالة الفلسطينية، وضعت خطة الاستجابة لمواجهة فيروس كورونا في الأرض الفلسطينية المحتلة[١٨] مجموعة من الأولويات، منها: العمل بصورة وثيقة مع الشركاء لضمان دمج الأشخاص الذين يحتاجون إلى الحماية في أنشطة التأهب لمواجهة فيروس كورونا والوقاية منه والاستجابة له، مع التركيز على حماية الطفولة والعنف القائم على النوع الاجتماعي والصحة العقلية والدعم النفسي والاجتماعي.

بدأت هيئة الأمم المتحدة للمرأة منذ بداية الأزمة في عقد اجتماع دوري مع نحو ٣٠ مؤسسة نسوية تعمل في قطاع غزة والضفة الغربية، بهدف تحديد تأثيرات جائحة كورونا على النساء الفلسطينيات.[١٩]

تماشياً مع السياسات الهادفة لدعم عمل المرأة وإسنادها وتمكينها اقتصادياً في ظل الجائحة عمدت الحكومة الفلسطينية إلى تنفيذ جملة من السياسات والتدخلات من أجل تعزيز مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي والاهتمام بدعم المشاريع الريادية وإغاثة المشاريع الصغيرة ومتناهية الصغر الأكثر تضرراً من

الجائحة الصحية الراهنة التي عطلت الأنشطة الاقتصادية.

في ندوة حوارية نظمتها جامعة فلسطين الأهلية بتاريخ ٢٠٢٠/٨/١٧ بعنوان «أثر جائحة كورونا على سوق العمل الفلسطيني» تحدث وزير الاقتصاد الوطني خالد العسيلي عن جملة من إجراءات الاستجابة المتعلقة بجائحة كورونا، التي في مضمونها تخدم المشاريع والمنشآت النسوية، منها إنشاء صندوق لدعم وتمكين النساء بقيمة ٥٠ ألف دولار بدعم كندي بهدف خلق فرص تشغيل للنساء المهمشات، وافتتاح المركز الإبداعي لتصميم الأزياء «خيطان» بهدف تعزيز القابلية للتوظيف عند النساء والشباب في دولة فلسطين من خلال تطوير سلسلة القيمة للملابس والنسيج بدعم من الحكومة اليابانية، إضافة لتقديم منح للمشاريع الزراعية والطاقة المتجددة عبر برنامج المنح الدراسية لتشجيع الفتيات الناجحات في الثانوية العامة للعام ٢٠٢٠/٢٠١٩ على الالتحاق في التخصصات التقنية والمهنية.[٢٠]

تعد سياسات التمكين الاقتصادي للمرأة في ظل الجائحة الصحية جزءاً من السياسات المقدمة لدعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة على اعتبار أن المشاريع النسوية جزء من هذه المنظومة الاقتصادية، وعليه فقد عمدت وزارة الاقتصاد الوطني على توفير قروض بتمويل من البنك الدولي وصندوق الاستثمار والبنك الإسلامي للتنمية بقيمة ٢١٠ ملايين دولار لتمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة بنسبة فائدة متناقصة لا تتجاوز ٣٪، وفترة سداد ٣٦ شهراً.[٢١]

خاتمة

في ظل الفجوات القائمة بين الجنسين ونتيجة اعتبارات عدة منها: أن دخل النساء أقل بصفة عامة، وادّخارهن أقل، ولأنهن يشغلن وظائف غير آمنة أو يعشن في مستويات قريبة من مستوى الفقر، أصبحت النساء والفتيات يعانين بوجه خاص من جائحة كورونا سواء صحياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً.

كان لجائحة كورونا تداعيات اقتصادية وصحية واجتماعية على النساء والفتيات تمثلت في:

- النساء الأكثر عرضة للإصابة بالفيروس كونهن في خطوط المواجهة الأمامية مع الفيروس بسبب أدوارهن في الرعاية سواء داخل المنزل أو خارجه.
- فقدت العديد من النساء العاملات في القطاع الخاص وظائفهن.
- أدت الجائحة إلى زيادة الأعباء المنزلية والضغوط النفسية والعنف الأسري على المرأة نتيجة الإجراءات القائمة على فرض الإغلاق الشامل.

- عمقت الجائحة حالة عدم المساواة القائمة في المجتمع، إذ لم تعد هناك مشاركة متساوية في توزيع أعمال رعاية الأسرة بين الرجال والنساء. ففي الوضع الطبيعي تتحمل النساء والفتيات مسؤولية رعاية الأسرة والمنزل، لكن أدت الجائحة إلى الزيادة في مسؤوليات أعمال الرعاية الناجمة عن إغلاق المدارس، وعزل كبار السن، ومسؤوليات التعليم عن بعد.

يتطلب خروج النساء من هذه الجائحة بأقل الخسائر أن تكون المرأة جزءاً من صياغة خطط الاستجابة المتعلقة بالتعامل مع الجائحة، وتصميم خطط واستراتيجيات قائمة على توفير نظم حماية اجتماعية للمرأة، بالإضافة إلى اتخاذ تدابير حكومية اقتصادية تعنى بدمج المرأة في سوق العمل وتمكينها اقتصادياً.

الهوامش

١- علي عبد الوهاب، التداعيات الاقتصادية لجائحة كورونا، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الاستراتيجية- مسارات. https://www.masarat.ps/article/5346

٢- موقع الأمم المتحدة، إدارة التواصل العالمي. أثر مرض فيروس كورونا لعام ٢٠١٩ (كوفيد-١٩) على النساء والفتيات.

https://www.un.org/ar/un-coronavirus-communications-team/put-women-and-girls-centre-efforts-recover-

٣ - محمد لبيب سالم. لماذا عدد وفيات الرجال من فيروس كورونا أكثر من النساء، تاريخ النشر ٢٩ نيسان ٢٠٢٠

. https://arsco.org/article-detail-1618-8-

٤- كارين كراون وكارولينا سانشيز بارامو. أثر فيروس كورونا أكبر على المرأة وعلينا أن نراعي ذلك. البنك الدولي تاريخ النشر ٢٠٢٠/٢٠/٠٤ https://blogs.worldbank.org/ar/voices/ coronavirus-not-gender-blind-nor-should-we-be

٥- فريدة أحمد. آثار كورونا الاقتصادية.. النساء أول من يدفع الثمن، الجزيرة. تاريخ النشر ٢٠٢٠/٦/١٠.

https://www.aljazeera.net/news/women/2020/6/10/%D8%A2%D8%AB%D8%A7%D8%B1

٦- الموقع الرسمي لمركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي. في عيـــد العمـــال العالمي مركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي يطالب بوضع احتياجات النساء العاملات على سلم الأولويات في خطط الاستجابة للتبعات الاقتصادية للجائحة.

https://www.wclac.org/News/304/%D9%81%D9%8A_%D8%B9%D9%8A%D9%80%D9%80%D8%AF_%D8%A7%D9

7- http://www.radionisaa.ps/article/16234/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%86%D9%81

٨- كارين كراون. مصدر سابق ./https://blogs.worldbank.org ar/voices/coronavirus-not-gender-blind-nor-should-we-be

٩- المصدر السابق

١٠- فـيروس كورونا (COVID-19) في فلسطين.

https://www.corona.ps/details

١١- كارين كراون، مصدر سابق.

https://blogs.worldbank.org/ar/voices/coronavirus-not-gender-blind-nor-should-we-be

١٢- ليلى علوي. النساء الخاسر الأكبر في أزمة كورونا.. إليك الأسباب. الجزيرة. تاريخ النشر ٢٠٢٠/٣/٢٨

https://www.aljazeera.net/news/women/2020/3/28/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A1-

١٣- الأمم المتحدة، هبة الزيان: أزمة كورونا زادت من العنف الأسري ضد النساء والفتيات في فلسطين.. تاريخ النشر ٣ /٦/ ٢٠٢٠

https://news.un.org/ar/story/2020/07/1057572

١٤- الموقع الرسمي لمركز المرأة للإرشاد القانوني والاجتماعي.

http://www.wclac.org/files/library/20/07/yeuecbqy9nvw-wuwgybvlf1.pdf

١٥- الأمم المتحدة. مصدر سابق . https://news.un.org/ar/story/2020/07/1057572

١٦- الأمم المتحدة، مصدر سابق.

https://www.un.org/ar/un-coronavirus-communications-team/put-women-and-girls-centre-efforts-recover-covid-19

١٧ - المصدر السابق.

18- https://www.ochaopt.org/ar/content/covid-19-response-plan

19- https://news.un.org/ar/story/2020/07/1057572

٢٠- إبراهيم أبو كامش، الحياة الجديدة. العسيلي: جهود مع المانحين لتوفير قرض بقيمة ٤٧٥ مليون دولار لدعم المشاريع الصغيرة. تاريخ النشر ٢٠٢٠/٠٨/١٨ ..http://www.alhayat-j.com/ar_page.php?id=55f732ey90141486Y55f732e_

٢١ - المصدر السابق.

قطار التطبيع مجانيّ
والردّ بإعادة الاعتبار للحركة الوطنية الفلسطينية

محمد هواش*

إذا كانت المصائر مقدرةً فلا فوائد ذات شأن من الغرق في تفاصيلها. قدر الفلسطينيين أن يعيشوا تحت وطأة الجغرافيا ولعنتها. وانتقامها ربما. وإذا كان الحصان المغولي سبباً في هزيمة الإبل العربية. فالعبرة في التاريخ الذي لم يتغير منذ تلك الحقبة. إذ لم تخرج المنطقة بعد من هزيمة بغداد العباسية أمام المغول، حتى مع انتصار جزئي للظاهر بيبرس في عين جالوت. وآخر للأيوبيين في مواجهة الحملات الصليبية لم يدم طويلاً. ولا بعد اكتشاف الرصاصة والمسدس ونهاية هيمنة الشجاعة الفردية على مصير المعارك التي تحسمها قوة البارود والنار بأشكالها المتجددة. ولا بعد سقوط بغداد أمام جيوش «المغول» الأميركية في العام ٢٠٠٣.

وها هي الجغرافيا تخرج لسانها للعرب إذ يغفلون من هذه المصائر إرادة الإفلات من ويلاتها وانتقام الجغرافيا والتاريخ وإغفال والاستهتار بالوسائل المعرفية التي يمكن أن تسلحهم بطرق الإفلات من مصائر تراجيدية، منذ سقوط بغداد الأول أمام جيوش جنكيز خان وبعدها سقوط القدس والمنطقة أمام الحملات الصليبية وأخيراً سقوط المنطقة كلها أسيرة الدولة العثمانية إلى مطلع القرن الماضي، وتقسيم تركتها بعد الحرب العالمية الأولى بين بريطانيا وفرنسا، في منطقة اشتهاها العالم لثرواتها وموقعها الجيوسياسي. ليس سهلاً

* كاتب ومحلل سياسي.

النظر إلى التراجيديا باعتبارها لعنة إلهية، أو ضعفاً بشرياً أو تخلفاً معرفياً أو صناعة فردية لمتعجرفين يدعون الألوهة والفرادة بانتصارهم المزعوم على الفلسطينيين، الشعب الذي ما زالت قضيته تمثل بصورة أو بأخرى رمزاً لغياب العدالة في السياسة الدولية التي تهيمن عليها الولايات المتحدة منذ منتصف القرن الماضي، أي منذ إنشاء إسرائيل على أرض فلسطين وعلى حساب الشعب الفلسطيني. الذي يقف اليوم ربما وحيداً في مقارعة هذا السقوط. ورفض التسليم بفكرة استقواء إسرائيل عليهم بالعرب، بعض العرب، وصمت القبول بمصائر مشابهة لسقوط بغداد الأول وتراثها، وهي واحدة من أقدم الحضارات الإنسانية إلى جانب الحضارتين الفرعونية والفينيقية/ الكنعانية.

تحت شعار الدفاع عن فلسطين وشعبها قطعت دولة الإمارات العربية المتحدة نهر الروبيكون (اللاعودة) في اتفاقها على تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، والابتعاد عن فلسطين وشعبها وقضيته. مع فارق أن جيش الإمارات لم يكن في حالة حرب مع إسرائيل ولا توجد حدود بينهما ولا أرض متنازع عليها. أما الذرائع والحجج التي ساقتها (منع الضم) وفتح طريق جديد للسلام في المنطقة فلم ترد في نص الاتفاق الرسمي، أما التمسك بحل الدولتين فجاء في سياق احتفالي قوبل بتجاهل تام من رئيس الحكومة الإسرائيلي الذي لم ينبس بكلمة فلسطين والشعب الفلسطيني ولو من باب الدعاية.

ما يعني الفلسطينيين في هذا الاتفاق أمران مهمان هما:

الأول: السماح لإسرائيل بكسر حلقة الربط بين إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية المحتلة وإشاعة السلام بخلاف ما يطالب به الفلسطينيون ومعظم العرب. وتالياً التخلي عن المبادرة العربية للسلام في المنطقة على علاتها وضعف الإرادة لفرضها. وهو سلام غير عادل لكنه مقبول عربياً ودولياً. وإذا كسرت الحلقة بالتطبيع قبل السلام يفقد العرب ورقة أخرى من أوراقهم المتبقية للمطالبة بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي ووقف شهية المشروع الصهيوني للتوسع على حسابهم، تاركين الفلسطيني وحيداً في المواجهة مع الاحتلال.

الثاني: أن تكون حجة الخطوة الإماراتية أنها بادرت إلى تأجيل نية إسرائيل ضم غور الأردن إلى أربع سنوات من دون أي ضمانة بالالتزام. لكن الأمر أبعد وأشمل من هذه الحجج والتبريرات. إذ تجاوزت الإمارات والبحرين الفلسطينيين وسمحت بتركهم وحيدين من خلال التطبيع مقابل لا شيء. خصوصاً أن الإمارات لا تملك مشروعاً حربياً في مواجهة إسرائيل، وتركز وجودها الأمني والعسكري ضد نفوذ تركيا وإيران ومن ضمنهم حركة «الإخوان المسلمين» في المنطقة خصوصاً في ليبيا واليمن وضمن

قوات التحالف الدولي في العراق وسورية.

أما بالنسبة للبحرين الدولة الفقيرة، بإمكاناتها والغنية وشعبها الأكثر تنوعاً وحيوية بين شعوب الدول الخليجية فقد انساقت تحت إغراءات وتهديدات وتقديرات ربما أن التطبيع مع إسرائيل قد يوفر لها مظلة حماية حيال التهديدات الإيرانية لاستقرارها. علماً أن غالبية الأميركيين من غير المسافرين السابقين في طائرات «كونكورد» التي تسبق الصوت لا يعرفون بلداً اسمه البحرين، لأن هذه الطائرات التي خرجت من الخدمة لم تكن تتوقف في أي من مطارات المنطقة إلا في المنامة.

اكتفى حكام البحرين مع الإمارات بالتعاون الأمني مع إسرائيل بحجة التهديدات الإيرانية، من دون الأخذ بالحسبان أن تعاوناً من هذا النوع قد يزيد هذه التحديات صعوبة. وأن صناعة السلام تبنى على أسس أوسع بكثير من مفاهيم الأمن الإسرائيلية التي لا تعرف حدوداً لشهيتها على النفوذ والسيطرة لمصلحتها هي ولا تلتفت لمصالح شعوب الخليج أو غيرها.

الحقيقة أن سبباً أكثر قوة وموارية لدى دول الخليج العربية لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل بطلب من الرئيس ترامب الذي يسعى إلى تقديم إنجازات ملموسة لناخبيه من خلال سلسلة احتفالات في البيت الأبيض مع فريقه اليهودي (جاريد كوشنر وديفيد فريدمان وآفي بيركوفيتش) ووجود صديقه رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو للتأثير على نسبة صغيرة من أصوات اليهود التي تذهب ٧٠٪ منها إلى الحزب الديمقراطي عادة. وهذه الدول لا تريد رؤية رئيس ديمقراطي في البيت الأبيض. لأن سياسة هذا الحزب تسمح بتقوية إيران عن طريق إعادة الاعتبار للاتفاق النووي من جهة. والسماح لحركة «الإخوان المسلمين» بتعزيز فرصها في الدول التي لها نفوذ فيها، ما يهدد الأسر الحاكمة في الدول الخليجية ونفوذها من جهة ثانية. ولهذا سارعت هذه الدول بطلب أميركي وإسرائيلي لتعزيز فرص فوز الرئيس ترامب بولاية رئاسية ثانية، مع أن الجمهور الأميركي لا تعنيه السياسة الخارجية كثيراً، ولا تحتل مرتبة متقدمة في عوامل الفوز إذ تحتل المرتبة السابعة بعد المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية المتعددة.

وبناء عليه، فان الادعاء الإسرائيلي والأميركي بإمكان تكرار التجربة الإماراتية والبحرينية مع ٥ دول أخرى ليس بلا أساس حقيقي، فالنقاشات والعلاقات الأمنية واللوجستية شبه علنية، لكنها لم ترتق إلى نقطة اتفاق سلام بسبب مكانة بعض هذه الدول وعلاقاتها ومسؤولياتها العربية والإسلامية. وربما تحتاج بسبب وزنها إلى إعلان يخفف حدة انتقادها في العواصم العربية والإسلامية المنافسة. وربما يكون التوازن الإقليمي مع إيران وتركيا هو ما يؤخر إعلانات من هذا النوع، من دون مكاسب

مرضية، كأن يعلن الرئيس ترامب استعداده تعديلَ صفقة القرن بما يسمح للفلسطينيين بالقبول بنقاشها والدخول طرفاً فيها. وربما كانت تعهدات المرشح الديمقراطي للرئاسة جو بايدن (إذا فاز في الانتخابات الرئاسية بعد ٥٠ يوماً على التوقيع على «اتفاق إبراهيم») بفتح قنصلية أميركية شرقي القدس، وإلغاء الضم، والتمسك بحل الدولتين، وتحسين الاتفاق النووي مع إيران، لمنع تأثيره على دول الخليج، إشارة واضحة لإغراء هذه الدول بتأجيل إعلاناتها، وكسب موقف أفضل، ومعارضة أقل لمواقفها في شأن تطبيع علاقاتها مع إسرائيل من دون إحراز تقدم في القضية الفلسطينية، خصوصا أن سؤالاً مركزياً لدى العديد من الدول العربية وضعته اتفاقات التطبيع الإماراتية والبحرينية مع إسرائيل، هو: من الدولة التالية في الهرولة إلى البيت الأبيض لتكرار توقيع اتفاق التطبيع؟ وبات السؤال يحتاج إلى إجابات. وصارت الإجابة عنه ليست من؟ بل متى؟ وباتت دول تسأل أيضاً لماذا أتأخر عن ذلك عوض القفز إلى هذا القطار والتمتع بمزاياه؟

مع كل المرارة التي تُرافق هذا الوضع، كان الرئيس الفلسطيني محمود عباس شديد الوضوح في رفضه التطبيع المجاني، فقد شدد في بيان صدر عن مكتبه عقب حفل التوقيع في البيت الأبيض، في ١٥ أيلول، على أنه «لن يكون هناك سلام أو أمن أو استقرار لأحد في المنطقة دون إنهاء الاحتلال ونيل الشعب الفلسطيني حقوقه كاملة التي نصت عليها قرارات الشرعية الدولية». وأشار إلى «أن توقيع الإمارات ومملكة البحرين وإسرائيل اتفاقات في البيت الأبيض لن يحقق السلام في المنطقة ما لم تقر دولة الاحتلال والولايات المتحدة بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة والمتواصلة على حدود الرابع من حزيران بعاصمتها القدس الشرقية وحل قضية اللاجئين وفق القرار ١٩٤». وقال لم ولن نفوض أحداً بالحديث نيابة عن الشعب الفلسطيني. ولن نسمح لأحد بتجاوز الشعب الفلسطيني.

احتفال لا يوجد أي شيء خارجه

يتجلى شخص «معتل اجتماعياً» هو الرئيس دونالد ترامب بحسب وصف علماء الاجتماع في الولايات المتحدة الأميركية. في تباهيه الاحتفالي مع شريكه الفاسد نتنياهو بأنهم جلبوا السلام وأوقفوا الحرب مع دولتين خليجيتين عربيتين. مع أنه لا توجد حرب أوقفوها معهما. احتفال لا يوجد أي شيء خارجه. إذ لم يعرضا سلاماً مع أحد، إلا سلاماً لا حاجة لأميركا به مع دولتين هما محميتان أميركيتان بما تحمله الكلمة من معنى، وتجاهلاً تاماً للفلسطينيين وحقوقهم بالحرية والكرامة وفق سياسة نتنياهو منذ تسلمه زمام الحكم.

لا توجد كلمات مشابهة كالتي أطلقها ترامب

ووصف بها الشعب الفلسطيني على مر الإدارات الأميركية السابقة حتى قبل اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣. إذ قال إن «الشعب الفلسطيني يحصل على مساعدات أميركية (وهي بالمناسبة مساعدات تافهة وضئيلة) ويتلقى شعارات الموت لأميركا، ولأنه شجاع أكثر من كل رؤساء أميركا السابقين قطع عنهم هذه المساعدات». من دون أن أن يتحدث عن سلسلة المواقف العدائية التي اتخذتها إدارته قبل هذا الموقف، من إغلاق مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن. وقطع مساهمة إدارته في وكالة إغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة «الأونـــروا»، والانسحاب من منظمة «اليونيسكو» لأنها صنفت الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية في قائمة التراث الفلسطيني العالمي، وإغلاق القنصلية الأميركية في القدس قبل أن يعترف بها عاصمة حصرية لإسرائيل وينقل السفارة الأميركية إليها بخلاف الإدارات السابقة، وتهديد وزير الخارجية الأميركي جورج بومبيو المحكمة الجنائية الدولية بالعقوبات إن أجرت تحقيقات في شأن انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني في الضفة الغربية وقطاع غزة. وذلك كله قبل مسرحية عرض مشروع «صفقة العصر» التي تعطي إسرائيل الحق بالتصرف وتطبيق كل ادعاءاتها بالسيادة على الأراضي الفلسطينية المحتلة وحقها في الضم واعتبار الاستيطان «ليس مخالفاً للقانون الدولي»، وعملياً منع إقامة دولة فلسطينية، لتقترح على الفلسطينيين بعد ذلك كله كياناً مقطعاً إلى معازل وكانتونات على أقل من ٤٠ بالمائة من مساحة الضفة الغربية بلا سيادة ولا أمن ولا حدود. وقبلها ورشة البحرين التي تكرس الاحتلال والهيمنة الإسرائيلية على مقدرات الشعب الفلسطيني من خلال عرض استثمارات بمقدار ٢٧ مليار دولار على مدار ١٠ سنوات أي ما معدله ٢ مليار و٧٠٠ مليون دولار سنوياً في الوقت الذي يخسر فيه الفلسطينيون نحو ٧ مليارات دولار سنوياً جراء استمرار أدوات السيطرة الإسرائيلية على الحدود والمعابر مع الدول العربية ومنع الفلسطينيين من التجارة الحرة مع العالم واستغلال مواردهم وثرواتهم الطبيعية ومياههم الجوفية. ولا توجد كذبة أكبر من صفقة القرن بشقيها الاقتصادي والسياسي.

لا مجال في هذه المقالة للحديث عن صفقة القرن، فقد نوقشت بما فيه الكفاية منذ عرضها. لكن نحن نتحدث عن آثار الصفقة ونية إسرائيل ضم منطقة الغور تطبيقاً لها ولتداعياتها. الخطوات الفلسطينية الجريئة رداً عليها استناداً إلى رفضها ورفض أي مفاوضات في شأنها. تلك الـــردود التي أوقعت جميع الفرقاء في حيرة وترقب وحذر. وكذلك تداعيات انهيار الجدار العربي الرسمي الذي كان

متماسكاً بربطه السلام بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة. هذا الانهيار الذي جاء بعقد اتفاقات تطبيع مجاني مع إسرائيل ما عده الفلسطينيون طعنة سياسية عميقة لهم ولمواقفهم في مواجهة صفقة القرن التي لم تعرض على الفلسطينيين إلا استسلاماً، وكان الحركة الوطنية الفلسطينية هزمت تماماً. وهناك فرق بين أشكال الضعف والترهل من جهة، والهزيمة.

الضم والرد

مع إعلان إسرائيل نيتها ضم منطقة الغور، وهي العمق الحقيقي لأي دولة مستقبلية قابلة للحياة إذ تشكل ما نسبته ٣٠٪ من مساحة الضفة. وهي منطقة التطور الحضري لأي دولة فلسطينية مستقبلية. وسلة الغذاء الرئيسة لها. وتقع على أهم وأكبر حوض للمياه الجوفية. بالإضافة إلى ثروات البحر الميت. قضت إسرائيل على مبدأ التسوية التفاوضية وأرادت فرض الاستسلام على الفلسطينيين، فجاء الرد سريعاً بوقف وتعليق كل الاتفاقات السياسية والاقتصادية والأمنية مع إسرائيل.

الرفض الفلسطيني الرسمي لصفقة القرن فتح لهم فرصة لدينامية جديدة، وحراك سياسي واعد نحو وحدة الموقف والأدوات لمواجهة الصفقة. فقد أجمعت الفصائل والمؤسسات الرسمية والأهلية على فتح صفحة جديدة في العلاقات الداخلية. وأثمرت خطوات سياسية بدأت بترجمة الرفض الفلسطيني إلى تعليق ووقف العمل بكل الاتفاقات مع إسرائيل. وإحياء العمل الوحدوي في الميدان أولاً من خلال تشكيل قيادة وطنية موحدة لمواجهة الاحتلال والاستيطان، واجتماع الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية بما فيها حركتا «حماس» و«الجهاد الإسلامي». والاتفاق على رؤية وخطط تفتح الآفاق نحو تعددية سياسية حقيقية وسلطة واحدة في الضفة والقطاع.

إعادة الاعتبار لحركة التحرر الوطني

صحيح أن الطريق نحو إصلاح النظام السياسي الفلسطيني ليس سهلاً بعد تراكمات الانقسام وتعدد الولاءات والتحالفات الإقليمية. لكن محاولات فرض استسلام وهزيمة الحركة الوطنية الفلسطينية دفعت الجميع إلى إجراء مراجعة تبدو جدية لفتح ورشة إصلاح لأدوات العمل السياسي والكفاحي، والأمل ألا تضيع هذه الفرصة مرة أخرى.

ولكيلا تذهب هذه الفرصة أدراج الرياح، ولأن الوقت لا يسير في صالح الفلسطينيين كي يصمدوا أمام تحديات التاريخ والجغرافيا، ولكيلا تضيع قضيتهم، فإن إعادة الاعتبار للحركة الوطنية الفلسطينية باعتبارها حركة تحرر وطني تكافح من أجل تصفية الاستعمار الاستيطاني لبلادهم تحتل المكانة الأهم بين

مهمات عدة تتعلق بخلق توازن بين مهمات التحرر وإدارة الحياة اليومية للمواطن على أسس ديموقراطية واضحة وقوية ومتطورة.

وهذا يعني اعتراف جميع الفصائل بمنظمة التحرير ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب ومرجعية سياسية ووطنية جامعة تقوم على الشراكة والمسؤولية والشرعية الشعبية. أي أن تتم هذه العملية من خلال الاتفاق على أسس إجراء انتخابات عامة فلسطينية عندما تنتهي جائحة كورونا. لتصبح منظمة التحرير شكلاً من أشكال الجبهة الوطنية العريضة التي تضم كل مكونات الشعب من فصائل ومنظمات شعبية ومؤسسات رسمية وشعبية وشخصيات وطنية مستقلة.

إن قرار حركة «حماس» الانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية بما هو قرار إيجابي مهم يعزز الحركة الوطنية الفلسطينية ويعزز المكانة الشعبية للحركة أيضاً، يتطلب فك كل ارتباط تنظيمي بحركة «الإخوان المسلمين» العالمية والانفكاك عن مشاريعها الإقليمية وقراراتها، والإبقاء على علاقتها معها والاستفادة من قوتها الإقليمية لدعم القضية الفلسطينية. ومن دون هذه الخطوة السياسية الجوهرية ستبقى الشكوك وغياب الثقة هي السائدة في العلاقة بين الفلسطينيين وفصائلهم. وتالياً فإن كل الخطوات التي لا تبنى على الشفافية والثقة قد لا ترى النور أو أنها ستخلق مشوهة. وأيضاً من واجب المنظمة أن تفتح الباب واسعاً لحركة حماس كي تكون شريكاً وطنياً فلسطينياً كاملاً في كل ما يتعلق بالمستقبل الفلسطيني. على الأسس الواردة أعلاه. مع أن تراكمات الانقسام قد تعوق هذه العملية، لكن الانفتاح على إعلان «حماس» في ورقة أيار سنة ٢٠١٧ وتطوير تلك المواقف يساعد ويعزز فكرة الانفتاح الفلسطيني على الوحدة وطي صفحة الانقسام، إلى جانب التعاون المثمر لفكفكة الحصار الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية في الضفة وغزة. وإراحة المجتمع الفلسطيني من كل آثار الانقسام والحصار. وإعطاء الشعب الفلسطيني أملاً بقدرته على هزيمة الاحتلال والتمسك بحقوقه الوطنية وتحقيقها.

تشكل الوحدة على هذه الأسس رافعة للتضامن العالمي والعربي والإسلامي مع الشعب الفلسطيني وقضيته باعتبارها قضية تحررية وإنسانية وديمقراطية. وتفتح الأبواب واسعة أمام توحيد جهود الفلسطينيين تحت الاحتلال وفي دول اللجوء الجماعي والفردي لتصفية الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية تكون مركزاً جديداً لتطور الشعب الفلسطيني.

من نافل القول أيضا إن ما يسمى التسوية التفاوضية لإنهاء الاحتلال لا تزال حلاً تتمسك به معظم دول العالم من الاتحاد الأوربي إلى الصين وروسيا الاتحادية إلى الدول الآسيوية والإفريقية والعربية بالطبع. بما فيها الدول

التي أقامت سلاماً مع إسرائيل. ولا يجوز استسهال التخلي عن أي ورقة مهما ضعفت قوتها كفكرة الانسحاب من الجامعة العربية أو منظمة التعاون الإسلامي أو مجموعة السبعين. وحتى في أميركا وإسرائيل لا تزال قوى وازنة تتمسك بحل الدولتين باعتباره يوفر الأمن والسلام للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي بما في ذلك قطاعات ليست قليلة في المجتمع الإسرائيلي. لكن هذه الأفكار، مع أي أفكار أخرى تجلبها النخب الفلسطينية الجديدة معها في إطار عملية الدمقرطة يجب أن تخضع للنقاش من دون أن تكون عائقاً أمام الوحدة والانفتاح على الفكر العروبي بطبعته الإنسانية التحررية، لتفتح الطرق لإعادة تأسيس حركة التحرر الوطني وإحياء جبهات العمل العربي والإسلامي في كل الميادين.

وأخـــيراً، تعد فــرص نجاح المرشح الديمقراطي جو بايدن في الانتخابات المقبلة أفضل من فرص ترامب إن لم تكن متساوية. وفي السياسة لاتزال الولايات المتحدة التي ترعى إسرائيل وتمدها بكل أسباب الدعم والتفوق هي الوحيدة ربما التي تملك أدوات ضغط حقيقية ومؤثرة على إسرائيل. ومن دون الرهان على ذلك والتكاسل في تحقيق الوحدة الفلسطينية وإعادة الاعتبار لمنظمة التحرير ودمقرطتها وفتح أبوابها لجميع القوى الحية، فإن الحياة تدعونا إلى الأمل والإيمان بقدرتنا على تعديل موازين القوى وتخفيف الضغوط الانتخابية لزعيمين يخلطان بين الحاجات الملحة لإقامة سلام حقيقي والمصالح الانتخابية الفردية. ولهذا فإن الهرولة إلى خطوات سياسية تضعف الفلسطينيين والعرب جميعاً من خلال إعادة تعويم وانتخاب ترامب ونتنياهو لا مكان لها بين شعوب المنطقة ويجب ألا تكون لها أي مكانة في العمل السياسي الفلسطيني.

الفلسطينيون لا يهتمون بمن يقود في أي دولة في العالم، فهذا شأن الدول وشعوبها، بل يهتمون بحقوقهم في التحرر والاستقلال وإيجاد الطرق المناسبة للوصول إلى ذلك.

غطرسة القوة والمال في اللحظة المريضة

مهند عبد الحميد

اتفاق البيت الأبيض، في ١٥ أيلول ٢٠٢٠، الذي أطلق عليه اتفاق سلام أو معاهدة سلام ليس سلاماً ولا معاهدة سلام بالمعايير السياسية، فالسلام عادةً يأتي بعد حرب أو صراع مرير بين الأطراف المتعاقدة على السلام، والسلام له علاقة بموازين القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية، لذا قد يكون إملاءً أو مختلاً لصالح الأقوى والمهيمن، وقد يكون متوازناً. والسلام لا يتجزأ، فلا يكون سلام على الهامش بينما يكون الصراع في المركز ومحيطه محتدماً كما في فلسطين أو بارداً كما في مصر والأردن ومتوتراً مع لبنان وسورية.

لا يكون سلام مع الإمارات والبحرين اللتين لم تدخلا في الصراع ولم تشاركا في الحروب. بل إن الدولتين العربيتين المحتفلتين بـ«السلام» تربطهما بإسرائيل علاقات سياسية وأمنية واقتصادية سرية منذ زمن طويل، وكان أقصى دور للبلدين في الصراع هو دعمهما الموقف الرسمي العربي «مبادرة السلام العربية» والدعم المالي للأطراف العربية في الصراع.

فبحسب صحيفة «نيويورك تايمز»، فإن هناك علاقات إسرائيلية خليجية قبل إبرام الاتفاقات، «ففي ستينيات القرن الماضي، أنزل الطيران الإسرائيلي السلاح إلى اليمن لمساعدة السعودية التي كانت تدعم الملكيين ضد

* إعلامي وكاتب رأي.

الثوريين الجمهوريين الذين دعمتهم مصر». «واحتفظت إسرائيل بعلاقات مع سلطنة عُمان منذ سبعينيات القرن الماضي»، وفي العام ١٩٩٦، بعد توقيع اتفاق أوسلو، فتحت إسرائيل بعثات لمتابعة مصالحها الدبلوماسية في قطر وعمان والمغرب وتونس»، وفي العام ٢٠١٥، «افتتحت إسرائيل مقراً دائماً لها، وهي أول بعثة دبلوماسية في الإمارات»، وباعت إسرائيل للإمارات طائرات مسيرة.[١]

وقدّرت معاهد البحوث الدولية أن قيمة التجارة بين إسرائيل والخليج تبلغ ملياري دولار سنوياً.[٢]

لا تندرج الاتفاقات الموقعة بين إسرائيل والإمـارات والبحرين تحت مسمى تحالف، فالدولتان تابعتان سياسياً وأمنياً واقتصادياً لأميركا، وكان قرار الاتفاقات أميركياً. لا ينطبق مصطلح تحالف بين ضعيف ومهيمن، بين تابع ومتغطرس.

لقد أصاب الروائي الإسرائيلي أ.ب. ميخائيل في وصفه ما جرى بالقول: «الاحتفال في واشنطن، على الرغم من صيغ التفضيل المدهشة التي نثرت عليه، ليس سوى دعاية انتخابية مزدوجة لشخصين نرجسيين عديمي الكوابح، يعانيان في هذه الأثناء من ذعر انتخابي معين، لهذا فبركا «حدثاً تاريخياً» لأنفسهما من أجل أن يُفرحا قاعدتيهما. لم يكن هذا صعباً. إمارتان ديكتاتوريتان، ظلاميتان تخرقان حقوق الإنسان، تم إقناعهما بمساعدة المحفظة ودكان السلاح للعم سام بالكشف عن علاقتهما الخفية مع دولة ظلامية ثالثة. الأمر الذي تم إخفاؤه سنوات تحت البساط، استُلّ الآن ويتم عرضه في واجهة العرض الموجودة في الصالون.[٣]

ما يمكن قوله إن إدارة ترامب وطاقمها المؤلف من مستوطنين متعصبين أميركيين يهود، صنعت هذا الحدث المسخ، مدشنةً به انقلاباً من طرف واحد في رؤية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والحل السياسي الذي عبرت عنها «صفقة القرن». كان توقيع الاتفاق مع الإمارات والبحرين في البيت الأبيض امتداداً لقرارات سابقة كاعتبار القدس «الموحدة» عاصمة لإسرائيل ونقل السفارة الأميركية إليها، وضم الجولان، وشطب قضية اللاجئين، وتشريع الاحتلال والاستيطان، واعتبار السيادة على عموم الأرض الفلسطينية من نصيب الدولة المحتلة، واختزال حقوق الشعب الفلسطيني بحقوق مدنية في إطـار نظام أبارتهايد استعماري.

لقد أرادت إدارة ترامب توفير غطاء عربي رسمي لتلك المواقف المتنكرة بالتمام والكمال للحقوق الفلسطينية المشروعة المنصوص عليها

في القرارات الدولية والعربية. كانت البداية بالتهادن العربي الرسمي مع مشروع الصفقة الأميركية والمشاركة في مؤتمر المنامة الاقتصادي والسكوت على ضم القدس الموحدة لإسرائيل والسكوت على شطب قضية اللاجئين، وصولاً إلى إبرام الاتفاقات مع الإمارات والبحرين على قاعدة الصفقة الكارثة.

الغريب في الأمر أن كوشنير الذي وصفه ترامب بأنه «زعيم لا يُصدق (عظيم) لإسرائيل»[٤] اعتمد سياسة شراء صمت أو تأييد دول عربية مهمة وغير مهمة مأزومة اقتصادياً، من الصندوق الخليجي وليس الأميركي، وسياسة معاقبة الرافضين وغير المستجيبين للصفقة ، وكان نصيب الأسد في العقوبات للشعب الفلسطيني. إنه المنطق التجاري المزري المُعتَمد لدى إدارة ترامب. مثلاً، يُعرض على السودان الذي يترنح بالأزمات والفقر المدقع، رفع اسمه من قوائم الإرهاب ورفع العقوبات والحصول على مبالغ من الصندوق الخليجي، مقابل إبرام اتفاق مع إسرائيل على قاعدة صفقة القرن. وعندما يجري تبييض انتهاكات أنظمة مستبدة من جرائم حرب في اليمن وليبيا وسورية، وتبييض انتهاكاتها لحقوق الإنسان بما في ذلك قتل صحافي سعودي وتقطيعه بالمنشار وإخفاء آثاره، وقتل آخرين وإرهاب كثيرين مقابل قبول صفقة القرن وتمريرها والإذعان لحلقاتها التالية، فإن ما يجري هو إبرام اتفاقات مع دولة الاحتلال لتكريس حل الصفقة. عندما تتعامل إدارة ترامب وحكومة نتنياهو بهذا المستوى من الانحطاط فإنها تسجل مكانة سحيقة في قاع الإفلاس السياسي والأخلاقي والإنساني، وهذا يجعل كل المشروع غير قابل للحياة.

استبدال القانون الدولي بأيديولوجيا تعصبية

تنطلق ثنائية شعوب واستعمار، من رفض الشعوب للأطماع والنهب والسيطرة الاستعمارية، وأحياناً يغلف الاستعمار احتلاله البلدان بتخلف الشعوب وحاجتها إلى تأهيل قد يمتد إلى عقود، وفي هذا السياق جرى تحوير مصطلح استعمار واحتلال إلى انتداب. أما تجربة المستعمرين الإسرائيليين في فلسطين فتستند إلى أساطير وميثات (أيديولوجيا) تتلخص باستبدال شعب بآخر وثقافة بأخرى واعتبار ذلك تنفيذاً لإرادة إلهية، مستخدمة البطش المقدس وفارضة جهلاً مقدساً في قواعدها الشعبية (الحريديم والمتعصبين من اليهود الغربيين والصهيونيين المسيحيين داخل إسرائيل وخارجها).

استند وعد بلفور للزعم الأسطوري، و«الانتداب» البريطاني جاء لينفذ الوعد،

وتعاملت الإدارات الأميركية من الناحية العملية مع تلك الادعاءات إلى أن جاءت إدارة ترامب لتشرعها وتعتبرها منطلقاً لمشاريعها السياسية. فالاحتلال الإسرائيلي ليس احتلالاً والاستيطان عمل مشروع، وأرض فلسطين التاريخية هي الوطن القومي لليهود، ولا يجوز عودة المهجرين الفلسطينيين وأبنائهم وأحفادهم إلى وطنهم وبلداتهم ومدنهم. وهذا يعني شطب القانون الدولي (ميثاق الأمم المتحدة والمعاهدات والقرارات الشرعية) وإحلال المزاعم الأيديولوجية مكانه في كل ما يتصل بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وفقاً لذلك أصبحت المرجعية في الصراع بين السكان الأصليين (الشعب الفلسطيني) ودولة المستعمرين الإسرائيليين هي أيديولوجية يهودية شاء الشعب الفلسطيني وشعوب العالم والأمم المتحدة أم لم تشأ. صفقة ترامب صاغها طاقم أميركي يهودي صهيوني متزمت تخرج من مدارس دينية داخل المستعمرات الإسرائيلية)، وقد اعتمد الميثاق الصهيونية وحولها إلى مشروع سياسي (صفقة القرن). وبالتالي فإن كل من أيد صفقة القرن مباشرة أو موارية متورط في الإذعان لعملية استبدال القانون الدولي والشرعية المنبثقة عنه بأيديولوجيا تعصبية هي الوجه الآخر لأيديولوجيا القاعدة وداعـش والنصرة وبوكو حرام وطالبان والأحزاب الفاشية العنصرية في الغرب.

إن اعتراف الإمارات والبحرين بإسرائيل على أساس صفقة القرن ليس له أي تفسير غير الموافقة في المضمون على الاستبدال الشائن. ولا يغير من هذه الحقيقة المُرة حديث المسؤولين الإماراتيين والبحرينيين ومن لف لفهم عن الالتزام بالحقوق الفلسطينية والدولة الفلسطينية التي تنفيها صفقة القرن نظرياً، وتقوض وتدمر مقوماتها الوقائع الاستعمارية الإسرائيلية عملياً على الأرض. كما أن المزاعم التي تقول إن الطرف الفلسطيني إذا ما قبل التفاوض على الصفقة يستطيع أن يحصل على دولة عاصمتها القدس هي محض ادعاء ليس له غير وظيفة التغطية على تصفية الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني. وأكبر دليل على ذلك أن نتنياهو وكوشنير وفريدمان سارعوا إلى تأكيد الضم وفرض السيادة الإسرائيلية من النهر إلى البحر. ليس هذا فحسب وإنما للأسف الشديد هناك نخبة سياسية ودينية وإعلامية خليجية شبه رسمية بدأت تتبنى بوقاحة منقطعة النظير استبدال القانون الدولي بأيديولوجيا دينية يهودية، وتتبنى الرواية الإسرائيلية في كل ما يتصل بالصراع الفلسطيني الإسرائيلي. أهم ما يميز هذه النخبة

هو جهلها المريع بالتاريخ والجغرافيا والوقائع والمعرفة وأدب الاختلاف، وكل هذا في زمن ثورة الاتصال والمعلومات التي تتيح معرفة غير التي ترددها هذه النخبة البائسة.

السلام مقابل السلام

في المستوى الرسمي الخليجي جرى التعاطي مع مقولة نتنياهو القائلة «السلام مقابل السلام» كبديل لمبدأ «السلام مقابل الأرض» الذي نص عليه قرار ٢٤٢، وطبق في المعاهدة المصرية الإسرائيلية، وفي الاتفاق الأردني الإسرائيلي، واعتمد في مؤتمر مدريد، كما ضمن في مقدمة اتفاق أوسلو بصيغة، «أن الهدف النهائي هو تطبيق قرار ٢٤٢»، واعتمد في خارطة الطريق، وفي مبادرة السلام العربية. اعتمد مبدأ الأرض مقابل السلام على الرغم من أن الهدف الأميركي الإسرائيلي في التطبيق كان تكريساً لعلاقات تبعية وهيمنة على دول وشعوب المنطقة حتى بإعادة سيناء وبعض الأراضي الأردنية. لكن «سلام مقابل سلام» يعني بقاء الاحتلال وتثبيت السيادة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية، وهو ما نصت عليه قرارات ترامب وبنود صفقة القرن وخرائطها، بما في ذلك تقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً لأول مرة في التاريخ المعاصر وبشكل مخالف لتعايش الأديـان واحترام المقدسات، والأنكى الادعاء أن اتفاق الإمارات والبحرين مع إسرائيل سيتيح للمسلمين الصلاة في المسجد الأقصى في الوقت الذي لم يتحقق فيه مثل هذا الادعاء مع مصر والأردن اللتين يقاطع شعباهما مسلمين ومسيحيين دولة الاحتلال بعد أن كشفا أكاذيبها . وكيف يمكن فتح الأبواب للعالم العربي والإسلامي للصلاة في القدس وإغلاقها أمام الشعب الفلسطيني في قطاع غزة والضفة الغربية وهما على بعد ساعة أو نصف ساعة في الحافلة إلا ضمن فئات عمرية كبيرة بالسن. بل أن مخيم قلنديا المحظور على سكانه دخول القدس يبعد نحو ٨ كم فقط عن المسجد الأقصى.

كيف يمكن تطبيق مبدأ نتنياهو «سلام مقابل سلام» مع بلدان في حالة سلام مع دولة الاحتلال. ما هو الجديد الذي سيضيفه الاتفاق غير دعاية انتخابية لترامب وغير تمكين نتنياهو من الحكم لأطول مدة. والأهم كيف يقبل البلدان إبرام هذا الاتفاق على حساب وحتى في مواجهة التحرر الفلسطيني من الاحتلال. ولماذا تتم مكافأة الاحتلال الاستعماري ومعاقبة الشعب الذي يرزح تحت الاحتلال؟ يبرر بعض الخليجيين ذلك كما نقرأ ونسمع في وسائل إعلامهم بأن الفلسطينيين أضاعوا كل الفرص التي أتيحت لهم، ولا يمكن انتظار مزيد من

الوقت حتى يقبلوا بالحلول «المفروضة». وهذا الادعاء الإسرائيلي مصدر هذه الرواية كاذبة، يمكن تفنيده من خلال المؤرخين الفلسطينيين الأكاديميين ومن خلال وثائق الأرشيف البريطاني والإسرائيلي المفرج عنها. إلا إذا كان رفض الفلسطينيين الاستسلام للشروط الإسرائيلية الأميركية هو إضاعة فرصة.

قد تدعي دولتا الإمارات والبحرين أن إبرام السلام مقابل سلام هدفه تأمين الحماية من الخطر الايراني. هذا الإدعاء تفنده العلاقات الاقتصادية الإيرانية الإماراتية الأكثر من طبيعية، فقد أعلنت منظمة الجمارك الإيرانية أن قيمة المبادلات التجارية مع الإمارات العربية المتحدة بلغت ١٣,٥ مليار دولار» كما أن أبوظبي تمكنت من خفض التوتر مع الحوثيين ووضع حد لهجماتهم على منشآتها الحيوية»،[٥] وتوجد ٢٠٠ رحلة طـيران أسبوعية بين الإمارات وإيران، منها ٥٠ رحلة أسبوعية بين طهران ودبي، وفق إحصاءات وزارة الخارجية الإيرانية،[٦] وقد نقلت وكالة أنباء فارس في إحصاءات صادرة عن دائرة الأحوال الإيرانية أن عدد الإيرانيين المقيمين في الإمارات يبلغ ٨٠٠ ألف نسمة، وهناك أربع جامعات إيرانية في الإمارات».[٧] الأرقام الإيرانية تتحدث عن ٤٠٠-٥٠٠ ألف إيراني، يشكلون نصف عدد المواطنين الإماراتيين. صحيح أن الإمارات جزء من قوات التحالف الخليجي التي تحارب في اليمن لكن تفاهماتها من تحت الطاولة أوجدت حلاً لها، كما يمكن إنهاء الحرب في اليمن وهو الذي يحتاج شعبه السلام بحق. وكان الأجدر بدول الخليج إقامة السلام في اليمن وليبيا وسورية والعراق ولبنان وطبعاً في المقدمة فلسطين، تلك الشعوب التي تحتاج بشدة للسلام ووقف كل أنواع التدخلات والاحتلالات الخليجية والإيرانية والأميركية والإسرائيلية والتركية والروسية. «هنا الـوردة فلترقص هنا»، «هنا مطلوب إقامة السلام» الذي يتيح لتلك الشعوب تنفس الصعداء. لا تحتاج هذه الشعوب إلى أف ٣٥ ولا تحتاج إلى مسيرات ولا سفك دماء ولا خبرات المؤسسة الأمنية الإسرائيلية في الدمار والقتل. الإمارات والبحرين والدول العربية التي أجازت الاتفاقات ينطبق عليها قول الشاعر «يدعو لأندلس إن حوصرت حلب».

اختراق الموقف العربي

في أوج الاستفراد الإسرائيلي الأميركي بالشعب الفلسطيني وحركته الوطنية، وفي أوج الحصار والعقوبات الخانقة التي تمارس على فلسطين، في هذه اللحظة الفارقة، قدم وزراء الخارجية العرب الغطاء للاتفاق الإماراتي البحريني، ولأعمال التطبيع مع دولة الاحتلال التي أقدمت

عليها مجموعة من الدول العربية، الأمر الذي كان يعني رفع الغطاء العربي الرسمي عن حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة، ورفع الغطاء العربي عن القضية الفلسطينية وتراجع جامعة الدول العربية عن ميثاقها ومبادرتها للسلام، والتساوق مع صفقة القرن وإجازة الحل الإسرائيلي الأميركي (صفقة القرن).

قبل اجتماع وزراء الخارجية العرب الأخير كانت جامعة الدول العربية تسمح لدولها بالتحالف مع إسرائيل والتطبيع معها سراً، وفي الوقت نفسه كانت تؤمن الغطاء السياسي للقضية الفلسطينية وللحلول التي تعتمدها فلسطين نظرياً ومعنوياً. في اجتماع وزراء الخارجية الأخير رُفع الغطاء عن القضية الفلسطينية وقُدم الغطاء للدول المطبعة والمندلقة على إسرائيل، وكأن دول الجامعة العربية تستجيب للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية التي أفصح أحد أركانها عن ذلك بالقول «جوهر حديثنا مع دول الخليج كان لماذا تعطون المفتاح للفلسطينيين؟»[٨] وها هم يسحبون المفتاح برفض الطلب الفلسطيني عقد اجتماع طارئ لوزراء الخارجية العرب ورفض مشروع القرار الفلسطيني المتواضع جداً الذي يرفض الخروج عن مبادرة السلام العربية، ويسحبون المفتاح، برفض تطبيق قرار القمم العربية عبر توفير شبكة أمان مالية بعد قرصنة دولة الاحتلال أموال الضرائب التي يدفعها الشعب الفلسطيني، وبامتناع دول خليجية أساسية عن دفع حصتها المالية للصندوق الفلسطيني، لتنضم بذلك إلى نظام العقوبات والحصار الأميركي الإسرائيلي.

قرار التحول في الموقف العربي الرسمي من مستتر إلى معلن كان قراراً أميركياً إسرائيلياً، كان صناعة أميركية بأسلوب الصفقات ماركة كوشنير «الرهيب»، وجاء نتيجة منطقية لعلاقات التبعية في مرحلة التوحش. إنه التحول السياسي الأخطر بكل المقاييس، المترافق مع عملية إخضاع المال الخليجي لغطرسة القوة الأميركية الإسرائيلية وتوظيفه في العدوان على الشعوب. ومن علائم ذلك قمة الرياض التي قدمت لترامب ٥٠٠ مليار دولار، وتلاها إبرام صفقات الأسلحة بعشرات مليارات الدولارات، وعقود تجارية ومشاريع طويلة الأمد بمئات المليارات.

الآن تفتح كل أبواب الخليج ومجالاتها الجوية والبحرية أمام الاستخدام الإسرائيلي للبترو والغاز دولار. هكذا، لم يكن لصفقة القرن ثمن وحيد هو تعريف حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة بعيون ترامب ونتنياهو وكوشنير وفريدمان الاستعمارية العنصرية – الذي يعني

تصفيتها- بل هناك أثمان أخرى وهي وضع رأس المال الخليجي الضخم في خدمة الهيمنة الأميركية الإسرائيلية على المنطقة، والأخطر توظيف ذلك في منع أي تغيير ديمقراطي يخرج الشعوب والبلدان العربية من علاقات التبعية المهينة.

بقي القول إن الاندلاق الخليجي على دولة الاحتلال، ومكافأة دولة الاحتلال على انتهاكاتها وجرائمها وتشجيعها على تصفية القضية الفلسطينية، وفك عزلتها العربية والإسلامية والدولية، ووضع المال الخليجي في خدمة الهيمنة الإسرائيلية والأميركية، والانحياز للتوحش ضد الشعوب والبيئة الذي تمثله الظاهرة الترامبية على صعيد كوني، كل هذه المواقف والسياسات تتنافر مع مصالح الشعب الفلسطيني ومصالح الشعوب العربية ومصالح شعوب العالم. ولأنها كذلك فإن مصيرها سيكون الفشل، سيتم تجاوز هذه اللحظة المريضة، وقد بدأ الاستقطاب وبدأت حقبة جديدة من النضال التحرري الفلسطيني والعربي وعلى صعيد كوني، وفي هذه المعادلة يقف إماراتيون وبحرينيون وخليجيون شجعان ضد غطرسة المال وغطرسة القوة التي لن تستمر طويلاً أمام إرادة شعوب مصممة على التحرر والانعتاق.

الهوامش

١ شبكة علاقات سرية بين دول عربية وإسرائيل/ نيويورك تايمز / القدس العربي ٢٠٢٠/٨/١٦

٢ من العلاقات السرية إلى التطبيع العلني / موقع مرآة البحرين / ٢٠٢٠/١١/١٩

٣ أ.ب. ميخائيل/ أهلا بكم في مملكة أحلام بيبي /هآرتس / الأيام ٢٠٢٠/٩/١٦

٤ من مكالمة ترامب لزعماء المنظمات الأميركية اليهودية / وكالة التلغراف اليهودية / سما نيوز ٢٠٢٠/٩/١٧

٥ الإمارات الثانية بعد الصين في التبادل التجاري مع إيران

https://www.uae71.com/posts/83568

6 https://alkhaleejonline.net/%D8%A7%

٧ محمد النجار / الإمارات إيران تفاصيل الحبل السري / الجزيرة نت ٢٤ -٥-٢٠١٨

٨ نيويورك تايمز / شبكة علاقات سرية / مصدر سابق

هل كان للفلسطينيين دولة بحسب كتب التاريخ؟

د. علاء أبو عامر*

قد يبدو السؤال أعلاه سؤالاً غريباً وربما لو طرح حول شعب آخر، لا يخضع للاحتلال، لكن سؤالاً بلا معنى، إلا أن الحال مختلف مع الشعب الفلسطيني، كونه يخضع لاحتلال من نوع غريب، احتلال يتداخل فيه الديني بالثقافي والقومي، احتلال يتقمّص فيه الغريب شخصية ابن البلد وتاريخه وثقافته ومطبخه وزيه وتراثه وإرثه، ويدعي أنه يمتلكه، بينما وهو يفعل ذلك يُنكر على الأصيل؛ أي الشعب الفلسطيني، أيّ حق، بل ينعت المحتل الشعب الفلسطيني بأنه هو الغريب والطارئ في مفارقة عجيبة ومضحكة.

***

تستخدم القوى الصهيونية المسيحية واليهودية أساليب واسعةً من التضليل الإعلامي والثقافي لا تُصدق، ومعظمها مناف للعقل والواقع وحقائق التاريخ والقانون، متخذةً من بعض اللاهوت الذي يحوي تفسيرات مخالفة مع حقيقة ما تقوله النصوص الدينية الأصلية سبيلاً، وذلك بهدف جعل ما يطالبون به الشعب الفلسطيني ومن خلفه الأمة العربية من تنازلات، مطالب ذات أبعاد قدسية سماوية أو إلهية المصدر.

***

ترامب: لم يكن للفلسطينيين دولة!

ورد في خطة «ترامب – نتنياهو»، «صفقة

* أستاذ العلاقات الدولية والباحث في التاريخ القديم ومقارنة الأديان.

القرن» في بند «التطلعات القانونية للأطراف» العبارة الآتية: «في حين لم يكن للفلسطينيين أي دولة»، «فإن لديهم رغبة مشروعة في حكم أنفسهم ورسم مصيرهم».

اللافت للنظر في هذه العبارة أنها جازمة وقطعية، حيث لم يكن قبلها كلمة محتمل، أو ربما، أو يظن، أو حتى يعتقد، وهي الكلمات التي يستخدمها في العادة رجال السياسة والتاريخ، كي يتركوا الباب موارباً في الأطروحات التي تحتمل الشك، إذ لا جزم في التاريخ والسياسة إلا ما يصبح يقيناً وبالدلائل القطعية. فالتاريخ يُعبر عن وجهة نظر الكاتب أو الدولة التي صاغته ليخدم أهداف النخب الحاكمة، ولا يعني بأي حال من الأحوال أنه يُعبر عن وجهة نظر الطرف الآخر أو أنه تاريخ موضوعي ومحايد، لكن من الواضح أن العبارة الواردة في الخطة، هي عبارة مقصودة هدفها الخداع والتضليل، إذ إن في جوهرها نفساً عنصرياً إقصائياً فيه إساءة للشعب الفلسطيني، ومحاولة للتقليل من شأنه، ومن كرامته وكبريائه الوطني.

العبارة الواردة ليست جديدةً على مسامع الشعب الفلسطيني، فهي تكرار للمزاعم الصهيونية منذ احتلال فلسطين في العام ١٩٤٨ وقبل ذلك، وهي تُنكر وجود الشعب الفلسطيني وفق المقولة الصهيونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

ماهي الدولة وما هي أركانها:

القانون الدولي يزودنا بالمقاييس القانونية لتعريف الدولة: لابد من إقليم، وسكان، وسلطة (حكومة) تُعبر عن سيادتها. ويعرفها هوريو: «بأنها مجموعة بشرية مستقرة على أرض معينة وتتبع نظاماً اجتماعياً وسياسياً وقانونياً معيناً يهدف إلى الصالح العام ويستند إلى سلطة مزودة بصلاحيات الإكراه». أما «كاري دي مالبرغ» فيرى أن الدولة هي: «مجموعة من الأفراد مستقرة على إقليم معين ولها تنظيم ينتج عنه تمتع الجماعة في علاقاتها مع الأفراد المكونين لها بسلطة عليا تدخلية، آمرة وقاهرة. ولا يهم في تعريف الدولة وقانونيتها حجم إقليمها، أي مساحتها، إذ يمكن أن تكون مدينة كالفاتيكان أو سنغافورة، أو البحرين، ويمكن أن تكون بمساحة شبه قارة كروسيا والهند والولايات المتحدة والصين وكندا. (علاء أبو عامر. العلاقات الدولية. ٢٠٠١)

كانت اليونان القديمة مجموعة من دول المدن مثل أثينا وإسبرطة وطيبة وغيرها، وكانت تتحالف وقت الخطر، وكانت إيطاليا مجموعة دويلات مثل جنوة والبندقية وفلورنسا وغيرها، وكذلك كانت ألمانيا هي الأخرى مجموعة من دول المدن وتوحدت هذه المدن في عصرنا الحالي لتشكل دولاً كبرى.

وبناء على هذا التعريف القانوني الدولي، يطرح السؤال، هل كان للفلسطينيين دولة أو دول عبر التاريخ؟

الإجابة هي نعم.

نعم كان لهم دولة بل دول عديدة سجلتها صفحات التاريخ وكتب عنها الرحالة اليونانيون والرومان وكتاب العهد القديم، عبارة أن الشعب الفلسطيني لم تُقم له دولة في التاريخ هي عبارة كاذبة لا أساس لها من الصحة وهي في مضمونها منافية للإيمان اليهودي والمسيحي الوارد في النص المقدس الذي يتحدث بكل وضوح عن دول عدة أقامها أسلاف الشعب الفلسطيني من الفلسطينيين القدماء قبل أن تتشكل الأديان (السماوية) الثلاثة المعروفة اليوم وبعدها.

يورد سفر التكوين في المرحلة الإبراهيمية (نسبة إلى إبراهيم وسلالته «تُقدر بـ ١٨٠٠ ق.م») أن عدداً من ملوك فلسطين واجهوا ملوك عيلام وحلفائهم وهزموهم في معركة قرب البحر الميت، وهؤلاء الملوك هم ملوك عمورة، وسدوم، وأدمة وصبوييم وبالع (صوعر) وسالم، ويذكر سفر التكوين أسماء هؤلاء الملوك. (انظر تكوين:١٤) ويتحدث (التكوين:٢٠) عن مملكة فلسطينية عظيمة جداً يحكمها ملك فلسطيني، جاء في النص: «٢ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ» (تك:٢٠) و«ذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَار». (تك:٢٦)، وقد تحدث التلمود اليهودي عن عظم مملكة أبي مالك الفلسطيني. ويخبرنا [التكوين ٣٦] عن ممالك أخرى للفلسطينيين أو الكنعانيين (سيان) في جنوب شرقي فلسطين وهي ممالك الأدوميين، ويكفينا ما تحدث به جاسوسا موسى عليه السلام، «يوشع بن نون وكالب بن يفني» عن بلاد كنعان (فلسطين) حيث «٧ أَخْبَرُوهُ وَقَالُوا: «قَدْ ذَهَبْنَا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرْسَلْتَنَا إِلَيْهَا، وَحَقًّا إِنَّهَا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، وَهذَا ثَمَرُهَا. ٢٨ غَيْرَ أَنَّ الشَّعْبَ السَّاكِنَ فِي الأَرْضِ مُعْتَزٌّ، وَالْمُدُنُ حَصِينَةٌ عَظِيمَةٌ جِدًّا. وَأَيْضًا قَدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ هُنَاكَ. ٢٩ الْعَمَالِقَةُ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ، وَالْحِثِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ وَالأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ، وَالْكَنْعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ وَعَلَى جَانِبِ الأُرْدُنِّ» (سفر العدد ١٣). ويتحدث سفر يشوع عن مملكة أريحا وحصونها وأسوارها (يشوع:٢) وعن مملكة عاي (يشو:٨) ومملكتي حشبون وباشان (يشو:٩) ومملكة أورشليم الكنعانية بملكها أدوني صادق (يشو:١٠) وممالك حبرون ولخيش ويرموث، وعجلون (يشو:١٠) وممالك حاصور ومادون وشمرون وأكساف وعشرات الممالك الفلسطينية في الشمال والجنوب والجبل (يشو:١١) وهؤلاء لم يكونوا شيوخ قبائل بدوية بل ملوك ممالك

حقيقية. وقد وصف سفر يشوع جيوشها: «فَخَرَجُوا هُمْ وَكُلُّ جُيُوشِهِمْ مَعَهُمْ، شَعْبًا غَفِيرًا كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ فِي الْكَثْرَةِ، بِخَيْل وَمَرْكَبَاتٍ كَثِيرَةٍ جِدًّا. ٥ فَاجْتَمَعَ جَمِيعُ هؤُلاَءِ الْمُلُوكِ بِمِيعَادٍ وَجَاءُوا وَنَزَلُوا مَعًا عَلَى مِيَاهِ مَيْرُومَ لِكَيْ يُحَارِبُوا إِسْرَائِيلَ». (يشو:١١). وفي سفر يشوع الإصحاح ١٢ هناك تعداد للملوك والجيوش الذين حاربهم يشوع بحسب كاتب السفر.

ويخبرنا سفر القضاة أن ممالك الكنعانيين في زمن كتابة السفر زادت على السبعين مملكة من دول المدن. (انظر قضاة:١)

والمفاجأة أن سفر القضاة يخبرنا أن أدوني بازق ملك أورشليم كان حاكماً مركزياً لممالك الكنعانيين الأخـرى، وعدد سبعين مملكة، وهذا يعني أن القدس أورشليم كانت عاصمة لدولة كنعانية شملت كل مساحة فلسطين (٧ فَقَالَ أَدُونِي بَازَقَ: «سَبْعُونَ مَلِكًا مَقْطُوعَةٌ أَبَاهِمُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ كَانُوا يَلْتَقِطُونَ تَحْتَ مَائِدَتِي. كَمَا فَعَلْتُ كَذلِكَ جَازَانِيَ اللهُ». وَأَتَوْا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ فَمَاتَ هُنَاكَ. (قضاة:١) يخبرنا السفر أن عاصمة ممالك فلسطين كانت يبوس (أورشليم) وهذا بقول ملك القدس أدوني بازق الذي ينقل قوله كاتب سفر القضاة أن سبعين ملكاً من ملوك الكنعانيين أبناء شعبه كانوا يخضعون له وكان مسؤولاً عن أرزاقهم بل وكانوا يعظمونه.

هل بقي هناك من شك بعد قراءة هذا النص؟ وهو أن أورشليم كانت أول عاصمة للكنعانيين وأن لها ملكاً مركزياً يحكم ويخضع له باقي ملوك كنعان؟

هل قرأ الرئيس الأميركي ترامب هذه النصوص؟ من المفروض أنه قرأها فهو يناصر الصهاينة بموجب الكتاب المقدس.

وقد يقول قائل: هذا ماض سحيق وهؤلاء الملوك قتلهم وطردهم يشوع وحلت محلهم جماعة موسى (بحسب سفر يشوع) لكن المفاجأة أن العهد القديم لا يجزم بذلك، كيف؟

سفر القضاة يخبرنا بكذب كاتب سفر يشوع بقوله: «٢١ وَبَنُو بَنْيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنْيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. (قضاة:١)

«١٩ وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا فَمَلَكَ الْجَبَلَ، وَلكِنْ لَمْ يُطْرَدْ سُكَّانُ الْوَادِي لأَنَّ لَهُمْ مَرْكَبَاتِ حَدِيدٍ». (قضاة:١)

٢٧ و لَمْ يَطْرُدْ مَنَسَّى أَهْلَ بَيْتِ شَانَ وَقُرَاهَا، وَلاَ أَهْلَ تَعْنَكَ وَقُرَاهَا، وَلاَ سُكَّانَ دُورَ وَقُرَاهَا، وَلاَ سُكَّانَ يِبْلَعَامَ وَقُرَاهَا، وَلاَ سُكَّانَ مَجِدُّو وَقُرَاهَا. فَعَزَمَ الْكَنْعَانِيُّونَ عَلَى السَّكَنِ فِي تِلْكَ الأَرْضِ. ٢٨ وَكَانَ لَمَّا تَشَدَّدَ إِسْرَائِيلُ أَنَّهُ وَضَعَ الْكَنْعَانِيِّينَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ وَلَمْ يَطْرُدْهُمْ طَرْدًا. ٢٩ وَأَفْرَايِمُ لَمْ يَطْرُدِ الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي

جَازَرَ، فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسَطِهِ فِي جَازَرَ. (قضاة:١)

٣٠زَبُولُونُ لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانَ قِطْرُونَ، وَلاَ سُكَّانَ نَهْلُولَ، فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسَطِهِ وَكَانُوا تَحْتَ الْجِزْيَةِ. ٣١ وَلَمْ يَطْرُدْ أَشِيرُ سُكَّانَ عَكُّو، وَلاَ سُكَّانَ صَيْدُونَ وَأَحْلَبَ وَأَكْزِيبَ وَحَلْبَةَ وَأَفِيقَ وَرَحُوبَ. ٣٢ فَسَكَنَ الأَشِيرِيُّونَ فِي وَسَطِ الْكَنْعَانِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَطْرُدُوهُمْ. ٣٣ وَنَفْتَالِي لَمْ يَطْرُدْ سُكَّانَ بَيْتِ شَمْسٍ، وَلاَ سُكَّانَ بَيْتِ عَنَاةَ، بَلْ سَكَنَ فِي وَسَطِ الْكَنْعَانِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ. فَكَانَ سُكَّانُ بَيْتِ شَمْسٍ وَبَيْتِ عَنَاةَ تَحْتَ الْجِزْيَةِ لَهُمْ. ٣٤ وَحَصَرَ الأَمُورِيُّونَ بَنِي دَانَ فِي الْجَبَلِ لأَنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوهُمْ يَنْزِلُونَ إِلَى الْوَادِي. ٣٥ فَعَزَمَ الأَمُورِيُّونَ عَلَى السَّكَنِ فِي جَبَلِ حَارَسَ فِي أَيَّلُونَ وَفِي شَعَلْبِيمَ. وَقَوِيَتْ يَدُ بَيْتِ يُوسُفَ فَكَانُوا تَحْتَ الْجِزْيَةِ. ٣٦ وَكَانَ تُخْمُ الأَمُورِيِّينَ مِنْ عَقَبَةِ عَقْرَبِّيمَ مِنْ سَالَعَ فَصَاعِدًا. (قضاة:١-٢)

قد يحتج الصهاينة قائلين إن تلك الدول كنعانية وليست فلسطينية لكن النبي «صفنيا» في العهد القديم يجيبهم: «يَا كَنْعَانُ أَرْضَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِنِّي أَخْرِبُكِ بِلاَ سَاكِنٍ». (صفنيا:٢) لا يوجد فرق بين الكنعاني والفلسطيني فكلمة «فلست» تعني مقاتل أو محارب في اللغة الكنعانية، وفي التلمود والتوراة تتبادل الكلمتان بشكل واضح وعند ما يذكر الكنعاني حاملا سلاحاً يوصف بالفلسطيني أي المحارب، ويقول الشاعر اليوناني هوميروس أن الفلسطيني أبو الكنعاني حيث يذكر: «بلاسكو أو فلاسكو أبا أجينور وكليك الكنعانيين). يستشهد الآب «دي كارا» بآراء غيره من العلماء لتثبيت نظريته الحثية، ولكنه بشكل غير مباشر يؤكد على أنهم كنعانيون حيث يقول: «إن هناك قصصاً قديمة (المقصود الأساطير اليونانية) تروي أن آباء شعوب سورية وفينيقية وكيليكيا وغيرها من أعمال آسيا الصغرى، هم من أقرباء بلاسكو أبي البلاسج وهو أبو أجينور الصوري، وهذه الأساطير نفسها تجعل كليك وفينيق وقدموس أبناء أجينور. وعليه فهم أحفاد بلاسكو أو بنوه. وتجعل نيوب أماً لأجينور وبلاسكو وهؤلاء الآباء كانوا يسكنون ويلون الأمصار نفسها التي كان الحثيون يسكنون فيها ويولون أمورها. (أي سورية - فلسطين)

مملكة داود وسليمان

مملكتا داود وسليمان (اللتان لم يُعثر على أثر لهما إلا في كتب الديانات الثلاث التوراة والإنجيل والقرآن) لكنهما بحسب سفر الملوك الأول شملتا جنوب الضفة وفي عصر سليمان شمالها وجنوبها، ويدعي الصهاينة أن تلك الدولة كانت يهودية، لكن ذلك يناقض العقيدة اليهودية، حيث كان داود سليل جدة مؤابية، أي عربية (واسمه ذو دلالة عربية فصحى (ذا)

(ود) بمعنى صاحب ود، وود كان إلهاً عربياً قديماً، وقد يعني الاسم الودود، وهو بالعرف اليهودي ليس يهودياً (انظر سفر راعوث)، وكان سليمان ابن زنى، النبي داود مع بتشبع الحثية (الحثيون يصنفهم علماء الآثار هندو أريين وتوراتيا على أنهم قبيلة كنعانية) (انظر سفر الملوك الأول). وتتحدث التوراة أن سليمان عبد آلهة كثيرة ولم يكن مؤمناً بيهوه وأقام للآلهة الغريبة آلهة زوجاته التسعة والتسعين الأنصاب والمعابد.

مملكة أخاب بن عمري

ويذكر العهد القديم مملكة السامرة بملكها أخاب بن عمري الذي هو سليل أسرة عربية وزوجته إيزابيل كانت كنعانية من مدينة صور وبالتالي فإن أبناءها الذين توارثوا عرش السامرة لم يكونوا يهوداً وفق الديانة اليهودية، حيث الزوجان الملكيان أخاب (أخ، أب) لم يكونا يؤمنان بالتوراة بل بآلهة الكنعانيين (البعليم) وقد قتلا النبي إيليا بحسب العهد القديم. (انظر سفر الملوك الثاني).

علم الآثار وممالك فلسطين

إذا عدنا إلى الآثـار المصرية والحوليات الأشورية والبابلية، فإننا نعثر على عشرات دول المدن والممالك الفلسطينية الكنعانية، في أسدود وغزة وعقرون ومجدو وحاصور والقدس، وعكا، وبيسان، وشكيم ... وقد ذُكرت في نصوص اللعنات المصرية (القرون:١٨-٢٠ ق.م) حيث احتوت النصوص على عشرات الممالك الكنعانية الفلسطينية مع ملوكها، هذه الممالك الفلسطينية الكنعانية عايشت الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة المصريتين. وأرشيف تل العمارنة في طيبة المصرية فترة أخناتون (١٣٣٦-١٣٣٤ق.م) وكذلك حوليات الملك الأشوري سنحاريب (٧٠١-٦٨١ ق.م). وكلا المرجعين ذكرا عدداً كبيراً من ممالك وملوك فلسطين. وكذلك الأمـر في مرحلة الاحتلال الفارسي الأول الذي كتب عنه المؤرخ اليوناني «هـيرودوت» في كتابه «التاريخ» (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) فقد ذكر «أن الأرض الممتدة من العريش إلى صيدا تسمى فلسطين السورية ويسكنها ثلاثة أقوام هم العرب والفينيقيون والسوريون» وهذه المساحة هي ذاتها التي وصفت في سفر التكوين، أنها أرض كنعان من صيدون إلى جرار «أي من صيدا إلى القرارة».

«١٥ وَكَنْعَانُ وَلَدَ: صِيْدُونَ بِكْرَهُ، وَحِثًّا ١٦ وَالْيَبُوسِيَّ وَالأَمُورِيَّ وَالْجِرْجَاشِيَّ ١٧ وَالْحِوِّيَّ وَالْعَرْقِيَّ وَالسِّينِيَّ ١٨ وَالأَرْوَادِيَّ وَالصَّمَارِيَّ وَالْحَمَاتِيَّ. وَبَعْدَ ذلِكَ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْكَنْعَانِيِّ. ١٩ وَكَانَتْ تُخُومُ الْكَنْعَانِيِّ مِنْ صَيْدُونَ، حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ جَرَارَ إِلَى غَزَّةَ، وَحِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُوبِيمَ إِلَى لاَشَعَ. ٢٠ هؤُلاَءِ بَنُو حَامٍ حَسَبَ قَبَائِلِهِمْ كَأَلْسِنَتِهِمْ

بِأَرَاضِيهِمْ وَأُمَمِهِمْ». (تك:١٠) وقد تحدث هيرودوت في تاريخه عن مشاركة المقاتلين والسفن الفلسطينية والفينيقية في الحرب الفارسية على اليونان ذكرهم كشعب مستقل صاحب للأرض وذي ممالك ذات حكم ذاتي تابعة لإمبراطورية الفرس. وفي زمن الإسكندر مقدوني، ذكر المؤرخون الإغريق عشرات مدن الممالك الفلسطينية الفينيقية ومنها من قاتلت الإسكندر كمملكتي صور وغزة والسامرة. وفي العصر السلوقي هناك ذكرٌ لعشرات ممالك المدن الفلسطينية مثل عكا وغزة والقدس (إنطاكية الجديدة) والسامرة وأدوم ومدن الأنباط ويافا وعسقلان... .

يجب ألا نغفل أيضاً أن مملكة الحشمونيم (الحسميين) الفلسطينية ١٦٤ ق.م. وحتى ٦٣ ق.م التي أعقبت ما سمي الثورة «المكابية» هي مملكة عربية في ظل الإمبراطورية السلوقية، فهؤلاء كما يدل عليه اسمهم هم من حشمونة (انظر سفر العدد ٣٣ عدد ٢٩-٣١) وهي بحسب نص العهد القديم منطقة حسمى جنوب شرقي الأردن وشمال غربي جزيرة العرب، وهذه الأرض كما يثبت علم الآثار وحتى كما يشير إلى ذلك سفر التكوين وكذلك سفر أشعياء هي أرض بني المشرق بني قبائل أو قوم «قيدار» (انظر أشعيا:٢١: عدد ١٣-١٧) والذين أثبت علم الآثار أنهم يعودون للقبائل العربية ثمود ولحيان ومعين وعليه، فالحشمونيم هم الحسميون العرب الثموديون أو اللحيانيون لا فرق بينهم، فاللحيانيون والثموديون هم من العرب العاربة.

وفي ظل الإمبراطورية الرومانية التي حكمها في فترات متفرقة أباطرة كنعانيون قُسمت فلسطين إلى ثلاث ممالك حملت كل منها اسم مملكة فلسطين، الأولى والثانية والثالثة، أشهرهم الملوك الأدوميون من أنتيباتر الأدومي إلى ولده حرد (هيرود الكبير) إلى آخر هذه السلالة من هذه العائلة كلهم كانوا عرباً أقحاحاً ووالدة حرد- هيرود الكبير أبو سلالة هؤلاء الملوك في ظل الإمبراطورية الرومانية هي سيدة عربية نبطية (ولا يمكن احتسابها يهودية دينياً أو سلالياً) لذلك هؤلاء لم يكونوا يهوداً على الإطلاق، وولد حرد (هيرود باليونانية) في مدينة عسقلان شمال مدينة غزة، وهما في العهد القديم مدن المحاربين الفلسطينيين، فوالده انتباتر الأدومي هو عربي خالص العروبة. وقد أنشأوا دولة (مملكة) ذات حكم ذاتي سُميت فلسطين السورية، عاصمتها كانت مدينة قيسارية. ومن ثم قُسمت فلسطين السورية (عام ١٠٦م) إلى ثلاث مقاطعات دول حملت كل منها اسم فلسطين وبقيت فلسطين الأولى بعاصمتها قيسارية بينما كانت بيسان عاصمة فلسطين الثانية، وكانت عاصمة فلسطين الثالثة هي

مدينة البتراء شرق الأردن.

الدويلات الفلسطينية بعد الميلاد

وفي ظل الإمبراطورية البيزنطية احتفظت فلسطين بالتقسيمات الرومانية كمقاطعات تحمل تسميات «فلسطين الأولى والثانية والثالثة» ضمن ما أُطلق عليه تسمية «أبرشية الشرق»(٣٩٠-٦٣٦م).

ومع الفتح الإسلامي (٦٣٦م) أُطلق على فلسطين تسمية جُند فلسطين وكانت جزءاً من ولاية الشام واستمر ذلك في العصور الإسلامية حتى السلطنة العثمانية حيث خضعت فلسطين للاحتلال العثماني-التركي ١٥١٦م أسوة بمعظم الأقطار العربية. وعينت إسطنبول حاكماً محلياً عليها، كانت البلاد قد قُسمت إلى خمس مناطق تسمى سناجق هي: القدس وغزة وصفد ونابلس واللجون، وكان الحكم إلى حد بعيد في أيدي السكان المحليين الفلسطينيين، وتمت إعادة إعمار المرافق العامة في القدس على يد سليمان القانوني عام ١٥٣٧. وقد وقعت أجزاء فلسطين المختلفة وعموم بلاد الشام تحت سيطرة عائلات وكيانات متعددة في فترة الدولة العثمانية تراوحت بين الولاء والعداء للدولة المركزية، أمثال أبو غوش، ظاهر العمر، المعنيون. وتسجل صفحات التاريخ أن الفلسطينيين كانوا أول من قاوم هذا الاحتلال في الفترة (١٦٩٥-١٧٧٥م) حيث ثار القائد الفلسطيني ظاهر العمر الزيداني على الدولة العثمانية واستطاع إنشاء إمارة قوية شمالي فلسطين. لكن فيما بعد قضى عليها العثمانيون.

وفي العام ١٩٢٣ وضعت فلسطين كدولة تحت الانتداب البريطاني أسوة بشقيقاتها العربيات شرق المتوسط العراق والأردن بينما وضعت سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وقد اعتمدت المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية في ٣/٣ ٢٠٢٠ وضعية فلسطين كدولة منذ ذلك التاريخ وجاء في مذكرتها "يتتبع دولة فلسطين إلى أصلها في العام ١٩٢٣ ويوضح أن فلسطين كانت دولة متواصلة منذ ذلك الوقت. يشرح التقديم لماذا تستند الحجج ضد إقامة دولة فلسطين إلى سوء فهم لكيفية تعامل المحكمة مع مسألة الدولة. ويوضح، على وجه الخصوص، لماذا اتفاقية حقوق وواجبات الدول (مونتفيديو، ١٩٣٣) ليست ذات صلة في هذا الصدد. وذكر البيان أن المدعي العام ينظر بشكل صحيح إلى الدولة باعتبارها مسألة حقيقية يتم تقييمها من المحكمة عند الاقتضاء.

فلسطين كانت دولة في القرن العشرين

وأكـد القرار أن تاريخ إقامة الدولة الفلسطينية يعود إلى العام ١٩٢٣، فقد ظهرت دولة فلسطين في وقت محدد – عندما تم تفكيك الإمبراطورية التركية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، حيث تم تأسيس دول في أراضيها

العربية، بما في ذلك فلسطين. كانت معاهدة لوزان للسلام لعام ١٩٢٣ أساسية في هذه العملية، تنص المادة ١٦ على أن حقوق تركيا في هذه المناطق قد تم التخلي عنها، وأن مستقبلهم سيتم تحديده من الأطراف المعنية. وبحلول عام ١٩٢٣، تم تشكيل فلسطين وسورية والعراق وتحديد حدودها.

وبين قرار المحكمة الجنائية الدولية أن الانقسام في الإدارة داخل الدولة لا يضعف وضع الكيان كدولة. فحالياً، تخضع ليبيا لإدارتين، كل واحدة تمتلك إقليماً واحداً، والصين دولة على الرغم من أن حكومتي جمهورية الصين الشعبية وجمهورية الصين تحتفظان بقطاعات منفصلة من أراضيها، كل منهما تدعي أنها الحكومة الشرعية لكامل الصين.

حدود فلسطين

وأكد القرار في المادة ٥٨ على أن أراضي فلسطين تشمل الأرض التي كانت فلسطين في عهد الانتداب، مطروحاً منها الأراضي التي انفصلت عنها إسرائيل عام ١٩٤٨، مشيراً إلى أن جميع الأطراف تقبل نطاق الأراضي الانفصالية على نطاق واسع، باستثناء عدد قليل من القطاعات الإقليمية على الحدود بين الدولتين.

وأشار القرار إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة حددت أراضي فلسطين في القرار ١٩/٦٧ المؤرخ في ٢٩ شباط ٢٠١٢ على أنها الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، وتم التأكيد على ذلك من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في القرار ٢٣٣٤ المؤرخ في ٢٣ كانون الأول ٢٠١٦، والذي قال فيه إنه «لن يعترف بأي تغييرات على خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧، بما في ذلك ما يتعلق بالقدس، بخلاف تلك المتفق عليها بين الطرفين من خلال المفاوضات»، كما أكدت اليونسكو في ثلاث مناسبات أن المناطق المحتلة في الضفة الغربية توجد في فلسطين.

***

الشعب الفلسطيني شعب حي، حضاري ومتواصل مع إرثه وتاريخه الطويل منذ أقدم العصور، وهذا ما أثبتته دراسات الحمض النووي الجيني والأركيولوجي لجيرانه اللبنانيين وما ينطبق عليهم ينطبق عليه، فهما شعب واحد قسمه الاستعمار، وهو ما ينطبق على كل الشعوب القديمة في منطقة شرق المتوسط، المصرية والعراقية والسورية وغيرها، والشعب الفلسطيني هو وريث أجداده القدماء منذ إنسانِ فلسطين أول إنسانٌ مُدركٍ في التاريخ البشري، الذي عاش قبل ١٥٠،٠٠٠سنة من الآن في جبال الكرمل، مروراً بكل الحقب والسلالات التي حكمت فلسطين حتى يومنا هذا، وبصرف النظر عّن طبيعة المعتقد الديني أو الفلسفي أو التخيُلي الذي اعتقدوا به، إن كان الوثنية، اليهودية، الصابئية، المجوسية، المسيحية أو

الإسلام، فإن تغيير المعتقد لا ولَم يُغير الشعب وانتماءه، تغير العقل وفلسفته لا يُغير الروح والجسد. فبسكناه هذه الأرض المسماة باسمه أي فلسطين استمد اسمه وعرف على مدى العصور باسم الشعب الفلسطيني.

***

على قارئ التاريخ أن يدرك أنه بفعل تطور أحداث التاريخ وتعدد الرسل والأديان تحول بعض من أولئك الأجداد أو الأسلاف كما تحول غيرهم من الشعوب المجاورة على مر الزمان من معتقد ديني وفلسفي إلى آخر، في أرضٍ خلاقة ومبدعة وعبقرية وصفت دائماً بالعظمة والقدسية، ووصفت بالإجماع أنها وطن الأديان والرسالات السماوية، التي انبثقت من داخل البيئة العروبية شرق المتوسطية (الكنعانية والآرامية والعدنانية)، كل واحدة من هذه الأقوام ومهما اختلفت طريقة نطقها لعباراتها فإنها جميعاً كانت لهجات أو لغات ذات مصدر واحد، وكل ديانة ولغة أكملت إحداها الأخرى، أو حلت محلها مختزلة في داخلها كل ما سبقها، وتعايشت مع الأخرى في ظل الوحدة والصراع على الأتباع والأنصار، ولكنها ومهما اختلفت مذاهبها وعقائدها وأديانها فإن أنصارها وأتباعها ظلوا هم أنفسهم السكان الأصليين للوطن الفلسطيني، لغة وعرقاً وعادات وتقاليد وفخراً بالإسلاف المشتركين الذين تراوحت مواطنهم الأصلية بين فلسطين والعراق وشبه جزيرة العرب.

***

كل شعوب العالم الحالية تعتبر وريثة لتاريخ أوطانها ولأسلاف الوطن الذين عاشوا على ترابها، بصرف النظر عن العرق واللغة والدين والحقب الزمنية، فهم أبناؤها طالما أنهم اندمجوا في بيئتها واستوطنوا فيها زمناً، واختلطوا فيما بينهم، سواء أكانوا وطنيين أصلاء أو دخلاء في علاقات النسب والإنتاج، وأدى الانصهار فيما بينهم، إلى ضياع الفوارق البيولوجية والثقافية وبذلك تكونَ من اتحادها شعب واحد، يُعرفُ عن نفسه باسم وطنه، هذا ما حدث لدى كل الشعوب في العالم، والشعب الفلسطيني ليس استثناء في ذلك، حيث ما ينطبق على الشعب المصري أو العراقي أو الإيراني أو الفرنسي أو الألماني أو الأميركي... وغيرهم ينطبق على شعب فلسطين.

***

الشعب الفلسطيني يعتز بأرضه ونسبه وتاريخه وحضاراته التي تعاقبت على تربة بلاده، بصرف النظر عن الأصول العرقية أو القومية ومهما اختلفت شعوب المنطقة المجاورة في تسمياتها له، كنعاني، أموري، رتنو، زاهي، فينيقي، فلسطيني... فكلها كانت ومازالت أمثلة تتكرر عبر الزمان، المهم ماذا

عرف نفسه يخبرنا التاريخ أنه عرف نفسه دائماً باسم وطنه أي فلسطين. وهذا ما ينطبق على الشعب الألماني في عصرنا فهو «دوتشي» من «دوتشلاند» في لغته، وهو ألماني» من ألمانيا في العربية والفرنسية، وهو جرماني من «جرمني» في الإنكليزية، لكنه يبقى هو لم يتغير على الرغم من تعدد التسميات الخارجية.

***

ربما يختلف الشعب الفلسطيني وشعوب الشرق العريقة، عن الشعوب الحديثة في أوروبا وأميركا من حيث الإرث، بالانتماء للأرض، فقد ظل الشعب الفلسطيني ومثله المصري والعراقي والسوري مرابطاً في أرضه، أصيلاً في تربة بلاده لم يتبدل ولم ينقطع عنها يوماً بأغلبيته على الرغم من هجراته وتأسيسه أوطاناً بعيدة جنوب أوروبا وشمال إفريقيا، في قرطاج وكريت وشبه جزيرة إيبيريا وغيرها من الأماكن التي حددها علم الآثار لمستوطنات الفينيقيين.

الشعب الفلسطيني اليوم هو سليل أسلافه الكنعانيين عرقاً ولغةً وعادات وتقاليد ولباساً وفناً وثقافةً يشهد على ذلك لباسه الشعبي وأهازيجه وأغانيه وعاداته وتقاليده التي كما يقول عنها بن غوريون في أحد كتبه، إنها شبيهة بما في نصوص الكتاب المقدس حتى ما يطلقون عليه لغة عبرية قديمة لم تكن سوى لهجة كنعانية كما ينص سفر أشعياء وكما يؤكد الباحثان اليهوديان إسرائيل ولفنسون» (انظر ولفنسون: اللغات السامية) وإيمانويل فلايكوفسكي (انظر عصور في فوضى: أخناتون).

***

إن خصوصية فلسطين الدينية، كوطن الرسالات والأنبياء الصادرة عن السماء والوحي الإلهي، جعلتها على مر العصور والأزمان فيما بعد الميلاد، أرضاً للصراع الديني من أولئك المؤمنين بعقائدها خارج حدود فلسطين، أي من غير الفلسطينيين، صراعاً استند إلى الرؤى والأحلام والآمال الكهنوتية والتفسيرات الغيبية المؤدلجة، التي فسرت أقدار فلسطين ومستقبلها عبر قراءة الأحداث التاريخية أو المتخيلة ومآلات البشر وفق رؤيا وعود الآلهة وتمييزها لفئة أو طائفة دينية على حساب أخرى من أهل البلاد، وفق مبدأ القوة والتكفير، وهذا ما فعلته الصهيونية البروتستنتية منذ القرن السادس عشر أي مع دعوة الكاهن «مارتن لوثر» لليهود للهجرة إلى فلسطين أملاً بعودة السيد المسيح وفق الاعتقاد أنه كان يهودياً، فقد حُولت تلك المعتقدات الغيبية إلى برنامج عمل سياسي استعماري استيطاني إحلالي لأرض فلسطين ذي صبغة دينية مسيحانية بروتستنتية منذ قرن من الزمان بفعل التحالف بين الصهيونية

المسيحية الأنغليكانية والصهيونية اليهودية العملية.

***

لم تكن الحقبة التي عرفت بالحملات الصليبية ذات الطابع الديني العنصري التي سيرها البابا «أوروبـــان الثاني» مع ملوك وأمراء أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي استثناءً لهذه المعتقدات بل هي جزء من عقلية استعلائية عنصرية تجاه العرب مسلمين ومسيحيين شرقيين، حيث يذكُر المؤرخون أنها استهدفت أبناء الشرق العربي من مسلمين ومسيحيين شرقيين ويهود وقد أقامت ممالك صليبية استمرت مائة وخمسين عاماً بعد أن ارتكبت المجازر بحق السكان الآمنين من أبناء سورية وفلسطين ومصر وهو ما نشهده في أيامنا باستخدام اليهود والمتهودين في تنفيذ المخطط نيابة عن المسيحيين الإنجيليين.

***

جاء إنشاء دولة إسرائيل كدولة لليهود على أرض الوطن الفلسطيني للدوافع والخلفيات المسيحانية الغيبية نفسها المتعلقة بالمجيء الثاني (وفق المسيحية الصهيونية البروتستنتية) أو الأول للسيد المسيح وفق المعتقدات اليهودية، التي تختلف عن تفسيرات اليهود المتدينين وعن رؤية الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية وغيرهما من الكنائس.

من مهازل الـزمـان تطور الموضوع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني في وقتنا الحاضر ليصبح حديثاً عن روايتين وذلك يعد استهزاء بالعقل البشري وأصل الحقوق، إذ لا يمكن بشكل من الأشكال الحديث عن روايتين وحقين في هذه الأرض إلا إذا كانت تلك الحقوق وفق القانون الدولي وما أقرته قرارات الأمم المتحدة الصادرة في النصف الثاني من القرن العشرين وحتى يومنا هذا، على الرغم مما فيها من ظلم للشعب صاحب الأرض، لأن البحث عن حقوق تاريخية في فلسطين لشعب آخر غير الشعب الفلسطيني هي مجرد فبركات وأوهام لا يمكن أن يقبل بها أي عاقل، حيث بقي الفلسطينيون في أرضهم شعباً واحداً متنوع الثقافات ومتسامحاً بين مكوناته الإسلامية والمسيحية واليهودية والسامرية وغيرها، محافظاً على عاداته وتقاليده وإرثه الحضاري والديني المشترك حتى يومنا هذا على الرغم مما زرعته الصهيونية من انقسام ومحاولات للتفتيت والتشريد.

***

جاءت دولة الصهاينة كنتاج لوثيقة بلفور الاستعمارية عام ١٩١٧ وعصبة الأمم ١٩٢٢ والأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وبقيامها تحول الصراع بين العالم الغربي والمشرق العربي من صراع فكري ثقافي على كسب الأتباع بين

المسيحية الغربية من جهة والإسلام والمسيحية الشرقية من جهة أخرى عبر نشاطات المبشرين المسيحيين والدعاة المسلمين باعتبار فلسطين هي البلاد الأكثر قدسية، إلى صراع تم زج اليهود به للحديث عن روايات تاريخية تتنازع على الأحقية في الأرض، صراع بين من أطلق عليهم الشعب اليهودي وهم أقوام ينتمون إلى مائة دولة (يشكل الخزر الأشكيناز ما يقارب ٩٥٪ منهم وهم ينتمون إلى العرق التركي المغولي)، والشعب الفلسطيني وريث الأرض وسيدها منذ آلاف السنين، وهو أمر لَم يشهد له التاريخ البشري مثيلاً من قبل.

***

إن التلاعب الصهيوني باللغة والدين والقانون الطبيعي والدولي لن يغير من الواقع التاريخي شيئاً إلا لدى أولئك المُغرضين والمتآمرين والمتواطئين مع الصهيونية لقد قبل الفلسطيني السلام لأنه تواق للسلام، وقدم الفلسطيني تنازلات ليس لأنه لا حق له في أرض وطنه من النهر إلى البحر بل لأن القانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية أقرت ذلك وقرر الشعب الفلسطيني في مبادرة تاريخية عام ١٩٨٨ أن يقبل بما قبل به العالم على الرغم من الظلم والإجحاف بحقوقه لكن العالم مازال عاجزاً عن إحقاق الحق بسبب الإدارات الأميركية المتعاقبة التي تصطف خلف الصهيونية من منطلقات دينية غيبية أو استعمارية ذات أبعاد أمنية واستراتيجية.

التطبيع العربي الإسرائيلي بين تعاظم المسارات وتلاقي المصالح وتداعياته على القضية الفلسطينية

د. إياد أبو زنيط* ورائد الدبعي **

مقدمة

جاءت نشأة «دولة إسرائيل» إثرَ قرارٍ أممي ينطوي على تقاربٍ ثقافي وحضاري مشتركٍ مع الغرب، فعملت الظروف في تلك اللحظة على ولادة الدولة المصطنعة الجديدة، لكن المحيط الجيوسياسي الذي نشأت فيه كان مختلفاً عنها، فطوال العقود التي تلت الإعلان عن قيامها اعتُبر ذلك المحيط مصدراً مستمراً من مصادر التهديد بالمعنى الوجودي، ومع تبدل موازين القوى في الإقليم وتغيرها زادت التهديدات الخارجية المؤثرة على إسرائيل أو قلت طبقاً لطبيعة تلك التبدلات والتغيرات، وهذا ما حدا بإسرائيل إلى بناء سياستها الأمنية والدفاعية وعلاقتها الخارجية وفقاً لتغيرات البيئة الإقليمية والعالمية.

تُعد منطقة الشرق الأوسط التي تقع إسرائيل في قلبها الأكثر قابلية للتأثر بالمتغيرات الإقليمية والعالمية بسبب اتساع نطاق صراعاتها وعمقها،[1] فقد زادت التغيرات في تلك المنطقة في السنوات الأخيرة بشكلٍ ملحوظ، وظهرت تفاعلات جديدة تنوعت في مكوناتها السياسية، فسقطت أنظمةٌ وبرزت أخرى، وتدفقت إلى السطح تنظيمات دينية وأحزاب جديدة، ونتج عن تلك المتغيرات بروز ولاءاتٍ جديدة مقسمةٍ بين دينية وقومية وقطريةٍ وغيرها، وصراعات من نوع جديد، سنية وشيعية، وبرزت في

* د. إياد أبو ازنيط: محاضر في جامعة الاستقلال.

** رائد الدبعي: محاضر في قسم العلوم السياسية، جامعة النجاح الوطنية.

الإقليم قوىً متعددة، تنوعت أنماط علاقتها بين التحالفية والتصارعية، مما دفع إسرائيل لانتهاج سياسة حذرة تراوحت بين المراقبة والتدخل، ومحاولة فرض مساراتٍ جديدة في التعامل مع الإقليم.

التطبيع كإحدى أدوات بناء شرق أوسطٍ جديد

المحاولة الجديدة لبناء شرق أوسطٍ مختلفٍ عما سبقه تتطلب رؤىً مبتكرة، ومن الطبيعي أن تترافق مع مرحلة إعادة الترتيب مرحلة تغيرٍ في الأدوار، وأنماط السلوك السياسي، المتأثر بقوة المؤثرين والداعين أو المساهمين الفعليين في إعادة توزيع الأدوار على الوكلاء الجدد، وبناء تحالفاتٍ استراتيجية، لا بُد أنْ تتأثر إسرائيل بها، كونها أهم أحد المؤثرين والمتأثرين في آنٍ واحد، لذا فمن المستبعد أن تَخرج من دائرة التأثر عربياً وإقليمياً.

شهدت الساحة العالمية كذلك تغيراتٍ عدة في النظام العالمي منذ قيام إسرائيل وحتى اللحظة، كانت إسرائيل تتعامل مع تلك التغيرات باعتبارها أهم المؤثرات عليها، بسبب إدراكها أنَّ وجودها المصيري يستند إلى مدى ارتباطها بأحد الأقطاب العالمية الكبرى، وذلك انطلاقاً من رؤية تاريخية تُسمى النموذج الفارسي،[٢] ويعتمدُ على قيام إسرائيل بالوقوف إلى جانب السياسات الخارجية لدولةٍ كبرى ومحاولة تطويعها لمصلحتها، خاصة أنها تعيشُ في وسطٍ قد يتحول بين ليلةٍ وضحاها إلى عدو.

بدايةً، رفضت الدول العربية فكرة وجود إسرائيل على أرض فلسطين، وذلك قبل إنشائها، وتجلى ذلك من خلال رفضها قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم ١٨١ عام ١٩٤٧م. بعد الإعلان عن قيام «دولة إسرائيل» في العام ١٩٤٨م، دخلت الجيوش العربية حالةَ حرب مع الدولة الوليدة، فكانت النتيجة آنذاك احتلال إسرائيل ما يقرب من ٧٢٪ من مساحة فلسطين.[٣]

وقعت معظم الدول العربية اتفاقات هدنة في العام ١٩٤٩م، إلاّ أن الصراع استمر فيما اصطُلِح على تسميته بالصراع العربي الإسرائيلي. واحتلال إسرائيل باقي الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧م، ويأس الأنظمة العربية من التصدي. قامت أولى العلاقات العربية العلنية بين إسرائيل ومصر، فيما عُرف باتفاقية (كامب ديفيد) عام ١٩٧٨م، ومن ثم اتفاقية أوسلو مع السلطة الفلسطينية، ووادي عربة مع الأردن.[٤]

التطبيع المِجزأ والشعور النسبي بالأمان

لم تكن الدول السابقة الذكر، الوحيدة في إقامة علاقاتٍ مع إسرائيل، ولكنها العلنية الواضحة منها، دولٌ أخرى كذلك كانت لها علاقاتها، ومنها موريتانيا عام ١٩٩٨م، وقطر عام ١٩٩٧م، وعُمان عام١٩٩٦م، والمغرب عام

١٩٩٤م، وغيرها من العلاقات ذات الطابع شبه السري، وإن كان بعض تلك العلاقات قد مَرَّ بمراحل من التجاذبات تميزت بالانقطاع تارة والعودة تارةً أخرى.[٥]

وفّــرَت العلاقات العربية الإسرائيلية لإسرائيل نوعاً من الشعور النسبي بالأمان في الفترة السابقة، حيث امتازت بتطوير التبادل الاقتصادي وخاصةٍ اتفاق تصدير الغاز المصري لإسرائيل، وكذلك التبادل الثقافي، ومحاولة استيعاب إسرائيل كدولة أمرٍ واقعٍ على الأرض.[٦]

يمكن القول، إن إسرائيل استخدمت نظرية «المباريات»[٧] في علاقاتها مع الدول العربية، في مختلف أنواعها علاقاتها، حتى إن واضعي السياسة في إسرائيل بالرجوع إلى المراكز البحثية الإسرائيلية المعنية بالأمر، أخذوا بوضع نماذج لنظرية المباريات عن طريق استهداف أشخاص، مؤسسات، دول، أمم، وغيرها حسب الحاجة، ودراسة ردود الأفعال؛ لمعرفة الاستجابة المطلوبة، وبالتالي كيفية إدارة الأزمات، ذلك أنّه من خلال تلك النظرية تمكنت إسرائيل من التنبؤ بما يمكن أن يجري ووضعت مجموعةً من الاحتمالات التي مكنتها من توسيع علاقاتها مع العرب وتطويرها، بحيث كانت اللاعب الأكثر فوزاً والأقل خسائر.[٨]

التطبيع في ظل غياب النظام العربي الجامع

في العام ٢٠٠٣م، ومع انهيار النظام العراقي، أحد الأنظمة العربية المؤثرة، وانفتاح العراق على مصراعيه للتدخلات الخارجية، بدأت معالم تحولٍ جديد في المشهد العربي. ومع بداية العام ٢٠١١م، وهو العام الذي انطلق فيه الحراك الشعبي العربي، وانتقالهِ إلى دولٍ عربيةٍ مجاورةٍ لإسرائيل، تربطها معها حدودٌ طويلة، كمصر وسورية، بدأت التحولاتُ تلقي بظلالها، على طبيعة العلاقات القائمة مع إسرائيل، وأخذت خيوط اللعبة تنسج من جديد، فالوضع الطارئ الذي حدث، أربك السياسية الإسرائيلية التي لطالما حاولت إبقاء أنظمة عربيةٍ حليفةٍ لها أو مسالمةٍ على علاقة واضحة المعالم معها.

جاء الحراك العربي، أو التغير في الوضع القائم متناقضاً مع الوضع الذي وُصف سابقاً، وعلى الرغم من عدم القدرة على توصيف واقع التغيير بدقة في هذا الوقت على الأقل، نتيجة الاختلالات الناجمة عن المراحل التي تلت التغيرات محل الحديث، إلاّ أنّه من الواضح أنَّ تلك التغيرات والتحولات قد تركت آثاراً في مختلف تفاصيل المشهد الجيوسياسي في المنطقة، على الرغم من عدم وضوح معالم التغيير الاستراتيجي في المنطقة العربية، الأمر الذي يجعلُ منه سبباً كافياً لإثارة قلق إسرائيل ومحاولتها استثمار ما يجري لصالحها.[٩]

لم يُكتب للتغيرات العربية بعد العام ٢٠١١

النجاح بفعل عوامل متعددة، لعبت إسرائيل فيها دوراً بارزاً، وطفت إلى السطح أنظمة جديدة تُشبه تلك القديمة التي تم خلعها، ومن منطلق حفظ الأمن لبلدانها، وبسبب الضغط الأميركي على تلك البلدان، زادت الروابط مع إسرائيل، التي استطاعت إيهام تلك الدول بتعاظم الخطر الإيراني، وبتلاقي مصالحها الاقتصادية مع تلك الدول، أو استطاعتها تحسين علاقتها مع الولايات المتحدة الأميركية من خلالها، أو للحفاظ على الحكم.

اليوم، تزداد العلاقة مع إسرائيل ارتباطاً ونحن في العام ٢٠٢٠م، وتنتقل في معظمها من السرية للعلنية، في وقت يزداد فيه الضغط على القضية الفلسطينية التي تعتبر تداعياتها الموجد الأول لإسرائيل في المنطقة، وبحكم التنامي الحاصل في تطبيع الحالة العربية الإسرائيلية والمتوقع امتدادها لتشابك المصالح سابقة الذكر، فمن شبه المؤكد أن تستمر القضية الفلسطينية في المعاناة من التضييق، في حال عدم حصول تغيرات جيوسياسية في المنطقة.

من التطبيع المجزأ إلى التطبيع المتكامل

شكل التطبيع العربي في الفترة الأخيرة لا سيما بعد إعلان الاتفاق الإسرائيلي الإماراتي، نموذجاً مختلفاً عن التطبيع السابق، فبينما اقتصرت مجريات التطبيع في كامب ديفيد وغيرها على هدنٍ موقعة، واتفاقيات اقتصادية، تجاوز التطبيع بشكله الحالي الامتداد الاقتصادي إلى الأخطر منه الثقافي، وصولاً إلى ضرب الرواية الفلسطينية وإحلال الأخرى الصهيونية مكانها، فجزء من الإعلام العربي الحالي تبنى تبنياً كاملاً الرواية الصهيونية، صحيحٌ أن نسبة كبيرة من العرب لا تؤيد التطبيع ولكن نسبة مماثلة باتت تؤيد العلاقة مع إسرائيل، وترافق ذلك مع قلة اهتمام بسماع أي اتهامات موجهة لإسرائيل.

التطبيع المتكامل الحاصل اليوم يُمكن فهمه في إطار التخطيط الإستراتيجي الساعي إلى عزل الشعب الفلسطيني وفرض الانقسام عليه، وذلك واضح من خلال تبني الإعلام العربي الرسمي ذلك في ضخه الكبير لمواد إعلامية تحتفي بإسرائيل وديمقراطيتها والمشاريع المقامة معها، خاصة في حالة تطبيع الإمارات معها، هذا كُله يدفع باتجاه عقد تسويات منفصلة بعيداً عن الفلسطينيين، وهو سياق مهم في التوصل إلى اتفاقيات منفردة.

التبرير في اعتبار التطبيع إنجازاً يُشكل جزءاً من الفهم المنحرف للعلاقة مع إسرائيل، بحيث يُشير هذا الفهم إلى تنازل حقيقي عن الحقوق الفلسطينية الثابتة عند العرب، في إشارة فعلية إلى تراجع اعتبار القضية الفلسطينية قضيةً قومية مركزية، واعتبار الآخر المحتل مساوياً لمن

يحتله من شعب، وكل هذا يتوازى مع التبرير للتطبيع على أنّه إنجاز حقيقي أتى لانتشال الشعب الفلسطيني من مخططٍ كبير مثل الضم، في خطابٍ عام موجه للشعوب العربية التي طبعت حكوماتها، بأنَّ هذا التطبيع ما هو إلا لمصلحة الشعب الفلسطيني، وهي فكرة ملتوية إن اقتنع بها العرب فعلاً فسيُصبح التطبيع مع إسرائيل مطلباً في قادم الأيام، ظاهرهُ مصلحة الفلسطينيين وباطنه تصفية قضيتهم.

مآلات الاتفاق على القضية الفلسطينية

شكل الاتفاق انتصاراً للسياسة الإسرائيلية القائمة على التطبيع بـ«مسارات منفردة» مع الأنظمة العربية والإسلامية في المنطقة، ورفض أي توجه لمسارات تفاوضية مشتركة، وهي السياسة التي أصرت إسرائيل عليها منذ اتفاقية كامب ديفيد مع مصر عام ١٩٧٨، وانتهجتها في مفاوضاتها مع الأردن وسورية ومنظمة التحرير الفلسطينية، كما شكل انتكاسة واضحة لمبادرة السلام العربية، القائمة في جوهرها على رفض التطبيع مع إسرائيل قبل إنهاء احتلالها للأراضي العربية المحتلة، وأدى إلى تراجع مكانة القضية الفلسطينية من قضية العرب المركزية إلى إحدى قضايا المنطقة لدى الأنظمة العربية الجديدة، لا سيما تلك الناشئة عن «الثورات المضادة» أو الأنظمة الناشئة عن «الثورات المتعثرة» أو تلك الدول الشمولية التي تحكم من خلال أنظمة سلطانية شمولية، لا صوت فيها ولا رأي للمواطنين، التي ترى أن تطبيعها مع إسرائيل يعفيها من الالتزام بمتطلبات التحول الديمقراطي التي نشأت أساساً ما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وظهرت بإلحاح بعد الربيع العربي، إذ أصبحنا نسمع الرئيس الأميركي يعبر عن دعمه لأحد تلك الأنظمة بوصفه رئيسها بـ «ديكتاتوري المفضل»، في سابقة تتعارض مع القيم الليبرالية الديمقراطية التي تشدقت بها مختلف الإدارات الأميركية ورفعت شعاراتها طويلاً.

هدية مجانية لمعسكر اليمين الديني في إسرائيل

شكل الاتفاق طوق نجاة لنتنياهو شخصياً، المتهم بالفساد، وسوء الائتمان، والفشل الذريع في إدارة أزمة كورونا،[١٠] ومنح تفوقاً إضافياً لليمين الديني المتطرف في إسرائيل، الذي أثبت أنه قادر على اختراق العالمين العربي والإسلامي، دون تسديد أي أثمان سياسية، أو تقديم أي التزامات بما في ذلك إلغاء الضم، إذ أعلن نتنياهو بكل وضوح أن قرار الضم لا يزال على أجندة حكومته، بانتظار الضوء الأخضر الأميركي، وهو الأمر الذي أكده مستشار الرئيس الأميركي «جاريد كوشنير».

شكل الاتفاق حسب وصف «توماس فريدمان» هزة جيوسياسية تقارب في ارتداداتها

اتفاقية كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي عربة،[11] بحيث ستقود نحو لحاق مجموعة من الأنظمة العربية بالمسار الإماراتي مستقبلاً.

ضربة قاصمة لمبادرة السلام العربية:

أظهرت الاتفاقية هشاشة الجدار العربي الرسمي، ووجهت ضربة قاصمة لمبادرة السلام العربية، ولمبدأ الأرض مقابل السلام، لصالح السلام مقابل السلام، وهو الأمر الذي سيقود حتماً نحو تعزيز إسرائيل حضورها الإقليمي الدولي، واختراقها العالم الإسلامي وتطبيع علاقاتها مع العديد من الأنظمة الإسلامية التي ترى بإسرائيل بوابة للولايات المتحدة الأميركية، وفرصة لتعزيز اقتصادياتها، كما جرى مع كوسوفو مؤخراً.

شيطنة الفلسطيني، واستخدام أدوات التطويع كلها

انتهجت الإمـارات وحلفائها في المنطقة لتمرير اتفاقها التطبيعي مع إسرائيل، ولضمان عدم حدوث ردة فعل تؤثر على استقرار النظام، سياسة تمثلت باستخدام مجموعة من الفضاءات التي تسهم في تمريره دون تحديات حقيقية من مواطنيها، تمثل أولها، بالتطبيع المتدرج خلال السنوات الماضية عبر مظلات الرياضة، والتكنولوجيا، وحـوار الأديـان، ورفـع شعار مساعدة الفلسطينيين عبر الطائرات الإماراتية التي حطت في مطار اللد «بن غوريون»، واستخدام الفضاء الإعلامي، عبر تقليص مساحة التغطية الإعلامية حول القضية الفلسطينية في وسائل الإعلام الإماراتية خصوصاً والخليجية عموماً، بعد أن كانت تفرد قناة أبو ظبي مثلاً نشرتها الإخبارية بأكملها لتغطية أخبار القضية الفلسطينية عام ٢٠٠١، مروراً باستخدام الدراما الخليجية لتعزيز رواية مغايرة للرواية العربية التاريخية حول الصراع، التي تظهر الفلسطيني بالجشع، والمطبع، والناكر للجميل، وذلك من خلال تزوير الرواية الفلسطينية، أو إخراج المواقف الفلسطينية من إطارها المكاني والزماني، وقراءتها بشكل مجتزأ، أما الفضاء الثالث الذي استخدم فهو الفضاء الديني، من خلال فتاوى تبريرية، أو قراءات مشوهة لجوهر الدين ورسالته، تم خلالها منح شرعية دينية، وغطاء شرعي للاتفاق، يقوم على الخلط بين اليهودية كدين، والصهيونية كحركة عنصرية استعمارية، وتجاهل حقيقة أن اليهود في الوطن العربي بما في ذلك العراق، شكلوا جزءاً من النسيج المجتمعي، ومسيرة التنمية الاقتصادية والثقافية، إذ إن أول غرفة تجارية في العراق تشكلت من أحد عشر مواطناً عراقياً، بينهم خمسة يهود، مما حدا بالحركة الصهيونية إلى استهداف يهود العراق من خلال انتهاج أعمال إرهاب منظم ضدهم بعد أن فقدت

أسباب إغوائهم بالهجرة إلى فلسطين، أو عوامل تشجعهم على مغادرة العراق.

من المتوقع أن تتعاظم الأزمة المالية التي تعصف بالسلطة الوطنية الفلسطينية، وأن يستمر الحصار المالي على السلطة الفلسطينية من أجل الضغط عليها لتغيير موقفها الرافض للتطبيع العربي مع إسرائيل خارج إطار المبادرة العربية للسلام.

ختاماً، من الواضح أن إسرائيل أيقنت بعد ما يزيد على سبعة عقود أن جرائم التطهير العرقي التي انتهجها الاحتلال منذ العام ١٩٤٨، وما بعدها، وأن القوانين العسكرية، والمجازر والاحتلال العسكري أدت إلى قطع أغصان شجرة الوجود العربي في فلسطين،، لكنها عادت وأورقت من جديد، بسبب وجود محيط عربي احتضن الفلسطيني، وحافظ عليه، ومنعه من التحول إلى مصير الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأميركية، مما أدى إلى انتهاج سياسة جديدة تقوم على إبادة الوعي والرواية الفلسطينية من خلال تغيير هوية المنطقة، وتحويل الأعداء والطغاة إلى حلفاء ومؤازرين، وتحويل إيران إلى عدو مشترك، على الرغم من كل التحفظات على السياسات الإيرانية في المنطقة، إلا أنها تبقى جزءاً أصيلاً من حضارة المنطقة على خلاف إسرائيل التي لن تكون يوماً دولةً طبيعية فيها، حتى ينتهي الاحتلال وفق مبادرة السلام العربية.

الهوامش

١ محمد السعيد إدريس، «تحليل النظم الإقليمية: دراسة في أصول العلاقات الدولية الإقليمية»، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، ٢٠٠١م، ص ١٢٤.

٢ *يمكن أن تعيش إسرائيل كجزء من نظام إمبراطوري حتى كحليف خاضع، أو ككيان مستقل شيئاً ما، أو كحكم محلي تابع لتلك القوة. وفي كل الأحوال، تحتفظ بهويتها وتفقد هامش الحركة بحريةٍ كبرى، في السياسة الخارجية والقدرة في السياسة الداخلية، ويمكن إطلاق اسم النموذج الفارسي، نسبة إلى وضع اليهود أثناء الإمبراطورية الفارسية كتابعين لها، ففي الرواية التاريخية أنّ الملك الفارسي (قورش) أعاد اليهود إلى القدس في العام ٥٣٨ ق.م بعد سبيهم إلى بابل، وقد أثنت كتب اليهود في العهد القديم على ذلك النموذج، واعتبرت الملك (قورش) المخلص الأعظم لهم، وقامت دولتهم العبرية تحت مظلة الإمبراطورية الفارسية، وتلقت الدعم منها.. والنموذج الفارسي ما زال أحد النماذج التي تعتمدها إسرائيل حتى اللحظة في البقاء. لمزيد من المعلومات حول الموضوع، انظر دراسة:

جورج فريدمان، "كيف تُهزم إسرائيل: دراسة في الجغرافية السياسية"، والمنشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٥/١٦م، على الرابط الإلكتروني الآتي: http://www.marketoracle.co.uk/Article4728.html

٣ مأمون سويدان، «علاقات إسرائيل مع العالم العربي»، في: عاطف أبو سيف وآخرون، «علاقات إسرائيل الدولية: السياقات والأدوات، الاختراقات والإخفاقات»، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار)، ٢٠١٤م، ص ٤١١.

٤ المرجع السابق نفسه، ص ٤١٢.

٥ عوض محسن وآخرون، «ثلاثون عاماً من المواجهة»، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٦٩-٨٠.

٦ أحمد يوسف وآخرون، «حال الأمة العربية ٢٠٠٥م»، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م، ص ١٢٥.

٧ نظرية «المباريات» أو نظرية «اللعبة»، هي أحد الأساليب المنهجية لدراسة الصراع والتعاون بين الدول، التي تفترضُ أنَّ لكل لاعب مجموعة من الأهداف، يسعى لتحقيقها عن طريق حصوله على أكبر مكاسب ممكنة وأقل الخسائر. وهي نظرية ظهرت عام ١٩٢١م، على يد عالم الرياضيات (إميل بوريل)، وطُبقت بداية في المسائل الاقتصادية، ومن ثم انتقل تطبيقها إلى العلاقات بين الدول، وتقوم على التنبؤ بسلوكيات الخصم ومعرفة توجهاته المستقبلية المحتملة، والتصرف على ضوء ذلك، وهو النموذج الذي استخدمته إسرائيل مع الدول العربية. انظر:

John C. Harsanyi,»Game Theory and the Analysis of International Conflict» ,in James N. Rosenau (ed) . International Politics and Foreign Policy – a reader in research and theory ,The Free Press, USA,1969 ,p.370 .

أو انظر:

حامد أحمد هاشم، «نظرية المباريات ودورها في تحليل الصراعات الدولية: الصراع العربي الإسرائيلي»، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٤م، ص ٢٠-٢٨

٨ المرجع السابق الأخير نفسه، ص ٣٢.

٩ مجموعة باحثين، «التوازنات والتفاعلات الجيو استراتيجية والثورات العربية»، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، وحدة تحليل السياسات، ٢٠١٢م، ص ٨.

١٠ يشير تقرير البنك الدولي بتاريخ ٢٠٢٠/٩/٤ إلى أن في إسرائيل بالمتوسط ٢١٥,٦ مصاب شهري لكل مليون من السكان، مما يجعلها على رأس اللائحة العالمية. https://www.who.int/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019/situation-reports/

11 Thomas Friedman, A Geopolitical Earthquake Just Hit the Mideast https://www.nytimes.com/2020/08/13/opinion/israel-uae.htm

مسائل في الخطاب السياسي والثقافي الفلسطيني

الواثق طه*

تنشأ صورٌ نمطيّة كثيرة بين النّاس عن الأشخاص، والشعوب، والأنظمة، بطرق كثيرة، واحدة منها «الخطاب» الصادر عن الجهة، شعباً أو حكومةً، وفيما يتعلق بالأفراد، سلوك الفرد وكلامه مصدرٌ أوّل لتشكيل الانطباع عنه.

والصور النمطيّة إيجابية أو سلبية، هي انطباعٌ يُحملُ، ويتأصّلُ في الأذهــان. إنّها ببساطة جزءٌ من «السُّمعة»... يقولون فلانٌ مسموعاته طيبَة، وآخر سمعته سيئة. لا يحدثُ هذا التوصيف من الناس اعتباطاً، وما منحهم القدرة على تحديد سُمعة شخصٍ هو سلوكُه وقوله. هذا في سياق طبيعي، لو اخترنا تجاهلَ تداعي القيم، واتجاه المجتمع إلى مفاسد وسلوكيات سلبية، منها استسهاله اغتيال الشخصية بناء على أسباب كثيرة، واحدة منها الإشاعة، هذا يحدث في الوطن العربي بشكل كبير.

والصورة النمطية لا تقفُ عند حدود «السُّمعة» بل تتجاوز إلى المعرفة، وشكلها، والفهم المرتبط بالوعي، فحين تتأصّل صورة عن شعب ما، فهي تحملُ شقّين عنه: الانطباع المفضي إلى الحُكم المسبق المتداول قطعاً ويحتاج إلى جُهد كي يتغيّر، أما الشقّ الثاني، فمعلوماتيّ... إنّ سلوك شعب وخطابه إلى العالم يشكّل صورته بشقيها المعرفي والانطباعي.

* كاتب رأي.

وفي حالة الشعب الفلسطيني، يشكّل خطابه الشعبي والرسميّ في زمن يسهّل نقل المعلومات، والمواقف بين الشعوب، طرفاً موضوعيّاً في تشكيل الصورة النمطية عنه، بما تحملُ من إيجابيات أو سلبيات. الخطاب الفلسطيني طريقٌ لتأصيل المعلومات والسّمعة، ما يجعلُ مناقشة بعض المسائل في الخطاب الفلسطيني، أمراً ضروريّاً، يستوجب التأمّلَ، والمُعالجة. لا لتصويبها فقط، وإنما أيضاً من أجل لفت الانتباه إلى أثر الخطاب الفلسطيني على القضية في مخيلة العالم أجمع.

الضم وفرض السيادة

ابتكرت «البروباغاندا» الإسرائيلية آلية مصطلح الضم لتحقيق هدفين ذهنيين على العالم، وعلينا: الأول إعادة تسويق مسألة الاستيطان في دولة فلسطين المحتلة، والثاني تمييعُ مسألة الاحتلال المباشر، ونحن ببساطة استخدمنا المصطلح على الصعيد الرسمي والشعبي بشكل تلقائي.

الضمّ عملية تحدثُ على الأراضي بين دولتين، قد تحدثُ بالتراضي، وقد تحدث اغتصاباً، في الحالة الأولى تحدث في عملية ترسيم حدود متفق عليها، وفي الثانية تهدفُ إلى فرض الهيمنة على جزء من أراضي الدولة المستهدفة، ما يجعلُها أرضاً محتلة أو مُتنازعاً عليها. وفي مسألة الضم الإسرائيلي في فلسطين قصّتان تُحكيان، واحدة تاريخية، والأخرى ذهنية.

منذ قرار التقسيم، اتفق العالم أصلاً في طيّة القرار على إيجاد دولتين على الجغرافيا الفلسطينية، واحدة يهودية والأخرى عربية، إسرائيل وفلسطين. ذلك القرار منحَ إسرائيل نسبة (٥٥٪) من الجغرافيا الفلسطينية الحديثة، والباقي للفلسطينيين مع الإشارة إلى تدويل القدس وبيت لحم.

وقفزاً عن أسباب النكبة، وصلت الأمور إلى قيام دولة إسرائيل بالقوة العسكرية، ومع الأسف، إنّ قرار التقسيم ومنح الحركة الصهيونية مشروعية إقامتها دولة إسرائيل، جعلَ في المفهوم الدولي بمرور الوقت، مسألة الحرب عمليّة تحرّر وطنيّ مارسها ذلك الجيل، وركزت على تكريس ذلك ماكينة الدعاية الإسرائيلية... في ذلك الوقت، فرضت إسرائيل نفسها فرضاً على الجغرافيا الفلسطينية من جهة الساحل، ونفّذت أوّل عمليّة ضمّ يجب الانتباه إليها طالما نتحدث عن قبول حلّ الدولتين. الضم في مراحله الأولى أخذ ما يقارب ٢٣ بالمائة من مساحة فلسطين الجديدة في حينه: فلسطين الناتجة عن التقسيم. هذه المرحلة الأولى للاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية حسب قرار التقسيم.

أما مرحلة الضمّ الثانية، فهي مرحلة الاحتلال الشامل عام ٦٧. دكتور ناصر القدوة أشار في مقالة له إلى تلك المراحل.

لا يمكن الحديث الآن عن مرحلة ضم ثالثة، فالاحتلال بحد ذاته ضمّ، وما تبحث عنه إسرائيل من مسألة الضم في الأغوار، تحويلُ تلك المنطقة إلى مصطلح خبيث: أرض متنازع عليها. وهو ما عبر عنه ترمب في حديثه الذي أفضى إلى أنّ كل الضفة أرضٌ متنازع عليها، ما يجعلُ غزّة هي جملة الارتكاز في الدولة الفلسطينية التي ينشدها ترمب، وما تبقى من أرض فلسطين التقسيم متنازع عليه. في هذا السياق تصبح عبارة فلسطين الجديدة مرّت بتطوّرين في استخدامها: عند التقسيم، وعند ترمب! وفي المرّتين تتناقص مساحة فلسطين التي كانت في فترة الانتداب.

ومن السياق السابق، كان من المفترض التمسك بقرار التقسيم، والحديث عن الأراضي المتنازع عليها، تلك التي ضمتها إسرائيل لحظة التأسيس دون وجه حق... وعدم الانجرار وراء مصطلح الضم الراهن بالمطلق والتركيز على مسألة الاحتلال والمطالبة بالجلاء من أجل الاستقلال.

وهنا ننتقل إلى كيفية معالجة الخطاب الفلسطيني لمسألة الضم. التقط الفلسطينيّ، السياسيّ والمواطن هذا المصطلح، وبدأ يقدّم خطاب الرفض، والشجب، والاستنكار، وخطاب التحرك الدولي العاجل والمستمر والمكثف بناء عليه... ذهنيّاً صرتُ أعتقدُ أنّ: فلسطين دولة تمتلك السيادة وتنازعها إسرائيل على الأغوار وتنوي ضمّها، أما باقي فلسطين فلا أثر للاحتلال فيها والدليل: رام الله! أليس هذا ما يُزرع نمطيّاً بمرور الوقت في ذهن أي مستمع بعيد؟ هذه هي القصة الثانية... إسرائيل تسعى لتحويل حقيقة احتلال دولة فلسطين، إلى مجرد اتهام، فهي لا تنوي ممارسة سوى السيادة على الأغوار، (شرعنة الاحتلال في الأغوار = التمليك)، ولا تمارس السيادة في باقي المناطق، ولا تفرض قوانينها عليها، وهذه كذبة لا بدّ من مكافحتها في معالجة خطوات ما يُسمّى سُخفاً بالضمّ.

فلسطين التاريخية مصطلح متداول

من مسألة الضم يمكننا اشتقاق مسألتين في الخطاب الشعبي والرسمي الفلسطيني، فلسطين التاريخية مسألة أولى، وهي الحديثُ عن فلسطين بخريطتها المعروفة الآن، موضع الصراع مع إسرائيل، بأنها فلسطين التاريخية، فهل هذا حقيقي؟

إنّ فلسطين التاريخية لا يمكن أن تكون تلك المساحة الجغرافية التي وقعت تحت الانتداب، فهناك تقسيمات سابقة من مساحة فلسطين

التاريخية: تحديد جغرافيا لبنان وسورية أول انتزاع من الأرض الفلسطينية التي تمتد عبر التاريخ في أرض الدولتين، ثم تأسيس المملكة الأردنية تقسيمٌ إضافي أوصل فلسطين إلى الجغرافيا التي وقعت تحت الانتداب، لذلك لا نقول عن فلسطين الراهنة إنها التاريخية، فهذا تجاوز آثم على التاريخ، وتنميط فادح يمرّ عليه الوقت... إنها فلسطين الانتدابية، إن جاز التعبير، أو فلسطين تحت الانتداب ليس أكثر، تلك التي تعرضت إلى التقسيم مرّة أخرى عام ٤٧ لتتقلص مساحة فلسطين إلى أقل من ٤٥٪ كأرض باقية للفلسطينيين بعد اقتطاع إسرائيل منها، التي حين قامت أخذت في طريقها ٢٣٪ إضافية من أرض فلسطين المتبقية بحكم التقسيم، لتصيرَ النتيجة أنّ مساحة فلسطين تقلصت مرة أخرى إلى ٢٢٪ من فلسطين الانتدابية، بحكم ارتضاء حدود حزيران ٦٧ حدودَ تفاوض مبنية على قرار ٢٤٢، الذي لم يكن بالمطلق في أي يوم من الأيام قراراً يقصدُ تحديد مناطق وحدود جغرافية بين فلسطين وإسرائيل، بقدر ما هو قرار لوقف إطلاق النار. وهنا أحبّ أن أقول إنّ الجدل على أل التعريف في كلمة الأراضي في متن القرار جدلٌ هزليّ عبثيّ مثيرٌ للسخرية.

الوقتُ يجعلُ من استمرار الحديث عن فلسطين الانتدابية على أنها التاريخية... مسخٌ للمعرفة، وتنميطٌ لا يخدم الفلسطينيين أبداً في مشوار التنازلات المؤلمة عبر التاريخ! تمامًا كالجدل الكرتونيّ الساخر حول أل التعريف في كلمة الأراضي، واعتبار القرار ٢٤٢ أرضية لترسيم الحدود!

التنازلات المؤلمة

مرّة أو مرّتين استخدم الرئيس محمود عباس هذه العبارة مقارنة بعدد استخدامها من كل قيادات إسرائيل منذ بدء العملية السياسية: الأرض مقابل السلام. حتى إنّ العالم مقتنع بأنّ إسرائيل تقدّم تنازلات مؤلمة بالفعل لصالحنا لكنّنا نرفض... هل يمتلك الفلسطينيون أداة لمكافحة هذا الخطاب؟ بالطبع نعم.

إنّ كلّ العرض السابق الـذي مرّ عبر هذه المقالة، وما يليه، خامة أصيلة لتبيان التنازلات المؤلمة التي يجب أن تُعالجَ في الخطاب الفلسطيني شعبيّاً ورسميّاً أمام العالم. الفلسطينيّ لا يكذب فيها بل يقول الحقيقة، وتكريسها يزيدُ من رقعة المؤيدين أولاً والضاغطين ثانياً، كما يُصلّبُ موقف الدول المعنيّة بالصراع في تعاطيها مع الفلسطينيين والإسرائيليين. فهل نفعل ذلك حقّاً؟

إنّ تجاهلَ تلك القائمة الطويلة السابقة في الخطاب الفلسطيني العام، وعدم توضيحها

بشكل تفصيلي متكرر دائـم في مخاطبة الشعوب، والدول، والمؤسسات الدولية، خطأ لا يمكن أن يستمر. وضعفٌ يجب تداركه، من وجهة نظري، في عملية التحاور المباشر وغير المباشر عبر وسائل الإعلام، والمساعي الدولية، وغيرها.

الاتهامات المتبادلة

لا حاجة لاستعراض التاريخ في هذه القصة، يكفي أن ننظر إلى أنفسنا اليوم، جهات في كل الفصائل منذ بدايات الثورة لم تضع خطوطاً تميّز النقد والاختلاف من غثّ الاتهام، أو التخوين، أو التشويه، أو التضليل، كلّ ذلك من أجل شهوة القيادة.

هذا الخطاب انتقل إلى الشارع الفلسطيني، وصار نهجاً، وسلوكاً، وطريقة مُحاكمة. ثم تسرّب بسهولة عبر هذه العقلية الخرقاء إلى شعوب العالم، والشعوب العربية تحديداً... فكانت النتيجة ما أورده أحد المواطنين العرب في تعليقه على خبر فلسطيني قرأته يوماً ولن أنساه، محتواه ينص على:

«كيف أثق بالفلسطينيين وهم: خونة، وتجار أرض، وجريمة، ومخدرات، وبلا شرف، باعوا قضيتهم، هذا ما يقولونه هم عن أنفسهم، انظروا كيف يتبادلون الاتهامات والشتائم؟».

هذه نتيجة طبيعية لتخريب الوعي والذوق الفلسطيني على يد الأحزاب والفصائل التي لا يحركها في موضوع التشويه، والتجريم، والتخوين، سوى مسألة الحصول على القيادة فقط لا غير. نحن منحنا الآخرين صورة جديدة نمطية مغايرة لصورة الشعب المناضل الثائر. صورة تحمل معلومات مشينة وافتراضاً صار يستخدم استباقاً ضدّنا. أليس الخطاب الداخلي الفلسطيني، خطاباً عامّاً للعالم عبر وسائل الإعلام في هذا العصر التكنولوجيّ البائس؟

نحن لم نمنح للعالم صورة نمطية جميلة تقول له: الفلسطينيون مختلفون، لديهم تنوع تكفله الديمقراطية، ويتحاورون ويختلفون بشكل حضاريّ، بل منحناه صورة: المُجرمين الخونة الذين لا يستحقّون الدعم... هكذا ببساطة وضعنا الأساس الأول الذي جعل أصواتاً عربيةً تتجرأ فتقول اليوم: فلسطين ليست القضية. هذا الأساس الأول لهذه الظاهرة، وليس الوحيد بالطبع، لكنّنا نحن من وضعه.

حل الدولتين

تطرق الأذن عبارات مثل (لا يخدم حل الدولتين)، أو (حل الدولتين وصل إلى طريق مسدود)، إنّ هاتين الجملتين تستوجبان المناقشة، وأولُ شيء في هذه المُناقشة، كل الأقوام تحترم لغاتها، لكنّنا ندعو إلى تحطيم أساسات

لغتنا بحجة التيسير، وفي أقلّ تقدير لا نمتلك ناصيتها، هذه اللغة التي نحتاجها في التفاوض، والتواصل، وحتى في الصراع مع العالم!

إنّ حلّ الدولتين ليس اختراعاً جديداً، أو حلّاً وُلد بعدَ قيام إسرائيل، ومن ينزرع في وعيهم جهلاً أنّ الحلّ أصغرُ عمراً من دولة إسرائيل، تميل خطاباتهم وتفسيراتهم إلى استخدام ألفاظ، وعبارات، وسياقات حديث تُفضي إلى فهم مُشين لحل الدولتين، يجعلنا كجهة انفصالية عن إسرائيل تطالب بدولة! هذا غير حقيقي، وفي تجربة مثيرة، على مدار أسبوع كامل، كلّ من سألته: متى وُلد حلّ الدولتين، لم يقُل أبداً إنّه هو بحدّ ذاته قرار التقسيم! وكثيرون قالوا إنّه حلّ ظهر مع الرئيس بوش، مع عملية السلام! بعضهم قياديون، وبعضهم مثقفون: هذا يستوجب اللّطيم على الخدين.

ما الذي تحمله عبارة حل الدولتين وصل إلى طريق مسدودة أكثر من اليأس الفلسطيني، ونبرة الانهزام، ونغمة إنسان لا يُدرك أنّ هذا الحل على مضاضته، ولؤمه، وغبنه، واستعماريّته، حمل عام سبعة وأربعين اعترافاً حقيقيّاً بفلسطينية الأرض والشعب وتاريخيّة الرواية، واعترافاً بالحقّ الطبيعي لهذا الشعب أن يقرر مصيره بيديه ويقيم على ما تبقى من فلسطين دولة في وطنه، في واقع قرار إنشاء دولة إسرائيل بالقوة على أرض فلسطين، والعجز عن إنهاء المشروع الصهيوني.

الخطاب الفلسطينيّ شعبيّاً ورسميّاً يستخدم عبارة حلّ الدولتين دون أرضيّه تعريفيّة تاريخية، وكثيرون عبر العالم يعتقدون به حلّا مبتكراً لانفصال الفلسطينيين عن الإسرائيليين، والانفصال مفهوم خطير إن لوّثَ المسألة برمّتها، وهو يفعل عمليّاً، ويجعلنا أكراداً أو نمورَ تاميل في الشرق الأوسط!

حلّ الدولتين، مصطلح ارتبط بالصراع الذي افتعله الاستعمار على الأرض الفلسطينية بين العرب واليهود القادمين من مختلف دول العالم في حينه، وجاء ليحلّ هذا الصراع الافتراضي بين الحركة الصهيونية والعرب في وقت كان للفلسطينيين فيه تمثيل لا يرتقي إلى كيان سياسي واضح، ويكون بذلك قرار التقسيم هو الحل، لا تمتلك إسرائيل لو كُنا نقدّم خطاباً بارعاً دقيقاً للعالم عبر العقود الماضية التي ستأتي أن ترفضه، فرفضها له يعني إنكارها ورفضها للأساس الدولي الذي أوجدها. لقد أحسنَ الاستعمار صنعاً حين ربط مصير الدولتين في قرار واحد، لا نزال لا نستخدمه أو لا نرغبُ في استخدامه في صراعنا الإعلامي حتى الآن! فما زلنا غارقين في عاطفة تحرير كامل التراب الفلسطيني، وفي خطابنا قبل قبول قرار

التقسيم، بينما نقدّم خطابَ السعي لتطبيق حل الدولتين (التقسيم). إنّ في قرار التقسيم إلى دولتين معاني لا بدّ من الوقوف عليها.

لا يمكن أن نقول إنّ حلّ الدولتين وصل إلى طريق مسدودة، أيضاً، كما لا يمكننا أصلا أن نقولَ جملة حلّ الدولتين، ويجب أن نستغني عنها في سعينا لتطبيق قرار التقسيم! سيقول أحدهم: ما هذه العبثية؟

حسناً... يجب أن نرتكز إلى عبارة، إنّ حلّ التقسيم يتعرضُ إلى تخريب، أو يصلُ إلى طريق مسدودة، والفارق بينهما جوهريّ، هذه عبارة ترمزُ إلى أصل الأمور، إلى أصل تأسيس دولة إسرائيل، وتبتعد بنا عن منح الآخرين فهماً سلبيّاً عن نضالنا بأنّه سعيٌ انفصالي، هذا الفهم الذي يسود الآن في بواطن العقول، بين الإسرائيليين وبيننا وفي العالم، وتسعَدُ له دوائر صنع القرار وكل العقول الصهيونية المفكّرة.

كما إنّ الفارق الآخرَ بين استخدام حل الدولتين وما يشوبه من تنميط شرحته أعلاه، واستخدام عبارة حل التقسيم، مرتبط بعدم الوقوع في شُبهة اليأس من تطبيق حق تقرير المصير والسعي إلى الاستغناء عنه بمبادرات أخرى، إنّ الكثيرينَ يستخدمون عبارة (تطبيق حل الدولتين مستحيل وحل الدولة الواحدة هو المتاح) كوسيلة ضغط على إسرائيل، ولكن في أيّ سياق؟

السياق المطروح هو سياق حل دولة واحدة لا يُلغي قرار التقسيم بالتوافق بين طرفي النزاع، أي استعادة وضعية ما قبل التقسيم والنكبة، بما يعني العودة إلى فلسطين اسماً وحقوقاً بما فيها ما استجدّ من وجود يهودي متعدد الأعراق والجنسيات. غير أنّ السياق المطروح مغاير ويشير إلى دولة قائمة (إسرائيل) تدمج الفلسطينيين فيها، بشكل يحقق المساواة المباشرة أو المؤجلة التي يُناضل لتحقيقها الفلسطينيون لاحقاً.

أيها السادة، إنّ إسرائيل يجب ألا تمتلك مثل هذه الرفاهية، وليست مُخيّرة في القانون الدوليّ بين الحلّين، فأصل وجودها حل الدولتين، (حل التقسيم)، وهنا ما يستوجب الضغط، أمّا تمليكها خيارَ البقاء مع نسف الشق المرتبط بتقرير مصيرنا نحن الفلسطينيين في قرار التقسيم، فهذا لا يخرج من عقل عاقل أبداً. ولا يجب حتى مساومتها والضغط عليها بتقديم هذا الخيار الإضافي. وإن كان هذا سلاحاً سياسياً، فليكن في سياق سليم، يُلغي عن إسرائيل مشروعية وجودها كما تُلغي هي سيادتنا على أرض التقسيم، ويُلغي سلطتها على الأرض، ويُعيد الأمور إلى حالة صفريّة تعيد صياغة النظام السياسي، والدستور، والحقوق

العامّة، والوضعية الدوليّة، على استحالة هذا الأمر لأسباب يعرفها كلّ من يُدرك موازين القوى وأسباب التحالفات، لكن بهذا الشكل يصبح التهديد حقيقيّاً، ولن يقف معنا أحدٌ على أساسه مع أنّه منطقٌ لكنّ المنطق ليس هو ما يسيّر أحوال العالم! أما ما يطرحه أنصار هذا الطرح وليس الحل، في صيغتهم الراهنة، فهو إعلان استسلام واستغناء عن الحقوق التاريخية والطبيعية في فلسطين التاريخ، وتمليك كل شيء لإسرائيل، وتحويلنا من شعب إلى أقلية تطالب بالعدالة!

إن اليأس في طرح مطالبتنا بتطبيق حل الدولتين، أو المساومة عليه، أو وصفه بالحل المستحيل، لا يعني سوى التأسيس إلى مزاج يستسلم، ويفتحُ الباب أمام الآخرين إلى هذا الفهم، ويحوّلُ الضغط علينا في مرحلة لاحقة كي نقبلَ الالتحاق بالمشروع الصهيونيّ كمواطنين من درجة معينة كي تُناضل للمساواة في أرض إسرائيل.

هذا الخطاب اليائس أوصل الأمورَ إلى أن يطرح بعضنا خطة الدولة الواحدة المشروحة أعلاه، وأن تطرحها بعض الجهات الأوروبية أيضاً، والسبب الأول والأساسي لذلك: أنّنا لا نُجيد استخدام المصطلحات في سياق خطّة تخدم الهدف بلغة من وضعوا الحلول منذ البداية، على عكس ما تفعل حكومات إسرائيل المتعاقبة.

نريد إقامة الدولة الفلسطينية

إنّ الفارق بين عبارة نريد إقامة دولتنا الفلسطينية، وعبارة نريد استقلال دولتنا الفلسطينية، فارقٌ جوهريّ، الدولة الفلسطينية اعترف المجتمع الدوليّ بها منذ قرار التقسيم، ومنحنا الحقّ فيها، وهي قائمة منذ ذلك التاريخ لكنّها مُحتلة، ولنتابع هنا هذا العرضَ البسيط لتاريخ هذه الدولة منذ قرار التقسيم:

- قرار التقسيم ٤٧ قرار يحمل في طيّاته إقامة دولة عربية نحن نسميها: فلسطين.
- إسرائيل احتلّت أراضي الدولة الفلسطينية المقررة في قرار التقسيم.
- أراضي الدولة الفلسطينية في حل التقسيم سلبتها إسرائيل على مرحلتين: النكبة أكثر من ٢٠٪ وما تبقى في النكسة ٦٧.
- في منظور العالم اليوم الفلسطينيون دون ذكر العرب رفضوا قرار التقسيم.
- وضعت منظمة التحرير برنامج الحلّ المرحلي عام ١٩٧٤.
- برنامج الحلّ المرحلي تفسيره إعرابيّاً: الوصول إلى قبول حل التقسيم.
- أعلنَ الفلسطينيون إقامة دولتهم عام ١٩٨٨. ثم دخلوا في المفاوضات وقصة أوسلو.

إعــلان ياسر عرفات الــذي سمي إعلان وثيقة الاستقلال، وليس كما هو دارج إعلان الاستقلال، والفرق بينهما واضح، لم يكن أكثر من بيان إلى العالم عن التوجه المجتمعي، والسياسي، والفكري، والحضاري، للدولة الفلسطينية المستقلة، يؤسس للدستور والنظام الذي سيضعه الفلسطينيون يوماً.

هذا الإعلان ليس إعلان دولة بالتمرّد على الواقع أو بالقوة، بل هو استردادٌ منطقيّ، لدولة مُقرّرة في الأمم المتحدة، رفضها العربُ وجهات فلسطينية يوماً، وفي التاريخ مجريات يمكن أن يبحث فيها كل معنيّ حول مرحلة الرفض تلك، لكنّ الفلسطينيين بعد تعاظم الكيانية السياسية المستقلة، عادوا وفعّلوها، وفعّلوا معها المُطالبة بتطبيق حل الدولتين الذي هو حل التقسيم نفسه وتوافقوا مع إسرائيل على حدود حزيران ٦٧ للتفاوض. العالمُ لم يرفض، ولم يكتشف الفلسطينيون أنّ طول مدة رفضهم لحل التقسيم قد ألغى حقّهم في الدولة، أو ألغى الشقّ المرتبط بهم في بنود الحل... هذا لم يحدث.

لذلك، الحقيقة أنّنا لا نريد إقامة دولة فلسطينية، فهي قائمة ونبحث ونطالب باستقلالها. نحنُ نحملُ إشكالية في مفهوم (الدولة القائمة)، فقيام الدولة يعني مسألتان: الصفة المعنوية السياسية، والمسألة المادية الجغرافية المرتبطة بالسيادة. فالدولة قائمة بالفهم السياسيّ المبني على قرار التقسيم، لكنّها مُحتلة بالفهم الطبيعي لمسألة الاحتلال المرتبطة بفقدان السيادة، وهنا أورد هذا المثال البسيط:

عندما احتلّ العراق الكويت وأسماها المحافظة رقم ١٩ في عهد صدام، لم يعنِ هذا بأيّ شكل من الأشكال انتهاء دولة الكويت ككيان سياسيّ يمتلكه شعب، لم تخرج الأمم المتحدة لتقول: حسناً لقد احتلت الكويت، لذلك هي دولة منتهية، لنشطب عضويتها ورقمها واسمها بحكم احتلال العراق لها!

كيف يستقيم لأحد أن يعتقد أنّ احتلال إسرائيل لدولة فلسطين المقررة في التقسيم، يعني (لا دولة) يمتلكها الشعب الفلسطيني! إنّ من يعتقد ذلك لا يدرك أنّ معنى كلامه: أنّ إسرائيل تمنحنا الدولة على أساس الانفصال بجزء من أرضها لتكون دولتنا.

إسرائيل ليست مصدر منحنا الدولة، وليس نضالنا مُطابقاً لنضال الإيجور، ولسنا في وضعية انفصال بنغلاديش عن باكستان، أو مُطالبة كشمير بالانفصال عن الهند، نحن نمتلك دولة بمشروعية قرار التقسيم، المُعتمد من مجلس الأمن، دولة واقعة تحت الاحتلال،

لم يُلغها احتلال إسرائيل لها، ولا حتّى رفضنا قرار التقسيم.

وحين طالبنا بعضوية تلك الدولة في الأمم المتحدة، لم يتراجع العالم عن قراره عام ١٩٤٧ بإيجادها واعترافه بها، لذلك كان دخولنا إلى الأمم المتحدة بالعضوية ١٩٤ عام ٢٠١٢ دخولاً مشروعاً لا يخرق القانون الدولي، وليس تحدياً من المجتمع الدولي لإسرائيل، بل هو منحٌ لحقّ نمتلكه أصلاً بما يسبق تاريخ الانضمام بخمسة وستين عاماً. أيضاً: الانضمام إلى الأمم المتحدة ليسَ هو الاعتراف بدولة فلسطين ووجودها وقيامها، دولٌ كثيرة كانت بعيدة جدّاً عن عضوية الأمم المتحدة التي تعترف بها دولاً، أما عضوية الجمعية العامّة الكاملة أو الناقصة، فهي خيارٌ ليس إلزاميّاً لكنّه نفعيّ لكل دولة، كلّ ما فعلناه هو ذلك الانضمام بدولة يعترف بها العالم سلفاً، والنفعيّ في هذه الخطوة: تثبيت الحدود، والاستفادة من خدمات المنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة، وتعزيز موقفنا وقوتنا السياسية من خلال المشاركة في المفاهيم والقيم المرتبطة بالعدالة الإنسانية على الأصعدة كلها، لكنّ أسوأ ما يمكن أن يحمله تثبيت الحدود في الأمم المتحدة: هو تفويت فرصة الحديث عن أكثر من ٢٠٪ من أرض الدولة العربية في قرار التقسيم، واعتبار تلك النسبة متنازعاً عليها. فلو فتحنا هذا الموضوع، وسوّقناه بصورة قانونية سليمة، ستقول إسرائيل وقتَ الحرج والضغط: لا حدود إلا ما هو في خريطة قبول عضويتكم! ربّما نستخدم هذا الأسلوب ضغطاً لسماع هذه العبارة، باعتبار أنّ إمكانية قذف اتفاقية إعلان المبادئ إلى سلة المهملات قائمة وأخذت حيز التنفيذ، وأنّ قرار ٢٤٢ لا يحدد في متنه حدوداً سيادية ولا يتحدث عنها بل يشير إلى خط انسحاب لإيقاف الحرب. كل ذلك «تنازل مؤلم» لا يتحدث عنه أحد، لن يساعدنا أحدٌ في العالم في التراجع عنه، ويحتاج قراءة قانونية ونقدية من نوع خاص، وتذكيراً مستمرّاً به.

الخطاب الفلسطيني في مسألة الاستقلال، يجبُ أن يميّز بين المُطالبة بإقامة دولة ومسألة المطالبة بالجلاء من أجل الاستقلال، فالمطالبة بإقامة دولة، يعني فهماً خاطئاً لحل الدولتين نفسه، وترويجاً دون قصد ووعي إلى أنّ حلّ الدولتين حلٌّ انفصاليّ، أمّا المطالبة بالجلاء من أجل الاستقلال فهو الطرح الأكثر وضوحاً في مسألة التحرر الوطني، والأكثر علاقة بمفهوم الاحتلال.

الشيكل والجنيه الفلسطيني والنجمة السداسية

أيّ أخرق لا يقرأ تاريخه، ولا يُلمّ بعناصر ثقافته وحضارته، سيتعرض إلى السرقة. هذا ما يحدث لنا حرفيّاً، النجمة السداسية التي ورثتها هذه الأرض منذ عصر الكنعانيين أو قبلهم، أو الكناجيين كما يفسّر اسمهم أحد الباحثين الفلسطينيين، ليست نجمة داود، فداوود لم يبتكرها ليهود فلسطين، بل هو نبيّ فلسطينيّ جاء في سياق التاريخ الفلسطيني، سياق الموروث الحضاري لهذا الشعب، هو ابن هذه الأرض، واستخدامه تلك النجمة لا يعدو سوى استخدام طبيعيّ لموروث حضاري موجود ينتمي هو إليه.

الإسرائيليون ببساطة سمّوها نجمة داود، ثم نجمة وشعار إسرائيل. ونحن مباشرة تنازلنا عنها! هكذا ببساطة! ردّدنا ببلاهة المصطلح ذاته، ولن نستردّ حقوقنا التاريخية بسهولة في تلك النجمة التي استخدمها المسلمون أيضاً... ماذا حصلَ بعد ذلك؟

لم ندافع يوماً عن رموزنا التاريخية، واحتكرنا الدفاع في خطابنا على المقدسات، وقلّصنا أملاكنا الحضاريّة فيها فقط، فصار نمطيّاً جدّاً وشائعاً، ومعلوماتيّاً بشكل أصيل، أنّ هذه النجمة إسرائيلية يهودية لا علاقة لفلسطين بها... مع أنّ الحقيقة أنّها نجمة من نجمات فلسطين ولكل أديانها، لأنها ابتكار (وطنيّ) وليست نجمة (دين) مرّ من هذه الأرض أو نشأ فيها.

وما بين الشيكل والجنيه الفلسطيني قصةُ حنين وتزييف. يحنّ الكثيرون إلى الجُنيه الفلسطيني، حقيقة إنّ هذا مُثير للرثاء. أن نعتبر حقّنا التاريخي في جُنيه الانتداب البريطاني الذي احتل الأرض ثم قسّمها، وأن نتنازل عن أوّل عملة معروفة استخدمها الفلسطينيون القدماء: الشيكل. لمجرّد أنّ الإسرائيليين أسموه الشيكل الإسرائيلي... ما حدث للشيكل الفلسطيني القديم هو ما حدث للنجمة السداسية. ولا يستوجب الشرح الطويل. ويجعلنا نتوقفُ عند تساؤل مشروع: ماذا نعرف من روايتنا التاريخية والحضارية، وإن عرَفنا كيف نُوظّفها في صونِ التاريخ الفلسطيني والاستناد إليه في العملية النضالية الشاملة؟ أليس تجاهلنا حقائق من هذا النوع يعتبر تنازلاً يجب ألا يحدث أو يكون؟ إنّنا نبطشُ حقّاً بكثير من جزئيات تتعلق بتاريخنا وحضارتنا وملكيتنا الفكرية والإنسانية في هذه الأرض، بوعي أو دون وعي، هذا حكم مطلق أرجو المغفرة عليه، لكنّه نابع من طول المدّة التي تجاهلنا فيها هذا الجانب، وتجاهلنا ولا

نزال خلالها حقيقة أنّ صراع الجغرافيا منبعه امتلاك المكان والزمان لإنتاجنا البشري، هذا عنوان ملكيتنا الأول للأرض، وأساس الصراع العدائي القائم عليها ونسعى خلاله إلى حل عادل يُنصفنا على الأقلّ! وهذه العبارة بحدّ ذاتها بداية أكرة الباب الذي فُتح أمام تقديمنا التنازلات المؤلمة التي يجب ألا يطالبنا أحد باستمرارها!

هذا نــزرٌ قليل من مسائل في خطابنا الفلسطيني الشعبيّ والرسمي سياسيّاً وثقافيّاً، فما سبق، من نماذج تعبّر عن مدى الفهم للتاريخ والحضارة الفلسطينية، مروراً بالحملات التوريطية بين شعبنا وبعض الشعوب العربية، وتضارب التفسيرات والحكايات الدينية والاستشراقية مع الأثر التاريخي والرواية الأصيلة التي يجب أن نقدمها بشكل جمعيّ، دقيق، واضح، كلّه يبني لنا صورة شاملة لا نرغبها... صورة نمطية بائسة... مُنفّرة... تُقزّمُ تاريخنا وتقضمه، وتهدمُ كفاحنا وتفتّته... هذا ما لا نحتاجه، وعلينا أن نمتلك مسؤولية نقده ومراجعته... فهذه فلسطين التي نحملُ اسمها، وتحت عنوانها نتصرّف ونتحرّك... هي جديرة بما هو أفضل كي تبقى حيّة على خارطة العالم إلى الأبد.

تعزيز دور الشباب في الدبلوماسية العامة الفلسطينية

رمزي الطويل*

مقدمة

لا يخفى على المتتبع للحالة الفلسطينية ظهور تفسخات وتآكل في المخزون الدبلوماسي الرسمي الفلسطيني خلال السنوات القليلة الماضية بمستوى غير مسبوق، وبشكل لا يمكن وصفه إلا بالانحدار الثابت، الذي أخذ يتسارع بوتيرة ملاحظة بعد حصول فلسطين على مقعد عضو مراقب في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٢، الذي كانت تتويجاً لنجاح فلسطين بالحصول على ما يزيد على ١٦ اعترافاً من دول أميركا اللاتينية خلال ٣ سنوات سابقة، ما اعتبره ساسة إسرائيل حينها هزيمةً للدبلوماسية الإسرائيلية وحتى محاولة لنزع شرعية وجود إسرائيل، ما دفعها لإعادة سياسات تواصلها مع شعوب تلك الدول وتعزيز حضور الرواية الإسرائيلية الصهيونية في العالم بشكل غير مسبوق، على مستويات عدة سياسية وشعبية ومعرفية.

منذ تلك اللحظة، بـدأت تتغير ملامح التصويت الدولي للقضية الفلسطينية بشكل سلبي، حتى وصلنا إلى العام ٢٠١٩ بتصويت ١٣ دولة من الدول الحليفة تقليدياً لفلسطين وبشكل مفاجئ ضد مشروع أممي يؤيد حقوق الفلسطينيين، أو على مستوى أخطر كرفض الاتحاد العالمي للبريد طلب فلسطين الانضمام إليه، وذلك بسبب فشلنا في التصويت، وهي المرة الأولى التي نخسر فيها تصويتاً دولياً بنسبة ٥٦

* باحث متخصص في الدبلوماسية العامة.

دولة من أصل ١٩٢ دولة أعضاء، على الرغم من أنه موضوع كان يجب أن يكون نصراً عابراً، إضافة إلى انتقال دول حليفة إلى الدعم الكلي لإسرائيل كما حال البرازيل ما بين عهد الرئيس السابق (لويس إيناسيو لولا دا سيلفا) المناصر للقضية الفلسطينية مقابل البرازيل في عهد الرئيس (جاير بولسونار) الذي يعتزم نقل سفارة بلاده إلى القدس.[١]

استمر مشهد تآكل المخزون الدبلوماسي عندما بدأت تتكشف نتائج الحملة الإسرائيلية التي استهدفت وسم الفلسطينيين والمعتقلين وأسر الشهداء بالإرهاب، واتهام السلطة بدعمهم مادياً ومعنوياً، كما في طلب البرلمان النرويجي وقف دعم وزارة التربية التعليم الفلسطينية بحجة الترويج للعنف والإرهاب،[٢] وكذلك طلب البرلمان الهولندي من حكومته وقف دعم وزارة العدل الفلسطينية بحجة دفع السلطة الوطنية مخصصات أسر الشهداء،[٣] لتظهر الصورة العامة وكأنها استكمال لهجمة إسرائيل والولايات المتحدة على وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا» وحقوق الشعب الفلسطيني.

لم يتوقف هذا التآكل في شرعية الشعب الفلسطيني عند المستوى السياسي الرسمي فحسب، وإنما امتد أيضاً إلى ما هو أخطر، وأعني هنا المستوى المعرفي والشعبي، ويمكن اعتباره امتداداً طبيعياً لنتائج الحملة الإسرائيلية نفسها الخاصة بسلب الشرعية من الشعب الفلسطيني، وتظهر تجليات هذا الموضوع بشكل مقلق على مواقع المعرفة العالمية التي تتبنى أغلبها الرواية الصهيونية على حساب القضية الفلسطينية، خاصة مواقع المعرفة المفتوحة كموقع «ويكيبيديا» wikipedia وموقع «كيورا» Qura، حيث تملك إسرائيل فيها ما يشبه جيشاً من المؤلفين والمدونين والمساهمين في تغذية الوجود الإسرائيلي على خريطة المعرفة البشرية مقابل حضور أقل ما يوصف بأنه خجول إلى مختف على الطرف الفلسطيني. أما على مستوى الشعبي، فيمكن ملاحظة تراجع اهتمام الشعوب بالقضية الفلسطينية للعديد من الأسباب، قد يكون أهمها المشاكل الداخلية التي تعاني منها الدول العربية والغربية على حد سواء، ومن بينها قضايا اللاجئين والإرهاب والثورات الداخلية وغيرها، وهو ما أدى إلى تراجع موقع القضية الفلسطينية على أجندات الاهتمامات الشعبية.

الدبلوماسية العامة ودورها في القضية الفلسطينية

تُعرّف الدبلوماسية العامة بأنها النشاط التواصلي المنهجي المدعوم من الحكومة، بشكل مباشر أو غير مباشر، والذي يستهدف الشعوب الأجنبية بغية كسب قلوبها وعقولها والتأثير على سلوكها بما يتوافق مع المصلحة القومية

للدولة المبادرة بالتواصل، ويمكن اختزالها بجملة بسيطة: «التأثير على الحكومات الأجنبية بالتأثير على شعوبها».[٤]

على مدى عقود من العمل الوطني، ودون إدراك مباشر لمفهوم الدبلوماسية العامة، كان الفلسطينيون من أوائل الشعوب التي اهتمت بالدبلوماسية العامة، ويمكن عزو تبنيهم هذا النوع من الاتصال إلى بدايات القضية الفلسطينية في عشرينيات القرن الماضي عندما بدأ الفلسطينيون يرسلون الوفود الشعبية إلى العالم والتحدث إلى شعوب تلك الدول والقيادات السياسية لوقف مخطط وعد بلفور.[٥]

بعد ما يزيد على عقد على النكبة، انعقد في العام ١٩٦٤ المؤتمر العربي الفلسطيني الأول في القدس وتم الإعلان عن إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني. ومنذ تلك اللحظة، تبنت المنظمة ومن كان تحت مظلتها، التواصل مع الشعوب الإسلامية والأجنبية لحماية حقوق الشعب الفلسطيني كجزء مهم من العمل الوطني لإضفاء شرعية على وجود الشعب الفلسطيني وفرض حقوقه عبر تحفيز تلك الدول على دفع حكوماتها لتأييد الحق الفلسطيني، وهو ما حصل طوال الستينيات وحتى أواخر ثمانينيات القرن الماضي، وذلك عبر توجيه النشاطات الطلابية والجاليات الفلسطينية ودعمها للانخراط والتواصل المباشر مع الشعوب الأجنبية، فكان أن كسبت القضية الفلسطينية العديد من الدول بسبب وقوف شعوب تلك الدول إلى جانب القضية الفلسطينية ودفعها حكوماتها للوقوف مع الحق الفلسطيني، سواء على مستوى القيادة كوقوف الرئيس الراحل مع قادة حركات التحرر الوطني العالمية من مانديلا إلى كاسترو وبومدين... وصولاً إلى تحوله لرمز تحرر في تلك الشعوب، إلى دور الطلاب والمبتعثين والمهجرين الفلسطينيين في تغيير مواقف عديد الدول لصالح فلسطين، حتى وصلنا إلى كيان سياسي معترف بوجوده كدولة فلسطين ويملك كرسياً مراقباً في الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٧٧، وباعتراف ١٠٥ دول بدولة فلسطين في العام ١٩٨٨ بعد أن كانت القضية الفلسطينية مجرد قضية مساعدات إنسانية ومخيمات للاجئين في العام ١٩٤٨.

ملخص المشكلة

تتلخص أسباب المشكلة في نطاقين أساسيين، النطاق (الدولي) أي بإسرائيل والدول الداعمة لها، و(النطاق الوطني) المتمثل بالداخل الوطني الفلسطيني.

- **النطاق الخارجي:**

يتمثل بحجم الاستثمار الإسرائيلي العالي في البروباغندا الصهيونية عبر وكالة (الهزبارا) الإسرائيلية المتخصصة بالدبلوماسية العامة،

ومنظمات المجتمع المدني وطلاب الجامعات أساساً، وذلك عبر برامج التواصل البشري والتبادل الثقافي والترويج الأكاديمي والمعرفي والترويج للرواية الصهيونية في أوساط الشعوب الأجنبية الداعمة للقضية الفلسطينية، خاصة استثمارها الترويجي في أوروبا وأميركا اللاتينية، بعد العام ٢٠١٢.

- **النطاق الوطني:**

تعاني فلسطين من عدد من الإشكاليات التي أوصلتنا إلى هذا المستوى من التراجع الدبلوماسي وتبدل موقعها على أجندة الشعوب الصديقة، أهمها غياب سياسة وطنية واضحة في كيفية الوقوف في وجه الهجمة الدبلوماسية وماكينة البروباغندا الصهيونية وتشتت الموارد البشرية وفقدان العمل المنهج المتكامل القادر الحفاظ على مكتسبات شعبنا التي ورثتها الدولة الفلسطينية عبر عقود من نشاطات الدبلوماسية العامة.

بشكل عام يمكن تحديد عوامل خسارات الدبلوماسية الفلسطيني بأربعة عوامل:

- **الأول:** تآكل الدعم الدبلوماسي لفلسطين على المستوى الدولي/الرسمي: وذلك عبر تراجع التأييد الدولي لمواقف الشعب الفلسطيني وحقوقه في المحافل الدولية، إما عبر الضغوط الإسرائيلية وأما عبر الضغوط الأميركية وإما عبر تبني بعض الدول سياسات معادية للحق الفلسطيني كما في حال الهند التي وردت تقارير عدة عن تبني الحكومة الهندية بقيادة (مارينداراً مودي) سياسة الابتعاد عن فلسطين لصالح إسرائيل في المحافل الدولية طمعاً في التكنولوجيا الإسرائيلية،[٦] وهو ما يمكن اعتباره أكبر خسارة دبلوماسية فلسطينية لدولة بحجم الهند، سواء على المستوى المعنوي أو السياسي.
- **ثانياً:** تراجع موقع القضية الفلسطينية لدى أجندات الشعوب الداعمة للقضية: وذلك عبر تدني مستوى تأثير دور الشعوب الأجنبية في التأثير على حكوماتها، سواء في للحفاظ على قرارات دعم القضية الفلسطينية أو تبنيها، إلى جانب انشغال العديد منها بالمشاكل الداخلية. خاصة في المحيط العربي ودول أميركا اللاتينية، فعلى سبيل المثال خسرت فلسطين دعم دولة بوليفيا التي سقط فيها حكم الرئيس (إيفو مورايس) بسبب المظاهرات الشعبية وأعمال العنف، فأعادت بوليفيا العلاقات الرسمية مع دولة الكيان.
- **ثالثاً:** التطبيع العربي الإسرائيلي: وهو ما يحدث بشكل متسارع في بعض الدول وخاصة دول الخليج عبر قيام العديد منها بعمل خطوات متقدمة في تطبيع العلاقات مع إسرائيل، منها استضافة سلطنة عُمان رئيسَ الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو[٧]، أو دعوة

البحرين وفداً رسمياً إسرائيلياً لحضور مؤتمر المنامة الاقتصادي الذي اعتبرته الفصائل الفلسطينية مؤتمراً للترويج لصفقة القرن وتصفية القضية الفلسطينية.[٨]

- **رابعاً:** ضعف المواجهة المعرفية: وقد يكون هذا هو الأخطر من كل ما سبق ذكره، حيث يواجه الفلسطينيون حرباً معرفية من مستوى آخر من المجابهة والمواجهة، تقوم على استحواذ الرواية الصهيونية على مواقع المعرفة المفتوحة والمناظرات ومواقع التواصل الاجتماعي، فالإسرائيليون يستخدمون تقنيات سيكولوجية في طرح المعلومات وترويجها كاستخدام المدونين الإسرائيليين حجة الأرقام لتبرير بناء دولة إسرائيل الجدار العنصري على أنه السبب في انخفاض أعداد العمليات الاستشهادية في إسرائيل بعد بنائه، وهو ما تؤكده الأرقام والإحصائيات ما بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٨، لكن تلك الرواية تتغاضى عن أن وقف العمليات الاستشهادية كان قراراً داخلياً اتخذته أغلب فصائل المقاومة الفلسطينية نفسها، إضافة إلى أن الجدار لم يمنع حدوث عمليات مشابهة، وعدم إعطاء المعلومة الكاملة عن دور الجدار العنصري في دعم مشروع الاستحواذ وسرقة المقدرات الطبيعية للشعب الفلسطيني من المياه الجوفية أو دور الجدار في تقطيع اتصال المدن الفلسطينية وفصلها عن امتداداتها الطبيعية والاقتصادية، حتى الوصول إلى قتل حل الدولتين الذي تدعو إلى تحقيقه كل دول العالم ومن بينها الولايات المتحدة. على الجهة المقابلة، لا نجد سوى مبادرات فردية بحتة أو محاولات جماعية غير قادرة على مجابهة هذا الجيش من المدونين الإسرائيليين المحترفين والمتخصصين في مجال النشر المعرفي.

هنا، وفيما لا يمكن أن نضع اللوم على إسرائيل لنجاحاتها أو حتى دعم دول أخرى لها عبر تبني العديد من تلك الدول قرارات تجرم التحركات الشعبية ضد إسرائيل، كالولايات المتحدة ألمانيا وفرنسا، أو دفع دول أخرى لتبني مواقف مناصرة لإسرائيل، فإن اللوم الأول يجب أن يقع على كاهل دولة فلسطين.

أما أسباب خساراتنا مـوروث منظمة التحرير من الدبلوماسية العامة على المستوى الوطني، فيمكن اختزالها في النقاط الآتية:

١- تهميش السلطة الوطنية ومن بعدها دولة فلسطين الدبلوماسية العامة لصالح الدبلوماسية الرسمية: وهو ما بدا واضحاً مع بدايات تنفيذ اتفاقيات أوسلو، حيث بدأ التركيز على فتح السفارات والعمل الدبلوماسي الرسمي والتخلي التدريجي عن الاهتمام بالتواصل المباشر مع شعوب الدول الصديقة قبل الأجنبية، والاعتماد على السفراء والممثليات كوسيط ومندوب رسمي والاهتمام بالفعاليات الرسمية وتهميش دور الجاليات

الفلسطينية في الشتات لصالح التمثيل الدبلوماسي الرسمي.

٢- تهميش الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الداخل والشتات والمهجر: وهو استمرار لسياسة تهميش دور الشباب الفلسطيني واحتكار العمل السياسي وقصره على الفصائل والمؤسسات الرسمية الفلسطينية، وهو ما أنتج حالة من حنق الشباب الفلسطيني وشعوره بالاغتراب وتقييد عمله الوطني وأنه لا ينظر إليه إلا في حالات الانتخابات الفصائلية ولأسباب لا تزيد على الترويج للفصائل أكثر من كونه إيماناً بدورهم في بناء الوطن، مع أن للاتحاد العام لطلبة فلسطين الفضل الأول والأهم في تخريج القيادات التاريخية للشعب الفلسطيني كالرئيس الراحل ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومي وتيسير قبعة وهايل عبد الحميد وغيرهم من الذين أسسوا حركة التحرير الوطني الفلسطيني ورفعوا القضية الفلسطينية إلى المحافل الدولية وحولوها من قضية لاجئين ومساعدات إنسانية إلى قضية حق شعب وتقرير مصير.

٣- احتكار الحكومة نشاطات الدبلوماسية العامة: وهذا استمرار لاحتكار المستوى السياسي الرسمي للدبلوماسية العامة والاستحواذ عليها كمفهوم ووظيفة وامتياز حكومي مطلق ليس من المقبول التنازل عنه أو مشاركته مع المؤسسات الوطنية غير الحكومية أو مؤسسات المجتمع المدني، وعلى الرغم من إنشاء الوكالة الفلسطينية للتعاون الدولي PICA كوكالة متخصصة بالدبلوماسية العامة، فإن المتتبع لنشاطاتها يلاحظ أنها لا تزال تعمل ضمن مفهوم التعاون الدولي وضمن التفاهمات الدولية والعلاقات الرسمية بين الدول والحكومات أكثر من كونها مؤسسة تعنى بالتواصل مع الشعوب الأجنبية بشكل مباشر وبمستوى ما دون الحكومي.

٤- تشتت المبادرات الوطنية المتخصصة بالتواصل مع الشعوب الأجنبية: التي بدورها تعاني عديداً من المشاكل، بداية من كون أغلبها لا يتعدى مبادرات فردية أو جماعية دون غطاء رسمي أو كيان جامع، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، وإما أنها تعاني من ضعف التمويل أو عدم توفير الحكومة الفرصة لها للتواصل مع الشعوب الأجنبية عبر مؤسساتها وسفاراتها أو بالدعم المادي أو اللوجستي أو حتى السياسي.

السياسة المقترحة

استعادة زمام المبادرة في تثقيف الشعوب الأجنبية وتحفيزها لدعم القضية الفلسطينية على المستويين الإنساني والمعرفي

وذلك عبر الاستثمار في (الدبلوماسية العامة)

و(المخزون الشبابي) للشعب الفلسطيني في الوطن والشتات والمهجر، أولا مستوى التواصل الإنساني-الإنساني، من خلال إعطاء الأدوات والفرص المناسبة للشباب الفلسطيني للتواصل المباشر مع الشعوب الأجنبية، وعلى المستوى المعرفي عبر تعزيز حضور الرواية الفلسطينية على مواقع المعرفة الرقمية على شبكة الإنترنت.

يخلق هذا الاستثمار بذرة لمشروع معرفي متراكم قادر عقب فترة وجيزة من الزمن على إعادة إحياء أواصر التواصل والتفاعل الإيجابي مع شعوب العالم على المستوى الإنساني والمعرفي بما يدعم استرداد المبادرة في نشر الرواية الفلسطينية وتفنيد الرواية الصهيونية، وإعادة تحفيز الشعوب الصديقة لفرض صوتها على حكوماتها في دعم القضية الأخلاقية والإنسانية للشعب الفلسطيني.

لإنجاز هذه السياسة نقترح تبني ما يلي:

- تعزيز دور الشباب واستثماره في التواصل مع الشعوب الأجنبية.
- دعم المشاريع والمبادرات الوطنية الخاصة بالتواصل مع الشعوب الأجنبية.
- دعم إنشاء مواقع معرفية وبنوك معلومات عن الرواية الفلسطينية.

١- تعزيز دور الشباب واستثماره في التواصل مع الشعوب الأجنبية

يأتي مفتاح النجاح في تحقيق هذه السياسة عبر المشاريع المقترحة الآتية:

- إعادة تفعيل الاتحاد العام لطلاب فلسطين: وذلك عبر تحفيز استعادته دوره الوطني في الخارج وتعزيز التأطير السياسي الوطني تحت مظلة منظمة التحرير لطلاب الجامعات والمبتعثين والمهتمين ذوي الإمكانيات اللغوية الأجنبية وتوفير المنصات السياسية والدعم اللوجستي بما يدعم حضورهم على المستوى المحلي للدول المستضيفة. وتوفير الدعم اللازم لتنظيم الاتحاد للندوات والمؤتمرات الشعبية والدولية، خاصة في الدول الأوروبية ذات القواعد الاشتراكية لنشر الوعي بالقضية الفلسطينية وفضح ممارسات الاحتلال.
- إنشاء نوادي وجمعيات الخطابة والتنظير. كانت نوادي الخطابة والتنظير من أهم المشاهد الثقافية في فلسطين ما بعد عشرينيات القرن الماضي ووقوف الشعب الفلسطيني أمام محاولات الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية إلى فلسطين، إلا أن هذه الجمعيات والنوادي انتهت ما بعد العام ١٩٤٨، وعوضت عنها الحركة الطلابية من خلال الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الذي حمل على كتفيه عبء تجهيز ونشر وتأطير أفراده ليكونوا سفراء للقضية الفلسطينية التي آتت أكلها عبر تواصل طلابنا حول العالم مع الشعوب الأجنبية وانخراطهم في العمل الجمعي البشري ما ساهم في بقاء القضية

الفلسطينية حية.

وعليه، لم تكن الخطابة والتنظير مقتصرين على طبقة معينة من فلسطين أو حالات خاصة بقدر ما كانا مشهداً عاماً من مجموع الحراك الشعبي في وجه الاحتلال، وهنا، وفي مثل الظروف التي مرت على شعبنا قبل ١٠٠ عام، نجد في إعادة إحياء ظاهرة النوادي الخطابية والتنظيرية نقطة مهمة في رفع مستوى وعي الشباب الفلسطيني أملا في تجهيزهم بعتاد المعرفة والحقيقة ومدهم بالمهارات اللازمة للخطابة بحيث يصبح كل فرد من أفراد هذه الجمعيات رسولاً فصيحاً للقضية الفلسطينية، على أن تكون أيضاً جمعيات متعددة اللغات، تستقطب أبناء شعبنا في الداخل والمهجر والشتات.

إن أسهل طريقة لإنشاء هذه النوادي هي بالاعتماد أساساً على خزان الشباب الفلسطيني في الجامعات الفلسطينية والمبادرات والمشاريع الوطنية المهتمة بالرواية الفلسطينية والتواصل مع الشعوب الأجنبية، بما يدعم تخريجنا شباباً منظراً قادراً على حمل الرواية الفلسطينية. وقد يكون إنشاء مسابقة قومية على المستوى الوطني والشتات والمهجر شرارة بدء إحياء هذا التراث السياسي الفلسطيني.

الغاية:

تحضير أكبر عدد ممكن من الشباب الفلسطيني الجامعي القادر على التنظير بلغته الأم أو لغات أجنبية، ما يدعم شخصيته الوطنية ومشروع حفظ الرواية الوطنية الفلسطينية ونشر الحقيقة عن طريق الطلاب أنفسهم ضمن مجتمعاتهم الصغيرة والموسعة في الوطن والمهجر والشتات.

- **حشد الكوادر الشبابية الجامعية في الوطن والمهجر للمشروع الوطني.**

تفعيل التعاون والتواصل مع اتحاد الطلبة الفلسطينيين في تنسيق ساعات العمل التطوعي للطلاب المبتعثين خاصة طلاب الخطابة، وتوزيع المنشورات متعددة اللغات وإقامة الندوات المجتمعية والطلابية كل حسب دولهم وظروفهم الخاصة. في الوقت نفسه التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني والمبادرات الوطنية لتوفير أكبر كم ممكن من الخبرات والكوادر البشرية والتنسيق فيما بينها.

فيما يتعلق بطلاب الجامعات المحلية، تفعيل نظام ساعات العمل التطوعي للشباب الجامعي وهي ١٢٠ ساعة عمل اجتماعي، بحيث يفتح باب التسجيل للعمل التطوعي من مختلف التخصصات، ولكن ضمن الاحتياجات الآتية:

- الكتابة الإبداعية والمدونات.
- الترجمة متعددة اللغات.
- التصميم والمونتاج.
- الخطابة والإعلام.

يتم التواصل مع الدوائر الأكاديمية في

الجامعات وبحث سبل التعاون وتحديد طريقة احتساب ساعات العمل التطوعي الطلابية وطريقة تسجيل الساعات واعتمادها لدى الجامعات. ويتم تقديم طلبات الطلاب، وعليه يتم اختيار المجموعة الأكثر قدرة على تطبيق المشروع.

- يتم عمل برنامج تدريبي مركز مدة أسبوع.
- يتم تصنيف الطلاب حسب توجهاتهم وقدراتهم الإبداعية (كتابة / خطابة / ترجمة / تواصل اجتماعي)
- يتم إرسال (الوظائف) للطلاب كل حسب توجهه وتخصصه وقدراته اللغوية وعادة تتضمن:
- الترجمة
- كتابة ورقة بحثية عن موضوع معين
- تدريب على موضوع خطابي بـ(العربية أو لغة أجنبية)
- نشر مادة وتنسيقها على المواقع الإلكترونية
- تصميم مواد ومطبوعات

٢. دعم المبادرات والمشاريع الوطنية بشكل مباشر وغير مباشر:

حققت العديد من تلك المبادرات العديد من النجاحات دون توفير حتى دعم معنوي رسمي حتى وقت قريب، كما حركة BDS التي حصلت على دعم منظمة التحرير والمجلس الوطني في العام ٢٠١٨ لتتعدى مجرد مستوى المبادرة الشعبية وتصبح توجهاً وطنياً عاماً على مستوى سياسي له أثر على القرارات السياسية الوطنية، كذلك الحال في مشروع «سفير فلسطين» وهي مبادرة مستقلة تهدف إلى تمكين كل مهتم بتقديم قضية فلسطين بطريقة مهنية، ورفده بالمعلومات الدقيقة والمهارات اللازمة. تنطلق منصة التعلم بثلاث لغات: العربية والإنجليزية والإسبانية، إلا أنها لا تزال تعمل خارج نطاق الرسمي، إلى جانب عدم استثمار الدولة في هذه المبادرات.

يوفر دعم مثل هذه المشاريع والمبادرات الوطنية وقتاً وجهداً وكلفةً بدل إنشاء هيئات ومؤسسات من الصفر، حيث تملك العديد من هذه المبادرات الوطنية من الخبرة والكوادر العلمية والعلاقات الدولية مع مؤسسات شريكة عبر الحدود ما يجعلها مهيأة وقادرة على البدء في تنفيذ السياسات المقترحة المقدمة في هذه الأوراق.

إضافة لما سبق، يمكن للحكومة الاستفادة من تلك المبادرات والمشاريع الوطنية بالتعاون معها في تنفيذ مشاريع تعاونية كما يلي:

- **إنشاء مراكز دورات قضية فلسطينية بالتعاون مع وزارة التعليم العالي ووزارة الخارجية:** وتقوم على فتح المجال للمراكز الخاصة وكذلك للمؤسسات والمبادرات الوطنية بتقديم خدمة تعريف ومراجعة القضية الفلسطينية بشكل مختزل يتوافق

مع التوجهات الوطنية، وتوجه بشكل خاص للشباب المبتعثين والدارسين في الخارج بما لا يزيد على دورة لمدة أسبوع، خاصة الطلاب المتوجهين للدراسة في الدول الأجنبية (لدرجتي البكالوريوس والماجستير) وتجهيزهم بالأدوات المعرفية لمواجهة الرواية الصهيونية في حال تعرضوا لمواقف تتطلب منهم وجود مخزون معرفي في القضية.

الغاية:

تحضير الشباب الفلسطيني المتوجه للدراسة في الخارج للحصول على معرفة بالمشروع الوطني التي لا يحصل عليها كما أقرانه في الوطن عبر مواد ومتطلبات الجامعة خاصة في الفصل الأول، ما يجعل المبتعث الذي لا يملك بعد مخزوناً معرفياً كافياً للوقوف أمام هيمنة الرواية الصهيونية في الجامعات الأجنبية غير قادر - إن لم يعتمد على نفسه - على مواجهة الرواية الصهيونية، هنا، تكون الدورة المركزة التي يحصل عليها طلاب الابتعاث والدراسات في الخارج، وسيلة مهمة تمدهم بالأدوات والعناوين والمواد المعرفية القادرة على إعطائهم ثقة أكبر في أن يكون سفراء للرواية الفلسطينية.

- **إنشاء مجلة دورية للأسئلة والأجوبة وموقف فلسطين الرسمي بحسب المتغيرات الدولية:** أصدرت العديد من المؤسسات والمراجع السياسية الفلسطينية منشورات موجهة للأجانب، تقوم باختزال الأسئلة العامة حول القضية الفلسطينية وموقف القيادة الرسمي من الأسئلة الخاصة بالمشروع الوطني، ولكن أغلب تلك المنشورات، مشاريع منفصلة عن بعضها متقطعة الإنتاج دون هوية ولا توجه ولا استمرارية، يتم تنفيذها بحسب الظروف والمشاريع المقدمة.

هنا، نقترح إنشاء أو (تكليف) جهة بإنتاج منشورات مواقف وإجابات رسمية تصدر بشكل دوري على أن تكون متعددة اللغات ومصنفة بشكل أكاديمي وقادرة على أن تكون مادة علمية ومرجعية سياسية وتوزيعها على طلبة الابتعاث في المهجر والشتات. ليوزعوها بدورهم على المجتمعات المحلية من الطلبة والمكتبات بما يضمن إيصال رسائلنا الوطنية لأوسع مساحة جماهيرية ممكنة.

٣. دعم إنشاء مواقع معرفية وبنوك معلوماتية عن الرواية الفلسطينية

عبر إنشاء ما يشبه هيئة مجتمع مدني تتوافق مع المشروع الوطني الفلسطيني ومتخصصة في توفير الرواية الفلسطينية على منصات المعرفة والتواصل الاجتماعي العالمي بجميع أشكالها واللغات المتوافرة بحسب المشاركين والمساهمين.

تقوم الهيئة بمهمة التواصل والتنسيق

وتوفير المعلومات وتصنيفها وتطوير الإجابات والتفاعل مع المجتمع المدني الفلسطيني في الوطن والشتات، وتراكم المعرفة في هذا الموضوع، حتى لا تترك المجال مفتوحاً للرواية الإسرائيلية للاستحواذ كما حدث -ويحدث - على مواقع المعرفة المفتوحة مثل (ويكيبيديا)، أهم مصدر معلومات في العالم الرقمي اليوم

من الأمثلة على هذه المبادرات والمشاريع موقع اسأل فلسطين .www.askpalestine com وهو نموذج أولي لقاعدة البيانات المعرفية المستمدة من منشور «الموقف» الصادر عن ديوان الرئاسة الفلسطينية والمنشور بلغات في العام ٢٠١٦.

وتقوم على الاستفادة بشكل كبير من مخزون الرواية الصهيونية والاعتماد على المستوى السياسي والأكاديمي والفلسطيني في تفنيد تلك الروايات وتنسيقها ضمن مواضيع عامة وبنص مبسط وسلس وموجه بلغات أجنبية، بحيث تكون مرجعاً لكل من الشباب الفلسطيني في الداخل والمهجر والشتات للتصدي للروايات والأسئلة الصهيونية التي تلعب على وتر (المنطقيات والأرقام والحقائق).

توفير الموارد البشرية والمادية.

ملكت فلسطين من الموارد البشرية الشابة والمتعلمة والمتحفزة للعمل الوطني العديد من القدرات الكامنة ما جعلها تحمي المشروع الوطني طوال المائة عام الماضية، واليوم لا تقل مقدرات فلسطين في الوطن أو المهجر أو الشتات من الشباب المتحفز للعمل الوطني، لكن، في المرحلة الأولى من المشروع، فإنه من الأسرع والأقرب والأقل كلفة هو استثمار طلاب الجامعات الوطنية والطلاب المبتعثين كبذرة للمراحل المقبلة.

ترتيب أجندات العمل:

عرضنا في الحلول السابقة تصورات نابعة من مخزون التجارب الفلسطينية الناجحة على مدى عقود من الزمن، وليس مجرد مقترحات جديدة، لكن ما يميزها أن تبدل العوامل وتطور الأدوات الاتصالية التي لم تكن متوافرة لدى الأجيال السابقة يعطي الشباب اليوم أفضلية أكبر، خاصة مع انخفاض كلفة التواصل والاتصال الدولي مع الشعوب الأجنبية، وانخفاض كلفة إنتاج المعرفة وتدريب الكوادر. وزيادة المخزون الشبابي الفلسطيني المتعلم والمتعولم، كل ذلك يجعل من الحلول متقاربة في الأهمية والنتائج، لكن شيئاً واحداً يبقى قادراً على أن يعطي أفضلية بين مختلف الخيارات.. إنه عامل الكوادر البشرية وبمقدار أي من تلك الخيارات توفير أكبر عدد من الكادر الشبابي المتمكن لإنجاز غايات هذه الأوراق المقدمة.

على الرغم من أن تفعيل الاتحاد العام لطلبة فلسطين قد يكون الأكثر ملاءمة لتنفيذ هذه

السياسات، لما يملكه من قواعد طلابية ووجود عدد من الكوادر المهنية والعلاقات السياسية، فإن من الصعب إخراج الاتحاد من بوتقة العمل الحزبي والتجاذبات السياسية في هذه المرحلة، وكما قلنا سابقا، فإن نظرة العديد للاتحاد العام لطلبة فلسطين من منظور حزبي أو حتى غايات آنية يجعل منه كعب إخيل فلسطين، ما يدفعنا للنظر بجدية نحو الحل الثاني المتعلق بدعم المؤسسات والمبادرات الوطنية القائمة على مفهوم الدبلوماسية العامة والتواصل مع الشعوب الأجنبية، وتوفير الدعم اللوجستي والمادي، مع عمل ما يشبه لجنة تنسيقية بين مجموع هذه المبادرات الوطنية والاتحاد العام لطلاب فلسطين، الخزان الأول للكادر الإنساني المتعلم، خاصة المبتعثين. وبذلك نحصل على أفضل مزيج مشترك بين الحلين، مع التأكيد على ضرورة البدء في الحل الثاني للعديد من الأسباب التي يمكن اختصارها بما يلي:

١. توفر الكوادر والخبرات العلمية والعملية المتمكنة في الشأن الفلسطيني.
٢. توفر شبكات تعاون مع مبادرات ومؤسسات أهلية في الدول الأجنبية داعمة للقضية الفلسطينية.
٣. توفر الدعم المالي من المؤسسات الوطنية ما يعني تقليل كلفة الدعم الحكومي لمشاريعها.
٤. توفير مخزون معرفي ومعلوماتي للرواية الفلسطينية قادر على دعم مشروعات المساهمة في تقويم وتعديل ميزان الحرب المعرفية ضد الشعب الفلسطيني على منصات المعرفة المفتوحة العالمية.

بالنسبة للحل الثالث، فهو أسهل وأقل كلفة من الحلين السابقين، ولكن في حال استثمار الحكومة في الحل الثاني والأول فسيكون الحل الثالث نتاجاً مباشراً وموازياً للحلين السابقين، مع عدم التقليل من تجهيز الأساسات التقنية والفنية والمعرفية واللوجستية من تنسيق وتحضير لهذا النوع من الحلول بحيث إن تخريج الكوادر الطلابية الوطنية القادرة على الإضافة المعرفية على شبكة الإنترنت تجد مباشرة مصادر معلوماتية موثوقة وقادرة على توفير الإجابات بكل مصداقية وتحفيز الشعوب الأجنبية للوقوف مرة أخرى مع القضية الفلسطينية والتأثير على حكوماتها بما يضمن توقف تآكل المخزون الدبلوماسي الفلسطيني بل وحتى استعادة المبادرة والتقدم.

الهوامش

1 Haaretz. (Dec 05, 2019). In First, 13 Countries Oppose UN Resolution Against Israel. online] Available at: https://www.haaretz.com/israel-news/in-first-13-countries-vote-against-a-un-general-assembly-resolution-against-israel-1.8225725

2 Staff, A. (2019, December 5). Norway Threatens Palestinian Aid Cut Over Racism, Violence in Textbooks. Retrieved from https://www.algemeiner.com/2019/12/05/norway-threatens-palestinian-aid-cut-over-racism-violence-in-textbooks/.

3 Dutch Government to Stop all Aid to the Palestinian Authority. (2019, November 22). Retrieved from https://www.bridgesforpeace.com/dutch-government-to-stop-all-aid-to-the-palestinian-authority/.

٤ الطويل، رمزي. (٢٠١٩). الدبلوماسية، مقدمة في الدبلوماسية العامة ودورها في العلاقات الدولية المعاصرة. دار الرقمية للنشر والتوزيع. ص٥٢.

٥ شتية، محمد (٢٠١٥). المختصر في تاريخ فلسطين. دار الشروق.

6 Kumaraswamy, P. R. (2017, May 8). Modi Redefines India's Palestine Policy. Retrieved from https://idsa.in/issuebrief/modi-redefines-india-palestine-policy_prkumaraswamy_180517.

7 Sanchez, R. (2018, October 26). Israel's Netanyahu pays surprise visit to Oman in first such trip since 1996. Retrieved from https://www.telegraph.co.uk/news/2018/10/26/israels-netanyahu-pays-surprise-visit-oman-first-trip-since/.

8 Keinon, Herb (2019, June 21). PA: Bahrain workshop aims to normalize Israel without demanding withdrawal. Retrieved from https://www.google.com/search?q=Manama Economic Workshop israel invitation&sxsrf=ACYBGNSkKkLZYLOCJphzEglda2tKIhqPJA:1576063360906&ei=gNHwXefvNsORsAeU_pNw&start=10&sa=N&ved=2ahUKEwjnr5TGva3mAhXDCOwKHRT_BA4Q8NMDegQICxA-&biw=1260&bih=646.

الانتخابات الأميركية ٢٠٢٠ وفلسطين: أي أفق؟

د. وليد سالم*

مدخل

تحاول هذه الورقة قــراءة الانتخابات الرئاسية الأميركية الوشيكة من زاوية العلاقات الأميركية الإسرائيلية وتأثير العامل الداخلي الأميركي والعامل الإقليمي العربي - الإسرائيلي عليها، ثم تتقصى برامج المرشحَين جو بايدن ودونالد ترامب، وتلي ذلك خاتمة تتضمن رؤية استشرافية لأثر هذه الانتخابات على فلسطين وبعض التوصيات حول ما يتوجب عمله فلسطينياً بشأن طرق التعامل مع الولايات المتحدة على المستويين الرسمي والشعبي. وتأتي هذه الورقة استكمالاً لأخرى سابقة نشرها الكاتب في مجلة سياسات (سالم، ٢٠٢٠).

أجواء الانتخابات الرئاسية الأميركية وآثارها خصوصاً على إسرائيل

لعل استشراف آفاق العلاقات الإسرائيلية الأميركية يمثل عنصراً مهماً يتطلب من المشروع الوطني الفلسطيني أن يراقبه، ويدرس آليات تأثيره، خاصة أن الولايات المتحدة لا تزال تمارس دور الدولة الأم للدولة الاستيطانية الاستعمارية الإسرائيلية وتمدها بمظلة دعم تستند إليها إسرائيل، كقوة حامية دولياً تجعلها لا تعبأ بالقرارات الدولية المناهضة للاحتلال والداعية إلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

ولعل هنالك متغيرين داخل الولايات المتحدة لهما أثر على إسرائيل يتطلبان المتابعة الدقيقة،

* أستاذ مساعد - معهد جامعة القدس للدراسات والأبحاث.

يتعلق الأول بالسياسة المزدوجة للتوجه الميسياني المسيطر على السياسة الأميركية في عهد الرئيس دونالد ترامب، الذي يدعم إسرائيل بقوة لا سابق لها، كان آخر تعبيراتها الإعلان عن صفقة القرن في نهاية كانون الثاني ٢٠٢٠ ومساندة وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو في نيسان ٢٠٢٠ لاتفاق نتنياهو – غانتس على خطة الضم مع حلول تموز ٢٠٢٠. مع أن هذا التيار الميسياني يسوغ اعتداءات مجموعات التفوق العرقي الأبيض على اليهود داخل الولايات المتحدة. أما الأمر الثاني فيتعلق بالتيارات المتنامية بين الديمقراطيين لنقد إسرائيل وسياساتها التوسعية لاسيما مواقف المرشحين السابقين للرئاسة بيرني ساندرز وإليزابيث وارين، وظاهرة النواب السبعة عن الحزب الديمقراطي في الكونغرس رشيدة طليب في ميتشيغان، وإلهان عمر في ولاية مينيسوتا، وألكساندريا أوكاسبوو كورتيني وجمال بومان في ولاية نيويورك، وديانا بريسلي في ولاية ماساتشوستس، وكوري بوش في ولاية ميسوري، وماري نيومان في ولاية إلينوي (صيام، ٢٠٢٠). إلى جانب النقد المتنامي لسياسات إسرائيل التوسعية في أوساط الشباب الأميركي ومن بينهم الشباب اليهود الأميركيون.

فيما يلي بعض الإضاءات على هذين العاملين وفق منظار العقل البارد، وبالتالي دون عواطف تهوين أو تهويل.

فيما يتعلق بالعنصر الميسياني الذي يمثل القاعدة الانتخابية للرئيس ترامب، الذي يشمل قاعدة أفنجليكانية تقدر نسبتها بين الأميركيين بـ ٢٥,٤ بالمائة حسب دراسة مركز بيو للأبحاث يضاف إليها أقسام من البروتستانتيين الذين يتقاطع بعضهم مع التيار الأفنجليكاني وتصل نسبتهم إلى ٢١,٢ بالمائة من الأميركيين، وطائفة المورمون التي تعتبر نفسها من «سلالة بيت إسرائيل»، وتقدر نسبتها بين الأميركيين بـ ١,٦ بالمائة (مركز بيو للأبحاث، ٢٠١٩).

يدعو هذا التيار الواسع إلى دعم إسرائيل، ولكن أجزاء منه تؤمن أيضاً بتجميع اليهود في «أرض إسرائيل" كمقدمة لعودة المسيح، ولذلك يؤيد هذا الجزء الاعتداءات على اليهود التي تمارسها المجموعات المنادية بالتفوق الأبيض وذلك لدفع اليهود إلى الرحيل عن أميركا. وفي هذا السياق، تشير إحصاءات الرابطة اليهودية المناهضة للتشهير إلى أن الاعتداءات على اليهود في أميركا قد ازدادت خلال فترة الرئيس دونالد ترامب. ففي العام ٢٠١٨ أصيب ٥٩ يهودياً في ٣٩ اعتداء داخل أميركا بينهم ١١ قتلوا في هجوم عنصري أبيض على كنيس "شجرة الحياة" في بيتسبرج في تشرين الأول ٢٠١٨، وهو أسوأ اعتداء على اليهود في تاريخ أميركا بأسره كما تشير الرابطة. كما شهد العام نفسه ١٨٧٩

اعتداءً على أملاك يهودية، مقابل ١٩٨٦ اعتداءً في العام ٢٠١٧، الأمر الذي يمثل زيادة بنسبة ٥٧ بالمائة من الاعتداءات على أملاك يهودية مقارنة بالعام ٢٠١٦. وقد حصلت اعتداءات ٢٠١٧ و٢٠١٨ في ٤٦ ولاية من مجموع ٥٢ ولاية تضمها الولايات المتحدة بأسرها (الرابطة اليهودية المناهضة للتشهير، ٢٠١٨). وبناء على هذه الاعتداءات أظهر مسح أجراه «معهد الناخبين اليهود» في العام ٢٠١٩ أن ٧٣ بالمائة من يهود أميركا باتوا يشعرون بأمن أقل في عهد ترامب، ورأى ٧١ بالمائة منهم أن سياسات ترامب لمكافحة اللاسامية ليست صالحة (معهد الناخبين اليهود، ٢٠١٩).

هذه التطورات ليست غريبة في ضوء مخاطبة ترامب لاجتماع اليهود المؤيدين له في لاس فيغاس في آب ٢٠١٩ قائلًا لهم: «بنيامين نتنياهو هو رئيس وزرائكم» (انترسبت، ٢٠١٩) مما يعني أنه لا يعترف بهم كمواطنين أميركيين. وبعد ذلك بأيام اتهم الرئيس ترامب اليهود الذين صوتوا لمنافسته هيلاري كلينتون من الحزب الديمقراطي بعدم الولاء لإسرائيل، وقد بلغت نسبة هؤلاء ٧١ بالمائة ممن صوتوا من اليهود في تلك الانتخابات (المصدر نفسه)، ومعنى ذلك أن ترامب قد وجه اتهامه هذا لغالبية اليهود الأميركيين. بناء على اعتداءات جماعات التفوق العرقي الأبيض وتصريحات ترامب يمكن الاستنتاج أن الاتجاه الميسياني في الولايات المتحدة بات يعمل ويصرح علناً برغبته في تحويل يهود أميركا إلى إسرائيليين بدلاً من مواطنتهم الأميركية.

من جهة أخــرى، هناك تطورات داخل الحزب الديمقراطي، وقاعدته الشبابية (وقسم كبير منها يهودي) الذي بات ينتقد إسرائيل لتوسيعها المستعمرات وعدم استعدادها لقبول حل الدولتين وفق الصيغة التي طرحتها أميركا في المفاوضات السابقة. وعلى الرغم من عدم تلبية تلك الصيغة تماماً للحقوق الفلسطينية خصوصاً بشأن القدس واللاجئين، فقد بات الديمقراطيون مقتنعين بأن العقبة أمام تطبيق هذه الصيغة تأتي من إسرائيل التي ترفض أي تنازل أياً كان عن الأراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧، ولذلك دعا المرشحان الديمقراطيان السابقان بيرني ساندرز وإليزابيث وارين في خطابيهما أمام مؤتمر جي ستريت في تشرين الأول ٢٠١٩ إلى استخدام المساعدات الأميركية إلى إسرائيل كوسيلة ضغط عليها (الصفحة الإلكترونية لــ جي ستريت)، وهو ما لا يوافق عليه مرشح الحزب الديمقراطي جو بايدن الذي يريد استخدام الدبلوماسية الناعمة فقط لإقناع إسرائيل بالحل السياسي وفق الرؤية الأميركية للحزب الديمقراطي سالفة الذكر.

تجاوز تيار محدود داخــل الحزب

الديمقراطي مواقف مرشحي الرئاسة ليطرح عزل إسرائيل دولياً، ومن هذا التيار النائبتان رشيدة طليب، وإلهان عمر، وعلى الرغم من محدودية تأثيرهما على مستوى نخبة الحزب الديمقراطي، فإنهما تمثلان ظاهرة جديدة في الساحة الأميركية، خاصة أنهما أقرب لجيل الشباب الذي بات يتغير في الحزب.

بناء على ما تقدم يمكن تصور أنه ستكون هناك نتائج مختلفة في حال نجاح الحزب الجمهوري بقيادة ترامب، عن تلك النتائج في حال نجاح الحزب الديمقراطي في الانتخابات الأميركية، ففي الحالة الأولى قد يستمر الدعم لإسرائيل (مع وجود شكوك محدودة بأن ترامب قد ينقلب على إسرائيل في دورته الرئاسية الثانية كما يرى بعض المراقبين أدناه)، ولكن مع مطالبتها بأن تدفع تجاه أي مطالبات أخرى وذلك كما رد ترامب على نتنياهو عندما ناشده هذا الأخير بتجديد الدعم الأميركي للأجهزة الأمنية الفلسطينية، حيث قال ترامب رداً على نتنياهو: إن على إسرائيل أن تدفع هي بنفسها لأجهزة الأمن الفلسطينية إذا كان هذا الأمر مهماً لها (تايمز أوف إسرائيل، ٢٠١٩)، وفي هذه الحالة ستزداد اعتداءات جماعات التفوق العرقي الأبيض على اليهود داخل أميركا، وقد يترافق ذلك مع زيادة هجرة اليهود الأميركيين إلى إسرائيل. نقول «يترافق» وذلك لأن العنف ضد اليهود الأميركيين قد لا يؤدي بالغالبية (التي تصوت للحزب الديمقراطي) للهجرة إلى إسرائيل، حيث إن هؤلاء قد يفضلون الكفاح داخل أميركا للتصدي لجماعات التفوق العرقي البيضاء، في الوقت الذين سيستمرون فيه موقفهم التقليدي القائم على دعم إسرائيل والولاء لها، واعتبار القدس عاصمة لها، وضم الكتل الاستعمارية الكبرى إليها ومنع عودة اللاجئين، مقابل قيامها بتنازلات إقليمية عما تبقى لصالح الفلسطينيين. ما عدا ذلك فإن من المفارقة أن من يهاجر إلى إسرائيل حتى الآن من الأميركيين هم داعمو ترامب وبعضهم أعضاء حزب ديمقراطي سابقون كما تطرح سارة هيرشهورن (هيرشهورن،٢٠١٧) ويذهب هؤلاء بشكل خاص إلى المستعمرات حيث مثلوا حتى ٢٠١٦ نحو ١٥ بالمائة من سكانها (المصدر نفسه، ص١٥). وبين أعوام ٢٠١٠-٢٠١٩ هاجر إلى إسرائيل حسب الوكالة اليهودية ٣٦ ألف يهودي أميركي من مجموع ٢٥٠ ألف مهاجر إليها في الفترة نفسها (عرب ٤٨، ٢٠١٩)، وعليه، فإن ازدياد الاعتداءات العنصرية البيضاء قد تترافق مع اتساع أكبر في هجرة اليهود المؤيدين لترامب إلى إسرائيل، الأمر الذي سيجعله يخسر قاعدته الانتخابية بين اليهود الأميركيين، فيما سيكافح اليهود المحسوبون على الحزب الديمقراطي غالباً داخل

أميركا، نظراً لرفضهم الهجرة إلى إسرائيل المحكومة بسياسات اليمين الإسرائيلي المتطرف الذي يكرههم.

تتعلق الحالة الثانية بنجاح الحزب الديمقراطي في الانتخابات، وهي حالة ليست مضمونةً على أي حال في ضوء تهديدات ترامب بحرب أهلية في حال عزله أو فشله في الانتخابات، ففي تقرير حديث لمعهد كارنيجي تم تحليل خطورة اتجاه أميركا نحو مزيد من العنف الداخلي بسبب مركب ثلاثي يعزز الاستقطاب الحاد داخل المجتمع الأميركي ويشمل هذا المركب: الانقسامات الأيديولوجية والإثنية والدينية. ويضيف التقرير أن نحو ٤٠ ولاية تسمح بإدخال السلاح إلى قاعات التصويت في الانتخابات مما قد يوفر أرضية للعنف لإفشال الانتخابات وإنجاح ترامب (كلينفلد، ٢٠١٩)، ويزيد التقرير أن كل ذلك قد جعل «مؤشر الدول الهشة» العالمي (صندوق السلام، ٢٠١٨) يضع الولايات المتحدة في المرتبة الخامسة من حيث سوء الاستقرار السياسي فيها، وذلك إلى جانب فنزويلا واليمن. وعلى فرض أن ذلك لم يحصل ونجح مرشح ديمقراطي في انتخابات الرئاسة، فإن هناك احتمالين في هذه الحالة بالنسبة للعلاقات الأميركية الإسرائيلية. الاحتمال الأول يقضي بأن تقوم الحكومة الإسرائيلية اليمينية القادمة في إسرائيل بالرضوخ الشكلي على غرار ما قام به نتنياهو بإلقاء خطاب بار إيلان في العام ٢٠٠٩ وأكد فيه موافقته على دولة فلسطينية إبان عهد الرئيس الأميركي الديمقراطي باراك أوباما، لكن بشروط تجعل الاتفاق التفاوضي عليها مستحيلاً. أما الاحتمال الثاني فهو أن يدير اليمين الإسرائيلي الظهر للحكومة الأميركية الديمقراطية ويعمل ضدها مع أعضاء الكونغرس المؤيدين لإسرائيل ومع المنظمات اليهودية الأميركية التي تساند موقف الحكومة الإسرائيلية، وذلك كما فعل نتنياهو ضد الرئيس أوباما خلال السنة الأخيرة من حكمه.

الواقع الإقليمي العربي - الإسرائيلي وآثاره على الانتخابات الأميركية

تأتي الانتخابات الأميركية للعام ٢٠٢٠، في ظل تغيرات يمكن وصفها بالدرامية على صعيد الصراع العربي الإسرائيلي، ولن يكون بمقدار أي رئيس أميركي قادم أن يتجاهلها، ويقف في مقدمة ذلك تغيران اتجها نحو ترسيم وقائع جارية على الأرض منذ زمن، أولاً محاولة ترسيم المزيد من الضم الزاحف للأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، واستكمال الضم الرسمي للقدس الشرقية إلى إسرائيل منذ العام ١٩٦٧. وثانياً: ترسيم العلاقات الأمنية والاقتصادية التي تجري منذ عقود علناً وفي الخفاء بين إسرائيل وبين دولتي الإمارات العربية المتحدة

والبحرين في آب وأيلول ٢٠٢٠، تحت تسمية «اتفاق إبراهيم".

جاءت هذه التغيرات كثمرة لسياسة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، بدءاً بنقله السفارة الأميركية إلى إسرائيل من تل أبيب إلى القدس في كانون الأول من العام ٢٠١٧، ثم عقد مؤتمر إقليمي عربي إسرائيلي في وارسو في العام ٢٠١٨ لوضع الأسس لتحالف إقليمي لمواجهة إيران، شاركت فيه دول الخليج ومصر والأردن، كما شاركت اليمن حيث جلس وزير خارجيتها إلى جانب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. ثم جاء عقد مؤتمر في البحرين في العام ٢٠١٩ حيث تم الإعلان عن الجانب الاقتصادي من «خطة السلام من أجل الازدهار» (خطة القرن)، التي دعا إليها فلسطينيون يستثمرون في المستعمرات الإسرائيلية في الضفة من خلال ما يسمى «الغرفة التجارية المشتركة ليهودا والسامرة" القائمة في مستعمرة آرئيل على أراضي محافظة سلفيت (www.jschamber.org)، وتلا ذلك عقد احتفالية إعلان صفقة القرن كاملة في البيت الأبيض في بداية العام ٢٠٢٠ بحضور سفراء الإمارات العربية المتحدة والبحرين.

خلاصة هذه التغيرات، تمثلت في تأجيل مؤقت لترسيم الضم الإضافي للأراضي التي كانت ستبلغ زهاء ٣٠٪ من أراضي المحافظات الشمالية الفلسطينية، وذلك للحيلولة دون إرباك التطبيع مع الإمارات والبحرين بحدث غير مريح يتم بشكل متزامن. إلا أن التوسع الاستيطاني الاستعماري الزاحف والمعلن قد استمر في هذه الأثناء خاصة ضمن مشروع الانتقال من «القدس الموحدة» إلى «القدس الكبرى»، الجاري تنفيذه على قدم وساق، الذي ستصل القدس الكبرى بعد استكماله إلى مشارف مدينة الخليل جنوباً، وإلى البحر الميت شرقاً، ودمج تكتل مستعمرات جبعات زئيف من الشمال بالقدس، إضافة لتشكيل تكتل استيطاني استعماري آخر من الشمال يطوق مدينتي رام الله والبيرة ويشمل مستعمرات آدم وبسغوت وكوخاف يئير وعوفره مع ربط الأخيرة بمستعمرة شيلو الواقعة في منتصف الطريق نحو مدينة نابلس (تقارير مؤسسة عير عميم ٢٠١٦- ٢٠٢٠). وفي إطار هذا المخطط سيجري إنشاء مناطق للتكنولوجيا المتقدمة، ومطارات وفنادق، ومنتجعات سياحية وفق مخطط ٥٨٠٠ الذي سينفذ حتى العام ٢٠٥٠ www.jerusalem5800.com .

لم تأت هذه الصيغة للجمع بين التطبيع مع العرب، وبين المضي في الضم الزاحف دون ترسيم جزافاً، فقد جاءت كنتاج للتوافق بين متطرفي الولايات المتحدة اليهود المنضوين في «المجلس الإسرائيلي - الأميركي" الذي أسسه الملياردير

اليهودي الداعم لترامب شيلدون أدلسون في العام ٢٠١٧(www.israeliamerican.con)، ومن هم حوله، وبين متطرفي إسرائيل من حزب الليكود وحزب "يمينا" بقيادة المستوطن نفتالي بينيت.

في هذا الإطار يجد المرء أن المجلس اليهودي الأميركي قد تشكل لدعم المنظمات الصهيونية المتطرفة كالأحزاب المشاركة في تكتل "يمينا"، وإقامة أرض إسرائيل الكاملة بين النهر والبحر، بموازاة منظمة إيباك اليهودية الأميركية (اللجنة الأميركية للشؤون العامة)، التي تمثل اللوبي الداعم لسياسات إسرائيل تقليدياً في الولايات المتحدة.

وجد إدلسون ضرورة لإيجاد منظمة أخرى موازية لإيباك لاستقطاب يهود أميركا إليها ضد إيباك ومن هم على يسارها من منظمات يهودية أميركية كمنظمة "جي ستريت" وغيرها، وذلك بعد أن باتت الأخيرة تطرح ضرورة إيجاد حل ما للقضية الفلسطينية، وهو ما يرفضه أدلسون.

في أوساط هذا «اليمين اليهودي الأميركي»، نشأت منذ العام ٢٠١٦، أطروحة أطلق عليها «أطروحة النصر التام على الفلسطينيين»، وتقضي هذه الأطروحة بفرض أشد أنواع العقوبات على الفلسطينيين بما يشمل وقف المساعدات المالية وحتى قطع إمدادات المياه والكهرباء عنهم، وذلك لإيصالهم إلى مرحلة الاستسلام التام، بحيث يتنازلون «طواعية» عن مطالبهم بالدولة المستقلة والقدس واللاجئين ووقف الاستيطان وكل المطالب الفلسطينية الأخرى، وأن يقبلوا بدل ذلك بالعيش تحت الحكم الإسرائيلي ضمن الشروط التي تسمح لهم إسرائيل بها (بايبس، ٢٠١٦- ٢٠١٧).

مع طرح فكرة ضم ٣٠ بالمائة من الأراضي الفلسطينية إلى إسرائيل في العام ٢٠٢٠، واجهت هذه الفكرة نوعين من المعارضة: الأولى من دانييل بايبس والثانية من «مجلس المستوطنات في يهودا والسامرة وغوش قطيف» (مجلس يشع)، لأسباب مختلفة ولكنها كلها تصب في إطار أطروحة الانتصار التام على الفلسطينيين. فبايبس أراد أن يستمر الضم الزاحف الجاري دون ضجيج أو ترسيم يؤلب العالم العربي والعالم ضد إسرائيل حتى يأتي وقت يصبح معه الفلسطينيون جاهزين للاستسلام (بايبس، ٢٠٢٠). أما مجلس يشع الاستيطاني فقد رفض ضم ٣٠ بالمائة من الضفة لأنه لا يريد أن يبقي مساحة ٧٠٪ لإقامة دولة فلسطينية شكلية وفاقدة للسيادة ودون القدس ودون عودة اللاجئين عليها كما جاء في بعض شروط صفقة القرن لإقامة هذه الدولة، ضمن شروط أخرى منها أن تكون منزوعة السلاح، وأن تقبل بضم ٣٠ بالمائة من

الضفة، وأن تعترف بإسرائيل كدولة يهودية، وغيرها من الشروط الواردة في الصفقة.

يتفق اليمين اليهودي الأميركي مع المستوطنين المتطرفين وأحزابهم في الكنيست الإسرائيلي على أطروحة تحقيق الانتصار التام على الفلسطينيين، لكن قسماً من الأوائل يريدون إيصال الفلسطينيين إلى مرحلة يستسلمون فيها بأنفسهم تحت الضغوط الاقتصادية والحياتية، أما الأخيرون فيريدون ترسيم الضم لكل الضفة أو أجزاء واسعة منها (كل المنطقة ج الممثلة لما يصل إلى ثلثي الضفة تقريباً)، وذلك كآلية لجعل الفلسطينيين يستسلمون. في ظل هذا الخلاف جاء التطبيع الإماراتي البحريني مع إسرائيل ليحل هذا الخلاف مؤقتاً، حيث إن مغزى هذا التطبيع يتضمن زيادة الضغوط السياسية على الفلسطينيين للعودة إلى المفاوضات وفق صيغة صفقة القرن المرفوضة منهم، ولكن المقرة من الإمارات والبحرين كما نص «اتفاق إبراهيم» (اتفاق إبراهيم، ٢٠٢٠). هذا إضافة لزيادة الضغوط الاقتصادية على الفلسطينيين باتجاهين: الأول تمثل بعدم تقديم مساعدة مالية عربية لدولة فلسطين بقيمة ١٠٠ مليون دولار شهرياً طلبتها فلسطين للتعويض عن وقف المساعدات الأميركية والوقف الإسرائيلي لدفع مـــردودات المقاصة، وذلــك بإيعاز أميركي. والثاني: التلويح بتقديم الدعم المباشر للفلسطينيين الذين قد يناوئون حكومة دولة فلسطين، حيث يجري تمويل «مجلس القدس للتطوير والتنمية الاقتصادية» من الإمارات منذ العام ٢٠١٩(www.jcdeg.org)، كما وعد السفير الأميركي في إسرائيل «الغرفة التجارية ليهودا والسامرة» بدعم مالي قبل مشاركة إدارتها في مؤتمر البحرين عام ٢٠١٩ لتنفيذ مشاريع مشتركة بين المستوطنين والفلسطينيين في الضفة (فريدمان، ٢٠١٨)، وقال وزير الاقتصاد الإماراتي عبدالله بن طوق المري في لقاء مع «مجلس الأتلانتيك»: إنه تم إدراج مشاريع اقتصادية للفلسطينيين ضمن برامج التعاون الاقتصادي المشتركة بين الإمارات وإسرائيل (Atlantic Council، أيلول، ٢٠٢٠).

يعنى ما تقدم تفضيل فكرة ممارسة الضغوط على الفلسطينيين لكي يستسلموا، على فكرة ترسيم المزيد من الضم مؤقتاً، وتشمل تلك الضغوط ضغوطاً سياسية واقتصادية، وأخرى تتعلق باستمرار الضم الزاحف المستمر. فكيف ستؤثر هذه التطورات على الانتخابات الأميركية القادمة؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، فيما يلي نظرة في برامج المرشحين لهذه الانتخابات جو بايدن المرشح الديمقراطي، ودونالد ترامب المرشح الجمهوري.

برامج المرشحين للانتخابات الأميركية وفرص نجاح كل منهما

يرد الحديث عن الشرق الأوسط في الجزء الأخــير من برنامج الحزب الديمقراطي لانتخابات ٢٠٢٠، وقد جاء البرنامج كله تحت عنوان: "معافاة روح أميركا، وإعادة قوة ديمقراطيتنا"، مما يشير من البداية إلى أن اهتمام المرشح الديمقراطي إذا ما فاز سينصب على القضايا الداخلية بوجه خاص. وقد ورد في الحديث عن الشرق الأوسط ما يلي بخصوص إسرائيل:

"يؤمن الديمقراطيون بإسرائيل قوية، آمنة، وديمقراطية ... إن التزامنا بأمن إسرائيل، وقدرتها العسكرية القوية، وحقها في الدفاع عن نفسها هو اهتمام صلد". (برنامج الحزب الديمقراطي، ٢٠٢٠، ص. ٩٢).

وبشأن حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ورد:" يعترف الديمقراطيون بقيمة كل إسرائيلي وفلسطيني، ولهذا سنعمل على المساعدة على إنهاء النزاع الذي جلب آلاماً كبيرة للكثيرين. نحن ندعم حلاً تفاوضياً قائماً على حل الدولتين والذي يضمن مستقبل إسرائيل كدولة يهودية ديمقراطية ضمن حدود معترف بها، ونؤيد حق الفلسطينيين بالعيش بحرية وأمن في دولة قابلة للحياة تخصهم" (المصدر نفسه، الصفحة نفسها). ويلاحظ هنا عدم ذكر عبارة الاحتلال الإسرائيلي، وتأييد حل تفاوضي دون أي ضغط على إسرائيل، ودعم يهودية دولة إسرائيل، وعدم إيراد أي عبارة توحي أن دولة فلسطين ستكون على حدود العام ١٩٦٧، ولا عن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين. وقد عارض جناح بايدن في مؤتمر الحزب محاولة التيار اليساري في الحزب إدخال هذه البنود إلى برنامج الحزب.

ويضيف البرنامج: "يعارض الديمقراطيون الخطوات أحادية الجانب من أي طرف، بما في ذلك الضم الذي يقوض آفاق حل الدولتين. ويستمر الديمقراطيون في الوقوف ضد التحريض والإرهاب. نحن نعارض التوسع الاستيطاني، وفيما نؤمن بأن القدس هي موضوع لمفاوضات الحل النهائي، ولكنها يجب أن تبقى عاصمة لإسرائيل ومدينة غير مقسمة متاحاً الوصول إليها لكل الأديان. سيعيد الديمقراطيون العلاقات الدبلوماسية الفلسطينية الأميركية، والدعم الحاسم للشعب الفلسطيني في الضفة وغزة، بالاتساق مع القانون الأميركي. ونحن نعارض أي جهد غير منصف للتمييز ضد إسرائيل وإخراجها عن الشرعية، بما في ذلك في الأمم المتحدة، أو عبر حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات، فيما نحمي الحقوق الدستورية لمواطنينا في حرية التعبير" (المصدر نفسه). فيما يتعلق بالخطوات الأحادية حرص البرنامج على "التوازن" وبالتالي رفض الخطوات الأحادية من الطرفين وليس من طرف واحد، فيما

انحاز إلى إسرائيل في موضوع القدس وإبقائها غير مقسمة، وجعل البرنامج إعادة الدعم للفلسطينيين مشروطاً بالقانون الأميركي الذي يتضمن منع تحويل أموال لعائلات الشهداء والأسرى، كما رفض البرنامج أي جهود وحركات تطالب بمقاطعة إسرائيل.

وفي مقالة في "لوس انجيلوس تايمز" كتبت لاكي ويلكينسون تفاصيل إضافية حول برنامج المرشح الديمقراطي جو بايدن. وتشير الكاتبة إلى أن بايدن لن يعيد السفارة الأميركية إلى إسرائيل من القدس إلى تل أبيب، ولكنه في المقابل سيعيد فتح القنصلية الأميركية للفلسطينيين في القدس، كما سيعيد فتح مكتب م ت ف في واشنطن، وسيستأنف الدعم الأميركي لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونـروا)، وسيتعاون مع اللجنة الرباعية الدولية بشأن السلام في الشرق الأوسط، وسيدعم استمرار السيادة الإسرائيلية على الجولان السوري المحتل. (ويلكنسون، ٢٠٢٠). وأضاف مجلس العلاقات الخارجية الأميركية إن بايدن يسمي نفسه صهيونياً، وإنه على علاقة وطيدة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو حتى عندما كان نائباً للرئيس الديمقراطي السابق باراك أوباما (٢٠٠٩- ٢٠١٧). (www.cfr.org ٢٠٢٠).

تقف عقبات متعددة أمام تنفيذ جو بايدن برامجه هذه فيما لو نجح في الانتخابات الأميركية، فأولاً لا يرقى برنامجه إلى الحد الأدنى من المطالب الفلسطينية المشروعة وخصوصاً بشأن قضايا القدس واللاجئين والحدود، والأهم من ذلك أن أمامه حكومة إسرائيلية يمينية ترفض الحلول التي يطرحها على الرغم من هبوطها عن سقف التوقعات الفلسطينية، عوضا عن ذلك ستقف أمامه عقبات جديدة تتمثل في موقف دولتي الإمارات والبحرين اللتين ضمنتا الموافقة على صفقة القرن في نص اتفاق إبراهيم مع إسرائيل والولايات المتحدة كما سبق ذكره. ولهذا كله يرى السياسي الأميركي المخضرم أرون ديفيد ميللر أن بايدن سيركز على الأولوية الواردة في برنامج الحزب الديمقراطي وهي «معافاة أميركا» بدلا من السعي للتصارع مع إسرائيل وبنيامين نتنياهو حول التسوية مع الفلسطينيين في وقت يبدو فيه عائد السلام منخفضاً. ويرى ميللر أنه في حالتين فقط يمكن أن يضغط بايدن لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي، ستنشأ الحالة الأولى في حال قيام بنيامين نتنياهو باتخاذ خطوة متهورة بضم الغور مثلاً إلى إسرائيل، وستنشأ الثانية عند نشوب انتفاضة فلسطينية دموية (ميللر، ٢٠٢٠). ففي هاتين الحالتين سيضطر بايدن لتغيير أولوياته والتركيز على حل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي.

ماذا في المقابل عن الحزب الجمهوري الذي أعاد انتخاب الرئيس الأميركي دونالد ترامب لخوض الانتخابات لدورة ثانية باسم الحزب، وفي هذا الإطار لم يصدر الحزب برنامجاً جديداً لانتخابات ٢٠٢٠، بل أعاد المصادقة على برنامجه السابق المقر عام ٢٠١٦(.www ballotpedia..org) فيما أعلن الرئيس ترامب في الوقت ذاته عناوين أجندته خلال فترته الرئاسية الثانية لدى قبوله ترشيح الحزب الجمهوري له يوم ٢٣ آب ٢٠٢٠.

وقد جاء برنامج الحزب الجمهوري بعنوان «أميركا أولا». وفي القسم الذي يتحدث عن الشرق الأوسط تضمن البرنامج بنداً يؤكد «الدعم الجلي الذي لا لبس فيه لإسرائيل»، ثم ورد: «دولة إسرائيل الحديثة هي دولة ولدت من تطلعات الحرية، وتقف بين دول العالم كمنارة الديمقراطية والإنسانية.. وهي دولة استثنائية تشترك مع أميركا في قيمها الإنسانية واهتماماتها الاستراتيجية المشتركة» (.www gop.com p.47)، وأشار البرنامج إلى أن دعم إسرائيل هو «تعبير عن الأميركية» مؤكداً على دعمها عسكرياً وحقها في الدفاع عن نفسها واعتبار الدعوات لمقاطعتها وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها دعوات لا سامية تستدعي سن قوانين لمعاقبة من يدعو لذلك، وتضمن البرنامج الاعتراف بالقدس عاصمةً أبديةً وغير مقسمة للدولة اليهودية، ودعا لنقل السفارة الأميركية في إسرائيل إليها (المصدر نفسه، والصفحة نفسها). ودعا البرنامج إلى سلام شامل ودائم في المنطقة يتم التفاوض عليه بين من هم في المنطقة، ويلاحظ هنا أن البرنامج قد تحاشى ذكر الفلسطينيين بالاسم، كما ورد في البرنامج نص يستنكر ما أسماه الادعاء بأن إسرائيل هي دولة احتلال (البرنامج نفسه، الصفحة نفسها).

وفي عناوين أجندته للمرحلة الثانية والتي جاءت تحت شعار «نقاتل لأجلك»، لم ترد أي كلمة بشأن النزاع الفلسطيني الإسرائيلي (الصفحة الإلكترونية للحزب الجمهوري الأميركي).

وقد وعد ترامب بأن يقوم بتقديم تفاصيل لأجندته تلك في مرحلة لاحقة. ومن المتوقع أن يستمر ترامب خلال فترته الرئاسية الثانية إن نجح في اعتماد سياسات إنكار القضية الفلسطينية والاستمرار في تنفيذ مشروع الانتصار التام على الفلسطينيين من خلال دعم إجراءات الضم الإسرائيلية وتطبيع مزيد من العلاقات بين الدول العربية والإسلامية وإسرائيل، ولكن جون بولتون مستشار ترامب السابق يرى غير ذلك ، إذ يتوقع أن يدير ترامب ظهره لإسرائيل في الفترة الرئاسية الثانية حيث سيكون متحرراً خلالها من الحاجة

إلى دعم الأفنجليكانيين المساندين لإسرائيل، ويرى بولتون أن إسرائيل هي أكثر من يجب أن يخاف من فترة رئاسية ثانية لترامب الذي قد يعود للاتفاق النووي مع إيران بعكس ما تريد إسرائيل (بهادراكومار، ٢٠٢٠). يلاحظ هنا أن بولتون يتحدث عن تغيير محتمل في سياسة ترامب بشأن إيران، أما بشأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فيشير مسار الأمور إلى أن ترامب لن يتجاوز بهذا الصدد ما ورد في برنامج الحزب الجمهوري أعلاه، ولن يتجاوز صفقة القرن التي تعززت من خلال تضمينها الاتفاقات مع الإمارات والبحرين. لذا قد لا يكون هناك جديد في الأفق بشأن الإطار العام لحل القضية الفلسطينية عند ترامب، وأن مشروع الانتصار التام على الفلسطينيين سيستمر في المضي قدماً من خلال المزيد من التطبيع العربي والإسلامي مع إسرائيل، وفي هذا الإطار هناك بعض الجزئيات التي يمكن أن يحدث عليها تغيير مثل: إلى أي مدى زمني يمكن أن يمنع ترامب إسرائيل من ترسيم ضم ٣٠ بالمائة من الضفة أو أكثر أو أقل حسبما يقره الفريق الأميركي الإسرائيلي الذي يعمل على الخرائط بهذا الخصوص، فيما يستمر الضم الزاحف بالطبع دون قيود؟ إلى أي مدى يمكن أن يمضي في إثارة وهم تحسين الأوضاع المعيشية في غزة من خلال التفاوض مع حركة حماس عبر قطر ومصر أو من خلال التفاوض المباشر مع حماس كما صرح إسماعيل هنية رئيس حركة حماس لمحطة الجزيرة بأن الحركة تلقت عرضاً أميركياً من جاريد كوشنير شخصياً للتفاوض المباشر دون شروط (وكالة تسنيم، هنية، ٢٠٢٠).

في هذا الإطـار يرى بعض المراقبين أن أميركا قد تدفع باتجاه إنشاء كيان مستقل في غزة يمكن أن يسمى دولة فلسطينية إن شاء الفلسطينيون تسميته بذلك، ولكن هذا المشروع غير قابل للتحقيق حتى الآن كونه مشروطاً أميركياً وإسرائيلياً بتجريد غزة من السلاح وإخضاع حدودها البرية والبحرية للسيطرة الإسرائيلية الكاملة، عبر رصيف في ميناء لارنكا القبرصي تشرف عليه إسرائيل لتفتيش البضائع الذاهبة لقطاع غزة أو الواردة منه، أو إنشاء جزيرة اصطناعية قرب شواطئ غزة تتضمن ميناء ومطارا تشرف عليهما إسرائيل كما اقترح الوزير الإسرائيلي يسرائيل كاتس (كاتس، ٢٠١٧).

يبدو من استطلاعات الرأي في الولايات المتحدة أن بايدن يحافظ على تقدم على ترامب فيما تتراجع بشكل متدرج فرص الأخير في الفوز. ففي حزيران ٢٠٢٠ أعطت الاستطلاعات ٤٩.٢ بالمائة لبايدن، مقابل ٤٢.٩ بالمائة لترامب. ويوم ٩ أيلول ٢٠٢٠ ظهر أن النسبة لصالح بايدن قد ارتفعت إلى ٥٠.٧ بالمائة فيما استقرت النسبة

لترامب عند النسبة السابقة وهي ٤٢.٩ بالمائة (جالستون، ٢٠٢٠). وهذه النسب لا تزال قابلة للتغيير لأسباب عدة، فـ ٣ بالمائة من الأميركيين أشاروا إلى أنهم لم يتوصلوا إلى قرار بشأن أي من المرشحين حتى ٩ أيلول، كما أن ١١ بالمائة قالوا إنهم قد يغيرون آراءهم عوضاً عن ذلك فإن ٧٣ بالمائة من مؤيدي ترامب يؤيدونه بسبب أدائه الجيد برأيهم، فيما يؤيد ٣٢ بالمائة من بايدن فقط بسبب أدائه، فيما يسانده ٤٩ بالمائة ممن صوتوا له في الاستطلاعات بسبب عدم رضاهم عن أداء ترامب وليس لأنهم يحبون بايدن، وهذه النسبة الأخيرة قابلة إذن للتغير إذا ما حصل تغير في أداء ترامب خلال الأسابيع المتبقية للانتخابات مثل اكتشاف لقاح لفيروس كورونا كما يعد ترامب، وفي هذا المجال يرى ٦٥ بالمائة من المستطلعين في أيلول أنه يكفي أن يعلن الرئيس عن أن اللقاح قد أصبح جاهزاً لتصديق أن ذلك أمر صحيح (المصدر نفسه). هذا وقد فشل ترامب عند المستطلعين في أمرين: الأول في إدارة وباء كوفيد ١٩، وكذلك في ردة فعله الحادة تجاه السود بعد مقتل جورج فلويد على يدي شرطي أبيض في مدينة ميانابوليس في مينسوتا يوم ٢٥ أيار ٢٠٢٠، حيث دعم ترامب الشرطة ضد المتظاهرين، وهو ما أدى إلى وقوف ٥٦ من المستطلعين مع بايدن في هذا الموضوع دعماً لحقوق السود المتساوية، بينما بلغت نسبة التأييد لسياسات ترامب تجاه قمع مظاهرات السود ٤٤ بالمائة فقط.

علاوة على التغير المحتمل في الاستطلاعات إذا ما نجح ترامب في إعلان إنتاج لقاح ضد كوفيد ١٩، هنالك أيضاً عامل آخر قد يتدخل لصالح ترامب وهو الكلية الانتخابية الممثلة لمجموع ممثلي الولايات الأميركية، وهي التي كانت قد أعطت الرئاسة لترامب في فترته الأولى على الرغم من تفوق هيلاري كلينتون المرشحة الديمقراطية بثلاثة ملايين صوت عليه ، وهو أمر قد يحدث مجدداً نظراً لهذا الخلل في النظام الأميركي الذي يمنح ولايات معينة عدداً من المقاعد في الكلية الانتخابية أكبر من نسبة عدد سكانها لمجمل سكان الولايات المتحدة الأميركية.

خاتمة: الانتخابات الأميركية وفلسطين

تجري الانتخابات الرئاسية الأميركية في العام ٢٠٢٠ أولاً، على وقع تغيرات داخلية أميركية حيث يتسع الاستقطاب الإثني والطبقي، متخذاً شكل مواجهات عنيفة في الشوارع، واصطفافات متناقضة من طرفي الطبقة السياسية الكبيرين مع هذا الطرف أو ذك. كما يزداد سلوك طريق العنف من جماعات التفوق الأبيض، وما يترتب عليها من عنف مضاد من جانب جماعات من السود. وتتسع دائرة عنف جماعات التفوق الأبيض لتشمل اليهود مما يهيئ الأرضية لهجرة متزايدة ليهود

الولايات المتحدة إلى إسرائيل انطلاقاً من عقيدة الأنجليكانيين المعروفة حول تجميع اليهود في فلسطين تمهيداً لحرب هرمجدون التي يذبح فيها كل اليهود الذين رفضوا اعتناق المسيحية، وينزل بعدها المسيح من السماء ليحل على العالم ألف عام من السلام.

كما تأتي هذه الانتخابات ثانياً على خلفية حسم اليمين الإسرائيلي الساحة الداخلية الإسرائيلية لصالحه، وانتهاء بما يطلق عليه اسم اليسار الصهيوني التقليدي السابق، وفي هذا الإطار أيضا قد يواجه أي رئيس أميركي قادم بانتخابات مبكرة في إسرائيل تنشأ عنها حكومة يمين أيديولوجي يسعى لترسيم ضم الضفة أو أجزاء واسعة منها إلى إسرائيل.

وتأتي الانتخابات الأميركية ثالثاً على وقع اعترافات عربية متزايدة بإسرائيل، ومن خلال تضمين صفقة القرن في هذه الاتفاقيات فإنها تشمل اعترافاً بالسيادة الإسرائيلية على القدس وبأن أي كيان فلسطيني سيتم إنشاؤه سيكون تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية على كل البلاد من النهر إلى البحر. وستصعب هذه التطورات التوصل إلى حل سياسي يقوم على إنشاء دولة فلسطينية مستقلة على حدود عام ١٩٦٧، ولن يدعم العرب هذا الخيار فعلياً بسبب تشابك مصالحهم مع إسرائيل، وتوهمهم أن إسرائيل ستساعدهم في مواجهة ما يسمونه التمدد الإيراني والتركي في المنطقة العربية، وكذلك خطر التطرف الإسلامي.

يترتب على هذه الأوضاع الداخلية الأميركية والداخلية الإسرائيلية والإقليمية العربية تفضيل أي رئيس ديمقراطي أن يركز على معافاة أميركا داخليا كما ورد في برنامج الحزب الديمقراطي، وألا يسعى إلى حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلا إذا اضطرته أطراف الصراع للتدخل، الذي لن يكون حميداً إذ سيصطدم أي تدخل ديمقراطي أميركي بمعارضة من اليمين الإسرائيلي لأطروحاته للحل، كما لن ترقى الأطروحات الديمقراطية الأميركية إلى الحد الأدنى المطلوب فلسطينيا للحل.

في المقابل، إذا ما نجح الرئيس ترامب لدورة ثانية، فـمن المتوقع أن يتعامل مع الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على قاعدة استمرار حسمه لصالح إسرائيل متوافقاً بذلك مع الفريق الصهيوني - الافنجليكاني المحيط به داخل البيت الأبيض بما يشمل نائب الرئيس مايك بنس ووزير الخارجية مايك بومبيو. ومن المتوقع في هذه الحالة أيضاً استعمال أميركا الأنظمة العربية للضغط على القيادة الفلسطينية للانخراط في المفاوضات مع إسرائيل على أساس صفقة القرن، وتهديد دولة فلسطين بتشكيل قيادة بديلة عنها للمشاركة في المفاوضات في حال رفضت القيام بذلك.

وســواء نجح ترامب أو بايدن فستزيد نسبة هجرة اليهود الأميركيين إلى إسرائيل، وسيتوجهون كما تشير الأبحاث السابقة أعلاه بشكل خاص إلى المستوطنات في الضفة الغربية والقدس مما سيكثف تعزيز الاستيطان فيهما بوصفه مشروعا أميركياً - إسرائيلياً مشتركا وليس مشروعاً إسرائيلياً فحسب.

يستطيع العامل الفلسطيني الفعل تجاه هذه التطورات داخل أميركا وفق خطة ممنهجة تهدف للتأثير على الانتخابات الأميركية لعام ٢٠٢٤، بدءاً بمعالجة الانقسامات بين مؤسسات الجالية الفلسطينية في أميركا، وعملها مع مؤسسات الجاليات العربية والإسلامية والدولية المساندة لفلسطين، وكذلك مع المؤسسات والحركات الأميركية الداعمة ومراكز الضغط والبحث لممارسة تأثير ممنهج يجري وفق خطة تبني الخطوات فوق بعضها البعض بشكل متراكم، وذلك على أعضاء الحزبين الكبيرين وممثليهما في الكونغرس والإدارة، وبالعمل مع يسار الحزب الديمقراطي وتحالف الأقليات والسود واللاتين، كما يمكن أن تكون لمنظمة التحرير الفلسطينية سياستها المفصلة للتأثير في الساحة الأميركي بناء على ما تقدم.

المراجع العربية

- سالم، وليد (آذار، ٢٠٢٠). « فلسطين وأميركا وإمكانية التغيير"، مجلة سياسات، عدد ٤٨.

- صيام، عبد الحميد (١٣/٨/ ٢٠٢٠)." الانتخابات الأميركية ٢٠٢٠: سيطرة الإيباك تتهاوى". جريدة القدس العربي

- مجلس القدس للتطوير والتنمية الاقتصادية.

www.jcedg.org

- موقع عرب ٤٨(٢١/ ١٢/ ٢٠١٩). « بالعقد الأخير: استقدام ٢٢٥ ألف مهاجر يهودي إلى البلاد».

- " هنية، إسماعيل يكشف عن عرض أميركي من كوشنير للتفاوض مع حماس (١٤ أيلول ٢٠٢٠). www.tasnimnews.com

English Resouces

- Bhadrakumar, MK(27th of July , 2020). “ Trump could flip- flop on Israel in a second term”. Asia Times.
- Council on Foreign Relations “ Elections of 2020”. www.cfr.org

- For Yesha Council position against annexing 30 percent of West Bank only , see: “ Settlers Chiefs Say PM Betrayed them , is adopting the rhetoric of the extreme left”(16/8 / 2020. www.timesofisrael.com
- For David Friedman support to the Judea and Samaria Chamber of Commerce see for instance :” US Envoy looks to boost Israeli Palestinian Bussines” (17 th of October, 2018) . www.timesofisrael.com
- Galston, William (10th of September, 2020). “ Elections 2020: Where are we?”. www.brookings.edu
- Hirschhorn , Sara Yael. City on the Hilltop: Jewish American Settlers in the Occupied Territories Since 1967. Harvard University Press. 2017
- Judea and Samaria Chamber of Commerce. www.jschamber.org
- Katz, Israel.(13th of March 2020). “ Israel’s Three- layered Regional Concept”. The Jerusalem Post Newspaper. P.13.

- Kleinfeld, Rachel. “Should America by Worried about Political Violence and What Can be Done to Prevent it?” (Experts Conference Proceedings). Carnegie Endowment for International Peace. 16/9/2019.
- Jewish Anti- Defamation League. “Murder and Extremism in the United States in 2018”. www.adl.org
- Jewish Electorate Institute: “Poll: Domestic Issues Dominate the Priorities of the Jewish Electorate” www.jewisheelectorateinstitute.org 22/5/ 2019.

- “ Jerusalem 5800 plan”. www.jerusalem5800.com
- J Street Movement Website: “The Speeches of the Democratic Party Candidates to use Aid to pressure Israel”. Http://Jstreet.org
- Ir - Amim Reports about Jerusalem. www.ir-amim.org.il
- Miller, Aaron David(20th of July, 2020). “ Netanyahu has almost nothing to fear from President Biden”. www.haaretz.com
- PEW Research Center. PEW Landscape Study. PEW Forum on Religion. www.pewforum.org 2019.
- PIJ (Palestine Israel Journal) “Facts on the Ground Since the Oslo Agreement September 1993” www.p.j.org, 2000.
- “ Pipes, Daniel rticles about the Victory of Israel”, www.meforum.org
- Pipes , Daniel (7/5/ 2020). “ Annexing of West Bank would hurt Israel”. www.nytimes.com
- The Atlantic Council (16th of September 2020). “ UAE-Israel Accord will drive economic growth in the ME, Says Emirati Minister of Economy”. www.atlanticcouncil.org
- The Fund for Peace. Fragile States Index 2018. www.fundforpeace.org

- The Intercept. “Trump Accuses Most American Jews of ‘Disloyalty to Israel”. www.theintercept.com 21/8/2019.
- The Israeli American Council (IAC). www.israeliamerican.org
- The Republican Party website : www.gop.com
- The Democratic Party website : www.democrsts.org
- The White House” Peace for Prosperity Plan” www.whitehouse.gov , 2020.
- The White House (September 2020). Abraham Accords Peace Agreements. www.whitehouse.gov
- Times of Israel. “Trump said Israel Should Pay for the Palestinian Security Assistance Instead of US”. www.timesofisrael.com , 6/11/2019.
- www.pallotpedia.com (The Encyclopedia of American Politics)
- Wilkinson, Lacey(1st of September, 2020). “ Biden Wont’s return US Embassy to Tel Aviv, but can undo other Trump moves in the Mideast”. Los Angeles Times: latimes.com

ماهر الشريف..
حول «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة» ما قبل النكبة

يوسف الشايب

اسم الكتاب: المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة (١٩٠٨-١٩٤٨)
اسم المؤلف: ماهر الشريف
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
سنة النشر: ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ٣٢٦

في كتابه «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة»، يسلط ماهر الشريف الضوء، على ذلك الدور الطليعي للمثقف الفلسطيني في الفترة الواقعة بين (١٩٠٨ – ١٩٤٨)، أي ما قبل النكبة، على أكثر من صعيد، منها دوره المجتمعي، والأطر الثقافية والاجتماعية والسياسية التي انضوى في إطارها، وفضحه الوجه «البشع» للغرب و«زيف» مدنه، بالتزامن مع الدعوة إلى التمثل بنهضة الشرق، علاوة على رسالة الصحافة لديه وسعيه عبرها إلى تكوين رأي عام والدعوة إلى «ثورة فكرية» بالتوازي مع العمل على الارتقاء بمستوى الصحافة الفلسطينية.

ليس ذلك فحسب، فقد تطرق الشريف في الكتاب الصادر، حديثاً، عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية، إلى دور المثقف الفلسطيني في التصدي للصهيونية والتحذير من مخاطر مشروعها، ودوره الطليعيّ أيضاً في مواجهة الاستعمار البريطاني، وخاصة عبر فضح السياسات الاستعمارية البريطانية وانحيازها إلى الصهيونية، وهو ما عززه بالحديث عن الدور الوطني للمثقف، ووعيه بدوره في تنمية الشعور الوطني الجمعي، وكذلك في نبذ التفرقة الدينية، وفضح دور الاستعمار الأجنبي في زرع الطائفية، وبذر بذور الفتنة.

لم يغفل الشريف في هذا الكتاب تلك الدعوة المبكرة التي قادها مثقفون فلسطينيون إلى الوحدة العربية، خاصة بعد اندلاع الثورة العربية الكبرى، أو في وقت لاحق عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية وغداتها.

وأبــرز صاحب الكتاب تصوّر المثقف الفلسطيني لنظام التربية والتعليم الحديثين في ذلك الوقت، وليس انتهاء بالحديث عن الدور الريادي لهذا المثقف في تنظيم الشعب وتعبئة طاقاته وموارده، من خلال وسائل عدة، بينها: دعوة الشباب والطلاب إلى التنظيم، وتعبئة طاقات النساء وتعزيز أدوارهــن، وتعبئة الطاقات الاقتصادية على قاعدة العمل المنتج والاكتفاء الذاتي، والحفاظ على الأرض، وإضفاء طابع منظم على نشاطات الحركة الوطنية وقياداتها.

ويزكّي الكتاب الافتراض الذي انطلق منه مؤلفه ماهر الشريف، فكرة أن «فلسطين عرفت مشروعاً فكرياً حداثياً، حمله مثقفون فلسطينيون، تأثروا بأفكار روّاد النهضة العربية، واحتكوا بالثقافات الأوروبية الحديثة، إما عن طريق مدارس الإرساليات الأجنبية في فلسطين، وإما عن طريق الإقامة والدراسة في

الجامعات الأوروبية، وإمّا عن طريق الترجمة، ووضعوا لأنفسهم هدفاً رئيساً هو نقل مجتمعهم من التقليد إلى الحداثة، كي يتمكّن من كسب صراع البقاء الذي فُرض عليه».

في هذا المجال، وانطلاقاً مما سبق، تمحورت فصول الكتاب حول ملامح هذا المشروع الحداثي، ورهانات الحداثة التي واجهها المثقفون الفلسطينيون الذين راحوا يظهرون على مسرح الأحداث في فلسطين، منذ المرحلة المتأخرة من العهد العثماني وخلال عهد الانتداب البريطاني، وذلك بعد انفصال حقل العلم عن حقل الدين، وبروز التعليم الحديث، وتوفّر فرصة الاحتكاك بالأفكار الأوروبية الحديثة، وظهور الطباعة وانتشار الصحافة.

هذا المشروع الحداثي، كما خلص الشريف، حمله وروّجــه مثقفون حديثون، ارتبط ظهورهم على مسرح الأحداث في بلاد الشام، وضمنها فلسطين، بجملة من التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها السلطنة العثمانية في القرن التاسع عشر، جرّاء تنامي العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بينها وبين أوروبا، والحملة المصرية على بلاد الشام، وسياسة «التنظيمات» العثمانية الإصلاحية، فيما كان التعليم الحديث الذي انفصل حقله عن حقل التعليم الديني، من أهم قنوات انتقال الأفكار الحديثة إلى فلسطين، ومن أبرز العوامل التي مهدت لظهور هؤلاء المثقفين الحديثين.

كما ساهمت المكتبات، والمطابع، والترجمة في نقل الآداب الأجنبية والأفكار الحديثة إلى المجتمع الفلسطيني.

وانطلق المثقف الفلسطيني الحديث لدى قيامه بتصوّر دوره في المجتمع من التمييز بين «المثقف» و«المتعلم»، وبين «المثقف الملتزم» و«حامل الشهادة الجامعية»، معتبراً أن الثقافة لا تقتصر على معنى العلم والتعليم، بل تتناول أيضاً معنى صقل النفس، وتدريب العقل، وأن البحث في الثقافة يتناول جميع نواحي المعرفة الإنسانية علماً وعملاً.

وبعد أن صار المثقف الفلسطيني قادراً على المقارنة بين التأخر والتقدم على الصعيد الاجتماعي، نتيجة احتكاكه بـ«الآخر» وتملكه الأفكار الحديثة، طرح على عاتقه مهمة التعريف بالحداثة والتنوير بوسائل بلوغها، عبر الدعوة إلى اقتباس الوسائل التي ساعدت «الآخر» على التقدم، وذلك على قاعدة الاقتباس المشروط لا التقليد الأعمى. وكان لابد له، قبل أن يدعو إلى اقتباس الوسائل التي ضمنت للغرب تقدمه، من أن يشرعن عملية الاقتباس هذه، فلجأ إلى مفهوم «دوران الحضارة» وكان تبنّاه رواد النهضة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويقوم على فكرة أن الحضارة الإنسانية، تنتقل، خلال تطورها، من موقع إلى آخر، على سطح المعمورة.

أما الوسائل التي سمحت للغرب بالتقدم،

التي اقتبستها شعوب وأمم أخرى غير غربية وأغنتها، فقد حددها الشريف في العلم والجو العلمي، وفي العقلانية، ورفض كل ما تدحضه التجربة أو يثبت بطلانه العقل، وفي حرية التفكير والتعبير واستقلال الشخصية، وفي الوطنية، وفي تحرر المرأة، وتحديث اللغة، وفي اعتبار أن الدين لله والعلم للجميع، بحيث لم يجد المثقف الفلسطيني تناقضاً بين انشداده إلى الجوانب الإيجابية في «مدينة الغرب» وبين قيامه بفضح «الوجه البشع» للغرب، المتمثل في الظاهرة الاستعمارية، وتنافس الدول الأوروبية في السيطرة على دول الشرق، وإنما تابع بإعجاب نضال أمم الشرق ضد الاستعمار الغربي، ونجاح بعضها، وخصوصاً في اليابان والصين وتركيا، وفي تحقيق نهضته، معرباً عن ثقته بقدرة جميع أمم الشرق على تحطيم «عـروش استعبادها في الداخل، وعروش استعمارها في الخارج».

يظهر كتاب «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة» بروز الصحافة بصفتها وسيلة هذا المثقف الرئيسة للتعبير عن أفكاره الحديثة وترويجها بين صفوف جمهور القراء، كما كانت أداة تكوين رأي عام متفاعل مع الأحداث، «عبر تحريض القراء على الوقوف في وجه الأخطار التي كانت تتعرض لها فلسطين.

وعبّر هذا المثقف عن قناعته بأنه يتوجّب على الشبيبة الفلسطينية المتعلمة أن تطّلع بدور بارز في تكوين الرأي العام، عبر القيام بـ«ثورة فكرية» تتصدى للفئة الاجتماعية التي «كانت في الزمن الماضي، ولا تزال في هذا الزمن، هي الحائلة دون نهوض الأمّة وتقدمها».

في محطة أخـرى من محطات الكتاب موسوعي الطرح، يظهر أن المثقف الفلسطيني اكتشف ماهية الصهيونية وأهدافها منذ أواخر العقد الأول من القرن العشرين، وحذر القائمين على الدولة العثمانية من مخاطر فتح أبواب فلسطين أمام الصهاينة والسماح لهم بشراء الأراضي فيها، ملاحظاً أن الصهيونية أخذت تهدد البلاد بخطرين، أحدهما سياسي والآخر اقتصادي.

كما أن المثقف الفلسطيني وقف، عقب فرض نظام الانتداب البريطاني، ضد المساعي التي رمت إلى تحقيق «الوفاق» بين الفلسطينيين واليهود، على قاعدة أن يتساهل الفلسطينيون مع المطالب التي تطرحها الصهيونية. ورفض، منذ مطلع عشرينيات القرن الماضي، أن ينوب أي من العرب عن أهالي فلسطين وأن يقرر مصيرهم في مكانهم، ما يعني إدراكاً مبكراً لأهمية استقلال القرار الفلسطيني.

سعى المثقف الفلسطيني، في هذا الإطار، لدحض المقولات التي روجتها الحركة الصهيونية، ومنها مقولة أن الخلاف في فلسطين خلاف «ديني»، وخصوصاً بين المسلمين واليهود، أو أن الصهيونية حركة «ديمقراطية»

تسعى لإشاعة الديمقراطية في فلسطين وتعميمها، وتريد نشر الرخاء والازدهـار الاقتصاديين فيها، وأنها حركة «اشتراكية التوجه»، كما ميّز منذ وقت مبكر، وانطلاقاً من النزعة الإنسانية التي تميّز واتسم بها، ما بين اليهود والصهيونية، مشدداً على أن مقاومته لا تستهدف سوى الصهاينة ومشروعهم وليس اليهود، وعبّر المثقف الفلسطيني عن تعاطفه مع المآسي التي تعرض لها اليهود في أوروبا، وخصوصاً بعد وصول هتلر في العام ١٩٣٣ إلى سدّة الحكم في ألمانيا، لكنه رأى أن يكون حل المسألة اليهودية خارج فلسطين، داعياً الحركة الوطنية الفلسطينية إلى تحديد موقفها من مستقبل الأقلية اليهودية في فلسطين، على قاعدة فصل يهود فلسطين عن الصهيونية، وأن تضمن لهم، في إطار دولة الاستقلال، حقوقهم الكاملة.

بقي المثقف الفلسطيني - الذي أدرك، منذ ثلاثينيات القرن الماضي، أن أصل مشكلة فلسطين الحقيقية هي بريطانيا التي احتلت فلسطين ودعمت المشروع الصهيوني بقوة جيوشها، طوال عهد الانتداب البريطاني - يدعو إلى تعزيز الوحدة الوطنية بين صفوف الشعب الفلسطيني وقيادته، ويحذر من مخاطر الانقسام والتفرقة، وأخذ على الزعامات الفلسطينية كونها لم تقاوم الاستعمار البريطاني مقاومة متواصلة.

وخلال الحرب العالمية الثانية، وفي أعقابها، راح يبرز خطاب وطني جديد، كان يساري النزعة وحداثي المضامين، وفق الشريف، بحيث ربط النضال من أجل الاستقلال والحرية بالنضال في سبيل بناء مجتمع صالح تسوده العدالة الاجتماعية والديمقراطية الاقتصادية، ودعا أصحابه إلى توسيع القاعدة الاجتماعية للحركة الوطنية، وإلى ضمان استقلالية هذه الحركة وقرارها.

وعند تناول الكتاب لمحور تناول المثقف الفلسطيني بتحليل الظاهرة الدينية وأثرها في المجتمع، وجد أنه سعى لإبراز المعاني الروحية السامية في الدين، وتصدى بحزم لجميع محاولات توظيف الدين واستغلاله لخدمة مآرب سياسية، كما حارب ظواهر التعصب والتفرقة الدينية والطائفية، وحمّل الاستعمار الأجنبي المسؤولية عن انتشار هذه الظواهر. ومع أنه لم يلجأ، بصورة عامة، إلى مصطلح «العلمانية»، إلا أنه استوعب مضامينه، وأدرك، منذ عشرينيات القرن الماضي، أن مزج الدين بالأمور الوطنية والشخصية مضر جداً، ودعا مواطنيه إلى العمل للقومية العربية قبل كل شيء، من منطلق أن من وحد كلمة المسلمين والمسيحيين فيها، في النضال ضد الاستعمار، ليس الدين بل القومية.

وفي محور آخر، رأى الكتاب أن المثقف الفلسطيني ما قبل النكبة، أدرك أهمية

التربية والتعليم كوسيلتين لتمكين مجتمعه من الانتقال إلى النمط الحضاري الحديث، وتسليحه بالقدرة على مواجهة الصهيونية، مقدّراً أنه لا يمكن منازعتها إلا بقوة العلم، داعياً أمته إلى التسلح بالعلم، كي «يستقيم أمرها، وتتوطد دعائمها، وتأمن على نفسها من الاضمحلال أمام تيار العالم الجارف»، ولذلك اهتم بإقامة المدارس الحديثة، واعتماد أساليب ومناهج التعليم الحديث، وتزويدها بالمعلمين الأكفاء، وزيادة أعداد هذه المدارس في الأرياف، وتأسيس المدارس الصناعية، كما أعار اهتماماً كبيراً بتعليم النساء، وتنمية الروح الاستقلالية في الطلاب، وزيادة وعيهم بأهمية الحفاظ على النظافة في مدارسهم، وبيوتهم، وبلداتهم وقراهم، وحثهم على مزاولة المطالعة والمبادرة إلى تعميم المعرفة في محيطهم الاجتماعي، معتبراً أن التربية الوطنية هي التي تؤهل الطالب لأن يكون وطنياً نافعاً في مجتمعه.

ومنذ مطلع عشرينيات القرن الماضي، كما كشف الشريف، فإن المثقف الفلسطيني أدرك أهمية قيام جامعة علمية كبرى في فلسطين، علاوة على مكتبات حديثة، وانتقد تقصير دائرة المعارف البريطانية التي تسلمت دفة التعليم الحكومي العربي في فلسطين، وقارن بين ما تبذله من جهود وتنفقه من أموال على المدارس العربية، وبين ما تبذله المنظمة الصهيونية من جهود وما تنفقه من أموال على مدارسها اليهودية، مناشداً شعبه ألا يعتمد كليّاً على ما تقوم به هذه الدائرة، وأن يولي التعليم اهتماماً لا يقل عن الاهتمام الذي يوليه لشؤون حياته الأخرى.

ومن استخلاصات الكتاب أن هذا المشروع الحداثي الذي حمله المثقف الفلسطيني وروّج له، اصطدم ببنية مجتمع حافظ، على الرغم من بعض مظاهر التحديث الشكلانية التي عرفها، على طابعه التقليدي، كما اصطدم بطبيعة قيادة وقفت على رأس هذا المجتمع وساهمت في إبقائه أسيراً لهذا الطابع التقليدي، فبريطانيا التي احتلت فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى، رمت إلى ضمان مصالحها الاستعمارية من جهة، وإلى إيجاد الشروط المادية لنجاح مشروع الوطن القومي اليهودي من جهة ثانية، ولذلك فهي لم تسع لإنعاش بذور الحداثة التي زُرعت في التربية الفلسطينية منذ الفترة المتأخرة من العهد العثماني، بل لجأت إلى نشر تحديث جزئي، بحيث اقتصر تعميمه على القطاعات الإنتاجية المحدّدة بحاجات الدولة الاستعمارية والمرتبطة بمصالحها.

وشكل النظام الاستعماري البريطاني تقهقراً، من منظور حداثي، عن الأوضاع التي سادت في الفترة العثمانية المتأخرة، وفق الشريف، ضارباً بذلك أمثلة عدة، بينها إلغاؤه الممارسات الديمقراطية التي نشأت في تلك الفترة، وإعادته بعث صيغ تقسيم السكان

إلى طوائف، وتأطيرهم على أساس التمثيل الطائفي، واعتماد سياسة التعيين كبديل للانتخابات، وتبني الانتماء الديني للسكان كمؤشر على الهوية. ففي حقبة الانتداب البريطاني برزت صراعات عكست نجاح تلك السياسات الكولونيالية، كالصراع ما بين الملّاك العقاريين وكبار التجار من جهة العائلات المتنفذة وأشراف المدن من جهة ثانية، حسم باندماج ممثلي هاتين الفئتين في فئة اجتماعية واحدة تبلورت على قاعدتها قيادة سياسية وقفت على رأس الحركة الوطنية، وظلت طوال حقبة الانتداب قيادة «متوارثة» على عكس القيادة الصهيونية «المكتسبة".

وتوزعت محاور الكتاب على فصول عدة، عالج أولها تكوين المثقف الفلسطيني لجهة التعليم الحديث والنهضة الفكرية، وحقول علمه، والسمات التي اتصف بها، وتصوّره لدوره في المجتمع، بينما توقّف في الفصل الثاني عند مفهوم الحداثة كما استوعبه المثقف الفلسطيني، علاوة على رصده أسباب تأخر مجتمعه وسبل تقدم الغرب، فيما تناول الفصل الثالث الصحافة، بصفتها وسيلة التعبير الأساسية له، ورسالتها كما فهمها المثقف الفلسطيني، وتضييق سلطات الانتداب البريطاني عليه وعليها.

وفي الفصل الرابع من كتاب «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة»، توقف الشريف عند أشكال تصدي المثقف الفلسطيني للصهيونية، بعد أن أدرك ماهيتها وأهدافها، وتحذيره مواطنيه وأشقاءه العرب من مخاطر مشروعها في حال نجاحه، فيما تطرق الفصل الخامس إلى وعي هذا المثقف من البواعث التي دفعت بريطانيا إلى إصدار «وعد بلفور» ورهانه، في فترة مبكرة، على تراجعها عن هذا التصريح، ثم خيبة أمله من موقف الحكومة البريطانية، التي سعة في وقت لاحق إلى فضح سياسات سلطاتها الانتدابية وممارساتها المنحازة في فلسطين، لينتهي بعرض مواقف التيارات الثلاثة التي برزت بين المثقفين الفلسطينيين، عشية الحرب العالمية الثانية، من التحالف مع بريطانيا من جهة، أو مع القوى التي واجهتها في تلك الحرب من جهة أخرى.

والتيار الأول من بين هذه التيارات كان «المراهنون على احتمال قيام بريطانيا بتغيير سياساتها»، ومن بينهم: يوسف حنا رئيس تحرير صحيفة فلسطين، والشيخ سليمان التاجي الفاروقي، أما التيار الثاني فهم «الملوّحون باحتمال التفاهم مع قوى دولية منافسة أو معادية لبريطانيا»، وأبرزهم: محمد عزة دروزة، وأكرم زعيتر، وإلى حد كبير نسبياً خليل السكاكيني، فيما تشكل التيار الثالث من «الداعين إلى مواجهة الفاشية والنازية ورفع لواء الديمقراطية»، ومن بينهم: إلياس فريج، وبولس فرح، في حين

وجهت سكرتاريا عصبة التحرير الوطني، وضمت إميل توما وفؤاد نصار وغيرهما من المثقفين، عشية تحقيق النصر العالمي على الفاشية والنازية، مذكرة إلى رئيس الحكومة البريطانية، تطالبه فيها بمنح حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني حتى الوصول إلى تحرره الوطني واستقلال بلاده من كل نفوذ أجنبي استعماري، بحيث رأت في إشاعة الديمقراطية في السياسة والاقتصاد الشرط الذي لابد منه لضمان ممارسة الشعب الفلسطيني حقه في تقرير المصير.

ويسلط الفصل السادس على المعاني التي حملها المثقف الفلسطيني لمفاهيم الوطن والوطنية والوحدة الوطنية، في حين يتوقف الفصل السابع عند مقاربة هذا المثقف تجاه الظاهرة الدينية، ومحاولات تصديه لتوظيف الدين في زرع بذور الشقاق والفرقة بين أبناء الوطن الواحد، وفضح دور الاستعمار في ذلك، وتشديده على العلمانية، ولو ضمنياً، بصفتها أساس الوحدة الوطنية.

ويُظهر الفصل الثامن كيف أن العروبة كانت من أبرز مكوّنات هويّة المثقف الفلسطيني الذي ناضل من أجل التضامن والاتحاد العربيّين، وحتى تحذيره من مخاطر التجزئة، ليتجه في الفصل التاسع للحديث عن دور المثقف في التربية والتعليم بفلسطين، بينما ركز الفصل العاشر على مفهوم «الوطنية العملية» الداعية إلى تنظيم الشعب وتعبئة طاقاته وموارده البشرية والاقتصادية، والتركيز على العمل المنتج والاكتفاء الذاتي، والحفاظ على الأرض، وتعظيم شأن القرى، وفضح بائعي أراضيهم للمؤسسات الصهيونية، والتأكيد على أهمية إضفاء طابع منظم على نشاط الحركة الوطنية.

جدير بالذكر أن الشريف ختم كتابه «المثقف الفلسطيني ورهانات الحداثة»، بتساؤل مفاده: لقد ركّز المثقف الفلسطيني على العوامل الموضوعية، الاجتماعية والسياسية التي اصطدم بها المشروع الحداثي الذي حمله، لكن ألم يكن هناك عامل ذاتي اعترض هو أيضاً هذا المشروع الحداثي، وتمثّل في «المعارك» والمهاترات وحملات التشهير التي دارت بين المثقفين الفلسطينيين، وعكستها الصحف في فلسطين ما قبل النكبة، والتي لم يكن لها، في الغالب، أي أساس موضوعي، وإنما كان باعثها تأثر بعض هؤلاء المثقفين بالتفرقة الدينية في المجتمع، وتباين مواقفهم من سياسات الحركة الوطنية الفلسطينية، والتنافس الذي كان يدور بين أصحاب الصحف ومحرريها على كسب جمهور القراء؟!

أبو علاء منصور..
محطات على طريق المقاومة في "رحلة لم تكتمل"

مراجعة «سياسات»

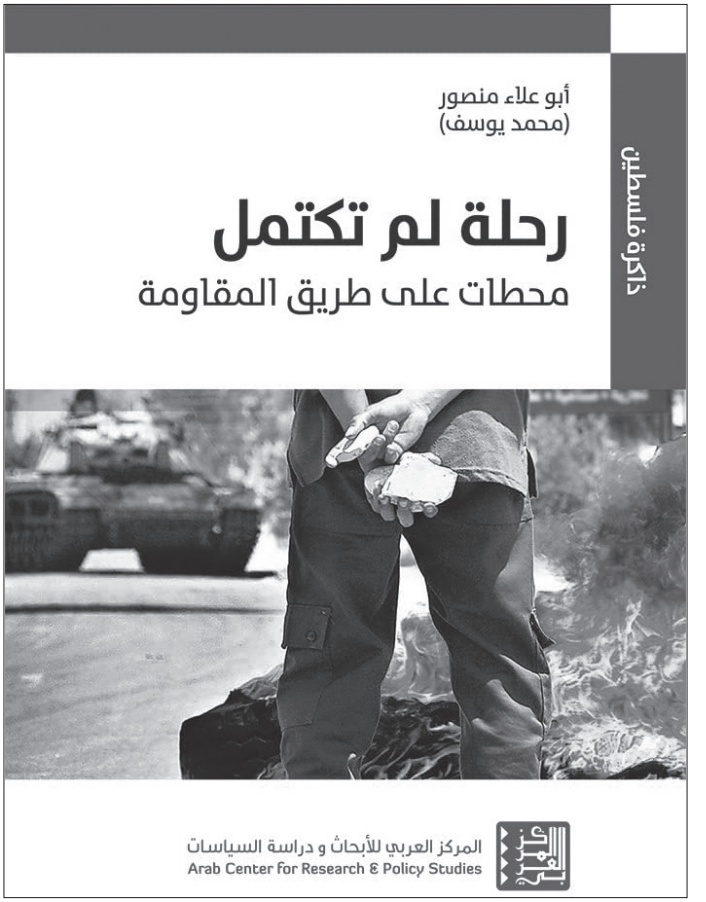

الكتاب: رحلة لم تكتمل - محطات على طريق المقاومة
المؤلف: أبو علاء منصور
الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
سنة النشر: ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ٣٤١

يقدم أبو علاء منصور (محمد يوسف)، دليلاً لقراءة كتابه «رحلة لم تكتمل: محطات على طريق المقاومة»، الصادر، ضمن سلسلة «ذاكرة فلسطين» عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في العاصمة القطرية الدوحة، بإشارته إلى أن هذا الكتاب عبارة عن رحلة في ثلاث محطات، أولاها صورة من تجربته في «لجنة التنظيم ٧٧» بحركة فتح، رفقة الشهيدين أبو حسن قاسم (محمد بحيص)، وحمدي (محمد باسم سلطان التميمي) وباقي الأعضاء بين العامين ١٩٧٧ و١٩٨٨، وثانيتها في «انتفاضة الأقصى»، التي انطلقت في العام ٢٠٠٠ صحبة الأسير مروان البرغوثي وآخرين، أما الثالثة فتقتصر على الأشهر الستة الأولى مما وصفها بـ «الهبة/ الانتفاضة» التي اندلعت في خريف العام ٢٠١٥.

في العام ١٩٧٢، عاد أبو علاء منصور، فور تخرجه في الجامعة إلى «الأرض المحتلة مفعماً بالأحلام»، وبعد عام على العودة قاد خليته في عملية عسكرية «جريئة» وسط مدينة رام الله. في تلك العملية التي اشتهرت باسم «عملية بنك لئومي»، وهي عملية عسكرية نفّذتها مجموعة فدائية من حركة فتح، مساء الثامن من تشرين الثاني ١٩٧٣، وبعد أشهر، أي في ربيع العام ١٩٧٤ تلقى هاتفاً داخلياً بأنه إن لم يقطع النهر إلى الضفة الشرقية، ومن الأردن إلى بيروت، قد يكون السجن مأواه سنوات قد تطول.

ينتقل أبو علاء إلى الحديث عن «القطاع الغربي»، الذي لم تنجح أغلبية لجانه بتزويد خلاياها في الداخل بالسلاح، وكيف حققت لجنة القدس بقيادة مصطفى عيسى (أبو فراس)، الذي شغل منصب محافظ محافظة رام الله والبيرة عقب قيام السلطة الوطنية الفلسطينية، اختراقاً في هذا المجال عبر مراقبين دوليين في جنوب لبنان، وفي سيارات شخصية مهمة كالمطران كابوجي، مطران القدس.

وهيلاربون كابوجي (١٩٢٢-٢٠١٧) هو مطران كنيسة الروم الكاثوليك في القدس في العام ١٩٦٥، وعُرف بوطنيته ورفضه للاحتلال، واعتقل وحكم بالسجن اثني عشر عاماً، على خلفية تهريبه السلاح للمقاومين الفلسطينيين، ثم أفرج عنه، بعد أربعة أعوام، وأبعد إلى روما التي ظلّ فيها إلى حين وفاته.

اعتاد كابوجي نقل السلاح بسيارته للمقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة من لبنان، عبر معبر الناقورة على الحدود اللبنانية الفلسطينية. نقل سلاحاً وذخائر ومتفجرات وصواريخ، أطلق أبناء عائلة «الملاعبة» بعضها على مبنى الكنيست الإسرائيلي في القدس.. ومن المتفجرات التي جلبها المطران من لبنان، نفذ أحمد أبو السكر ورفيقه أبو علاء طبيلة «عملية الثلاجة» في شارع «محانيه يهودا» في القدس كذلك.. وكان المطران يردد على الدوام «أنا أسير على درب المسيح عليه السلاح، إنه الفدائي الأول».

يطرح الكتاب تفاصيل كثيرة تتعلق بالعمل المسلح خارج الأرض المحتلة و/أو داخلها، فلجنة القدس، مثلاً، كانت لجنة قوية استمدت قوتها من علاقتها بياسر عرفات الذي وفر لها المال، لكن مشكلتها، حسب أبو علاء منصور، كانت أن كادرها كان يقتصر على مسؤولها أبو فراس، ونائبه أبو حسن الكاشف، وسمور، ووليد مظهر، وعلي عبد السلام التميمي، ذلك الماهر في التقاط الآتين من الداخل، لكن «الموساد الإسرائيلي تمكن من اختراق اللجنة عبر عملائه الذين عرضوا بيعها سلاحاً مسيطراً عليه».

أما «لجنة التنظيم ٢٢»، فوصفها الكتاب بأنها كانت فقيرة بالسلاح وثرية بكادرها، وبأنها «دفعت ثمناً باهظاً لاقتصار عملياتها على عبوات شعبية انفجر بعضها بمُصنّعيها، فعلى هذه الطريق استشهد جورج ثيودوري ورفيقه الحاج عبد الله، وأبو صابر، وجُرح صقر إلياس، وصفوت طهبوب الذي انفجرت عبوة بين يديه فاعتقل وأمضى في السجن أربعة عشر عاماً، إلى جانب أحمد شعبان وماهر دعنا اللذين اعتقلا إثر انفجار عبوات بين أيديهما.

وبين الحديث عن تجربة نضالية وأخرى، وتسليط الضوء على أسماء طواها النسيان تحت التراب، أو في الزنازين، أو في جغرافيات أخرى لا نعرف مصائرهم، ولم يرد حتى ذكرهم في مراجع سابقة، يكشف منصور بجرأة فائقة، وبتحليل عميق، عما كان يحدث من شروخ في الثورة.. وفي هذا الصدد قال بوضوح: كثيراً ما أحكم الصراع القيادي قبضته على رقاب المناضلين. هذا المسؤول من جماعة القائد «فلان»، وذاك من جماعة القائد «علتان». في حينه، لم نكن ندرك بما يكفي معادلة الصراعات الداخلية، ولا أثر المصالح على المواقف.

يعود ليسرد ما يمكن تسميته بـ«يوميّات نضالية» في لبنان، شاحذاً الذاكرة إلى أقصاها لعله ينصف العدد الأكبر من الثوار الفدائيين.. «أيام كنت في موقع كتيبة الجرمق

ببلدة رشاف المحاذية للشريط الحدودي في جنوب لبنان، ومعي صفوت طهبوب، الطالب في جامعة حلب. هناك استقبلنا قائد الفصيل أبو حديد، الذي عرفنا بعد عقود أن اسمه الحقيقي سليمان عمران، وأنه من قرية دير الحطب شرق مدينة نابلس. شبّان بعمر الزهور، بلهجات جنوبية، بقاعية عكّارية، بيروتية، وقروية فلسطينية، وأخرى من دول عربية متعددة.

وقبل إكمال ما نقله الكاتب على لسان «أبو حديد»، جدير بالذكر الإشارة إلى أن كتيبة «الجرمق» أسست باسم «السرية الطلابية» في العام ١٩٧٣، ثم تحوّل اسمها إلى «الكتيبة الطلابية»، ثم إلى «كتيبة الجرمق»، ونفذت عشرات العمليات العسكرية ضد جنود الاحتلال، وخاضت كثيراً من المعارك، أبرزها معركة «الشقيف» في العام ١٩٨٢.

«قال أبو حديد وهو يشير إلى البلدات اللبنانية جنوباً: رميش، دبل، وعين إيل، قرى محاذية للحدود الفلسطينية، تسيطر عليها قوات سعد حداد العميلة لإسرائيل. نحن حريصون على نسج علاقات طيبة مع المواطنين. نحرص على عدم تنفيذ عمليات عسكرية من المناطق المأهولة تجنّباً لانتقام العدو الإسرائيلي وعملائه من المواطنين العزّل، لكنهم يقصفون بين الحين والآخر، يحاولون جعل الثورة عبئاً على الناس. من دون العلاقة الجيّدة بالأهالي لا نستطيع أن نستمر في أداء دورنا الثوري، إنهم حاضنتنا. نحن لسنا وحدنا في المنطقة، هناك غيرنا ينتمون إلى فصائل فلسطينية وأحزاب لبنانية مختلفة. كثيراً ما تسبب اجتهاداتنا المتباينة في التأثير سلباً على حالة الانضباط كما تقتضيها المصلحة العامة».

التفاصيل في «رحلة لم تكتمل» كثيرة جداً، منها ما يتعلق بلجان جهاز الأرض المحتلة التابع لحركة فتح (لجنة القدس، ولجنة نابلس، ولجنة الخليل، ولجنة الجليل، ولجنتان لقطاع غزة)، ومكتب مسؤول عن الدوريات العسكرية التي ترسل عبر الحدود والبحر، وإدارات مالية وتسليحية وإعلامية وأمنية، وغير ذلك، أو تلك المتعلقة بالمؤتمر العام الثالث للحركة (١٩٧١)، حيث انتخب كمال عدوان عضواً في اللجنة المركزية للحركة وبات مفوضاً لجهاز القطاع الغربي، لافتاً إلى أنه كان «مصمماً على إحداث تغيير في عقلية العمل السائدة» التي أسماها عقلية المقاومة، مستعيناً بنخبة كوادر معظمهم مثقفون ذوو ميول يسارية لتأليف نواة التغيير، حيث اختار صخر حبش عضو المجلس الثوري للحركة نائباً له، وكلّف عبد الفتاح القلقيلي (أبو نائل) شؤونَ التدريب، ومنير شفيق

(أبو فادي) الدراساتِ والبحوثَ، مصراً على تكريس حالة الإنصاف لكل من يتذكرهم بالاسم، فهؤلاء لم يكونوا هامشيّين، أو هكذا أراد لهم أبو علاء منصور.

ومع تقليب الصفحات بما تحمله من أحداث وأسماء وتفاصيل كثيرة، يتعثر القارئ بتفاصيل إنسانية على شكل حكايات مروية، تصلح لأن تكون مقاطع في أعمال أدبية نثرية، ففي شتاء العام ١٩٨٠، حان موعد عودة منصور إلى الساحة الأردنية التي غادرها قبل عامين من ذلك التاريخ مضطراً، حيث تناول ورفاقه العشاء في منزل الفدائي أبو فواز من قرية صانور بالقرب من مدينة نابلس، والمقيم بمدينة درعا، قبل أن ينطلق بهم الفدائي السوري طعمة العليمي باتجاه الحدود الأردنية.

«قال هارون غنيم قائد الدورية، وهو يعطينا التعليمات: اضبطوا أحذيتكم جيداً، السير في الأرض الطينية صعب. سنمشي بحدود ساعة ونصف الساعة داخل الأراضي السورية. المنطقة منطقة تهريب، والأمر لا يخلو من مفاجآت. عندما نقترب من الحدود سأعطيكم تعليمات أخرى.. لم أدرك قيمة شدّ الأحذية جيداً إلا حين اختبرت بالملموس ما عناه هارون»، وواصل المسير عبر بلدة «البويضة» إلى عمّان، وهناك نقل إلى شقة أرضية في عمارة بمنطقة مرج الحمام كانت تعج برفاق من المناضلين.

وكما يؤكد أبو علاء منصور في كتابه هذا، فإن «المقاومة السرّية رواية جرأة ومفاجآت»، ولعله يصلح القول هنا إن الكتابة عن المقاومة السريّة هي أيضاً رواية جريئة ولا تخلو من مفاجآت قد تربك القارئ، أو تزيد من ضربات قلبه، وهو يتابع حكاية هنا أو هناك، ويسير رفقة الكاتب الفدائي في «رحلة لم تكتمل».

ومع الحكاية التي لا تنتهي، يتواصل السرد حول الفدائيين وبطولاتهم، ففي كل صفحة ما يصلح إلى أن يشكل باكورة كتاب ملحمي، منها، على سبيل المثال لا الحصر، حكاية نسيم عبد الجليل (أبو العز)، الذي حين تعرف إليه أبو علاء منصور في معسكر الدامور في العام ١٩٧٨ كان شاباً يافعاً، شعره أسود كثيف، روحه متوثبة، وعيناه متفرّستان، أما عندما التقاه في عمّان بعد أكثر من عقدين، وقد خرج من سجون الاحتلال في صفقة لتبادل الأسرى، فكان الشيب قد غزا رأسه.. «ازدان وجهه بابتسامة عريضة وهو يعرض ذكرياته عن دورية تياسير التي قادها إلى الداخل في العام ١٩٨٢ رفقة جمال دراغمة ومروان زلوم، فبعد عامين من تأخر عبور الدورية إلى الداخل، استطلع أبو

العز وأبو سليم الحدود، وشاركهما علي أبو طوق. أخفقوا في العبور، فعادوا إلى القاعدة في قلعة الشقيف بجنوب لبنان، وبعد أشهر عادوا إلى الأردن ثانية حيث استطلع الحدود رفقة دراغمة وزلوم مجدداً ثم عبروا النهر، وحاولوا القيام بعمليات تمويه، لكنهم جرحوا ثلاثتهم ووقعوا في الأسر بعد أن فتحوا النار على الجنود من مسافة قريبة جداً».

وعلي أبو طوق (١٩٥٠-١٩٨٧)، من مؤسسي الكتيبة الطلابية وقادتها، واستشهد في مخيم شاتيلا في العام ١٩٨٧ خلال حرب المخيمات، وما زال أبناء شاتيلا يتناقلون قصصاً وأساطير عنه.

وليس أبو طوق وحده، من يرصد الكاتب في الهامش تفاصيل عن حياته وشيئاً من سيرته في متن الكتاب أو هوامشه، ما يجعل منه بيبلوغرافيا وطنية بامتياز، يمكن وصفها بـ«بيبلوغرافي الفدائيين»، مع أن بعضها كان موجعاً، خاصة عند الحديث عن الانشقاقات المأساوية داخل حركة فتح، ومنها ذلك الذي قاده صبري خليل البنا «أبو نضال» (١٩٣٧-٢٠٠٢)، وكان عضواً في المجلس الثوري لحركة فتح قبل انشقاقه في العام ١٩٧٤، وتأليف «فتح المجلس الثوري»، أو ما عرف بـ«منظمة أبو نضال»، الذي اشتهر باغتياله كوادر المنظمة بدعوى محاربته عملية التسوية، وتصفية المئات من أنصاره في سورية ولبنان وليبيا بمن فيهم زملاؤه في القيادة، حيث توزّع ولاؤه على دول عدة وأجهزتها الاستخبارية، إلى أن قتله في بغداد في العام ٢٠٠٢ جهاز الأمن العراقي قبيل الاحتلال الأميركي للعراق.

وفي رحلته هذه، لم تفارق أبو علاء منصور جرأة المكاشفة في الرصد والنقد لمسيرة الثورة والقيادة ورموزها، وأيضاً فيما يتعلق بتسليط الضوء على عديد التحولات العميقة التي مستها في الصميم، فيما يواصل السرد حتى «انتفاضة الأقصى»، و«حرق المستوطنين عائلة دوابشة أحياء»، والجثامين التي لا تزال محتجزة، و«جنون» العام ٢٠١٦، مسلطاً الضوء، كما في جلّ صفحات الكتاب على حكايات إنسانية مؤثرة، ليؤكد أن النضال الفلسطيني على مرّ العقود كان يدار وينفذ من فدائيين لهم حيواتهم وكيوناتهم، ويجب ألا يطويهم النسيان.

يختم منصور كتابه «رحلة لم تكتمل» في ما قبل الإبحار مع الوثائق والصور، بما خطه مروان البرغوثي من داخل زنزانة رقم ١١ في سجن «هداريم» في نيسان ٢٠١٦.. «جاءت الهبة الشعبية في العام ٢٠١٥، كما انتفاضة الأقصى في العام ٢٠٠٠، كانعكاس للتناقض المحتدم بين المستعمِر والمستعمَر، كردة فعل

صريحة على إخفاق خيار المفاوضات، فاتحة المجال لتصويب المسار وتوضيح الرؤيا. من المؤسف أن الهبّة المتواصلة منذ أكثر من خمسة أشهر دون أي إشارات لتوقفها، لم تجد بعد، محلياً وعربياً ودولياً، من يحتضنها سياسياً واجتماعياً وإعلامياً ومالياً، لم تجد من يدفعها للتحول إلى انتفاضة شعبية كبيرة، ويسلحها بأهداف ورؤية سياسية (...)».

ومما جاء في مقدمة الكتاب بقلم د. أحمد جميل عزم، أنه يعرض دور أبو علاء منصور القيادي في الإسناد الخارجي للأرض المحتلة، منذ أواسط السبعينيات وحتى منتصف التسعينيات، قبل أن يعرض في الجزء الثاني من الكتاب تجربته داخل الأرض المحتلة، وخاصة دوره القيادي في مرحلة انتفاضة الأقصى وما قبلها، والفترة الوجيزة بعدها، دون تغطية مرحلة المقاومة الشعبية التي وثقها أبو علاء في كتاب منفصل، بحيث يبدأ، وعبر هاتين المرحلتين - علاوة على سرد التفاصيل والتوثيق - مشروعه الذي يتحدث عنه باستمرار، وهو أن يكتب نقدياً عن أخطاء «القيادة عن بعد»، ومشكلاتها، وعن بعض الأخطاء التي تعثرت بها قيادة الخارج، وهو من بينها، في بعض ملفات الوطن المحتل ومحطاته.

أخذ عزم، ولو بشكل غير مباشر، على الكاتب، عدم توثيقه دوره المهم في محاولات بناء مؤسسات الدولة الفلسطينية، بعد أن عاد إلى الأرض المحتلة عقب اتفاق أوسلو، حيث عيّن مديراً عاماً لوزارة الداخلية في رام الله، وهي المرحلة التي لم يذكر أبو علاء تفصيلاتها، فما حدث في عملية «بناء السلطة» بسلبياته وإيجابياته، وفق عزم، وبأحلامه وإخفاقاته، ربما أدى إلى مآزق وطنية عديدة وربما لم يؤد، بل كان سبيلاً عاد عبره كثير من المناضلين إلى الوطن، وبذلوا الكثير أثناء انتفاضة الأقصى، لا يزال بحاجة إلى المزيد من «السرد»، خاصة أن الكاتب أصبح عضواً في اللجنة الحركية العليا لحركة فتح في الضفة الغربية، وأميناً لسر إقليم رام الله في الحركة.

لفتت مقدمة الكتاب إلى أن «أبو علاء منصور» انخرط في الحركة الوطنية، وتحديداً في صفوف حركة فتح، إبان دراسته الرياضيات في العراق، حيث تعرف إلى الحركة والتحق بها في نهاية ستينيات القرن الماضي ومطلع سبعينياته، ثم عاد إلى فلسطين، وتحديداً إلى بلدته بلعين، وعمل أستاذاً للرياضيات في مدرسة برام الله الثانوية للبنات، هو الذي تحول داخل الكتاب، ومع توالي صفحاته إلى باحث استقصائي، وليس كاتب سيرة فحسب، يتنقل بين بيوت العزاء ومواقع الشبّان الذي فجروا الموجة الانتفاضية، فيلتقي ذويهم ومحيطهم الاجتماعي، وكثير

منهم كانوا معه وكان قائدهم في زمن مضى.. يلتقي، ويسأل، ويسجل، فضلاً عن متابعته ومشاركته في الندوات واللقاءات التي جرت على هامش الانتفاضة في محاولة لفهمها، ليسجل ذلك كله.

هنا يمكن التأكيد على أن تسجيل أبو علاء لذكرياته في الفصلين الأول والثاني كان بهدف التوثيق والتحليل، أما الفصل الثالث الذي يسجل فيه شهادته، فكان بمثابة عملٍ كُتب بطريقة غير شائعة، بحيث كان أقرب إلى التقاط صور متناثرة، يشكل بعضها مع بعض كلاً متكاملاً، تماماً كما يقدّم كل جزء مشهداً منفصلاً لما جرى، بحيث يمكن اعتبار هذا الكتاب إضافة نوعية لتوثيق مراحل أساسية في العمل الفلسطيني ممّن عاشها وشارك في صنعها، والأهم ما ورد فيه من رؤى نقدية وتحليلية، بالاتكاء إلى النقد الذاتي والمقارنة بين الحقب الزمنية المختلفة، مع حضور بارز للهوامش هنا، لا يقل في عديد الأحايين أهمية عما يرد في المتن، ليس كما هو الحال في واقع الأمور على مرّ العقود تماماً، وإن كانت تبرز الهوامش أحياناً لتشكل حالةً ما بالتوازي مع المتن، على اختلاف تأويلاته، أو متفوقة عليه!

الكتاب: فلسطين: أربعة آلاف عام في التاريخ
الكاتب: نور مصالحة
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٠٦
عدد الصفحات: ٤٨٠

يقدّم نور مصالحة أصول فلسطين وتاريخها وثقافتها وهويتها، التي يَكشِف عن أنها من منعطفات الذاكرة والنسيان والقمع والانتعاش، فيتتبع هذا العمل الثري تراث فلسطين، ويكشف عن ثقافات ومجتمعات ذات عمق وتعقيد مذهلين يمتدان إلى بدايات التاريخ المسَّجل الذي يمتد إلى بضعة آلاف من الأعوام.

يرجع الكاتب إلى النصوص الفرعونية والآشورية، ويتحقّق من كيفية تطوّر الهوية الفلسطينية والتواريخ واللغات والثقافات والحضارات عبر العصور ابتداءً من العصر البرونزي إلى يومنا هذا.

يؤكد المؤلف، استناداً إلى أدلة أثرية؛ أن الفلسطينيين هم أهل البلاد، وجذورهم ضاربة في أعماق ترابها، وهويتهم الأصيلة وإرثهم التاريخي سبق ولادة الحركة الوطنية الفلسطينية الناشئة في العهد العثماني المتأخر وظهور الحركة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية قبل الحرب العالمية الأولى، فتاريخ فلسطين، بخلاف روايات الأسطورة في العهد القديم، له «بدايات» متعددة تطورت مع مرور الوقت إلى مفهوم جيوسياسي وسياسة إقليمية متميزة.

غالباً ما يتم تناول مفهوم فلسطين على نحوٍ تجريدي أو غير تاريخي، ولكن على الرغم من وجود عدد من البدايات والمعاني المتعددة لفكرة فلسطين، فإن السؤال المهم لا يتعلق كثيراً بـ «أصل» فكرة فلسطين، أو من أين أتت الفكرة، ولكن كيف تطورت هوية فلسطين وتجربتها عبر الزمان؟

يتضمن الكتاب عشرة فصول، فضلاً عن المقدمة والمراجع والفهرس.

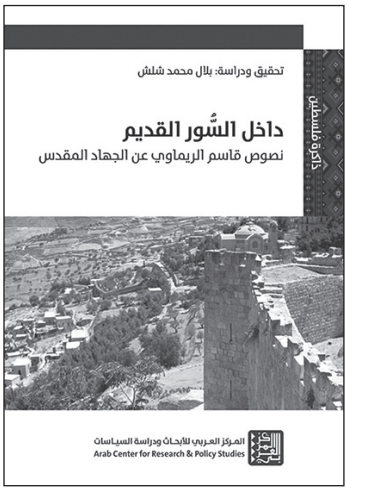

الكتاب: داخل السور القديم: نصوص قاسم الريماوي عن الجهاد المقدس
تحقيق ودراسة: بلال محمد شلش
الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: أيلول ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ٥٠٠ صفحة

الكتاب عبارة عن دراسة تحقيقية نقدية، عمد فيها بلال محمد شلش إلى تحقيق مخطوطين غير منشورين لأحد أبرز قادة «الجهاد المقدس»، الدكتور قاسم محمد الريماوي (١٩١٨-١٩٨٢): الأول، تقريره عن الجهاد المقدس المقدّم إلى رئيس الهيئة العربية العليا الحاج محمد أمين الحسيني في العام ١٩٤٩؛ والثاني، مخطوطه عن عبد القادر الحسيني الذي خطّ مسودته مطلع الخمسينيات.

عرض الباحث تحولات خطاب الريماوي المرتبطة بتحولات نشاطه من العمل في صفوف الجهاد المقدس إلى العمل السياسي، وتحولات الوقائع والتحالفات والصراعات السياسية والاجتماعية المختلفة التي مرت بها المنطقة على امتداد ربع قرن.

يتألف الكتاب من (٥٠٠ صفحة من القطع الوسط، موثقة ومفهرسة) من مدخل وثلاثة فصول.

في «مدخل» الكتاب، سرد لسيرة قاسم الريماوي ونصوصه في صورتين: الأولى، قاسم الريماوي المقاتل؛ والثانية، قاسم الريماوي السياسي الفلسطيني/ الأردني، وعودة إلى نصوص قاسم الريماوي، وإلى الصراع على السرديات التاريخية للجهاد المقدس، وإلى ثنائية الإسكات/ الإثبات في تناولٍ لبعض الصراع بين سرديات الريماوي السياسي/ المقاتل.

في الفصل الأول، «مختصر المسيرة»، سرد لما بعد استشهاد عبد القادر الحسيني، وخلافة الحسيني في القيادة، وموقف قيادة الجهاد المقدس في القدس خلال معارك باب الواد، وموقف هذه القيادة بعد دخول الجيوش العربية، وعجزها عن دعم مركز الهيئة العربية العليا أو إيجاد نظام عسكري، علني أو سري، يصلح ليكون نواة

لتحرير البلاد. ثم سرد الريماوي للموقف من الجيش العراقي، ومحاولة إحباط مساعي شرق الأردن السياسية، واحتلال مقرّ قيادة الجهاد المقدس في بيرزيت.

في الفصل الثاني، «نصوص من سيرة الجهاد المقدس»، دوَّنَ الريماوي في مخطوطه عن عبد القادر الحسيني تفصيلات حول نشاط الحسيني في ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩، خلال مرحلتيها الأولى والثانية، يُكتفى منها بشذرات عند الحديث عن علاقة الريماوي بالحسيني خلال هذه الفترة.

ويقتصر السرد هنا على نصوص أخرى لخّصت نظرة الريماوي إلى الواقعَين العسكري والسياسي السابقين والمعاصرين لانطلاقة تنظيم الحسيني الجديد وتأسيسه، مع قدومه إلى مصر في شباط ١٩٤٦.

في الفصل الثالث، «شذرات»، سرد عن الصهاينة واحتلال باقي مناطق فلسطين خلال حرب ١٩٤٧ – ١٩٤٩، وإبعاد محمود لبيب، وصور بديا المنهوبة: (خليل رصاص وصور الجهاد المقدس). هنا، يقدّم الريماوي قصة أبرز الصور التي يتضح أنّها في معظمها ضمن مجموعة واحدة، التقطها خليل رصاص لمجلة المصوّر التي سبق ونشر بعضها خلال عام ١٩٤٨.

بلال محمد شلش باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ضمن مشروع بحث القضية الفلسطينية وتوثيقها. مرشح لدرجة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية في جامعة بيرزيت. حاز ماجستير التاريخ العربي والإسلامي (٢٠١٥)، وماجستير الدراسات الإسرائيلية (٢٠١٨)، من الجامعة نفسها.

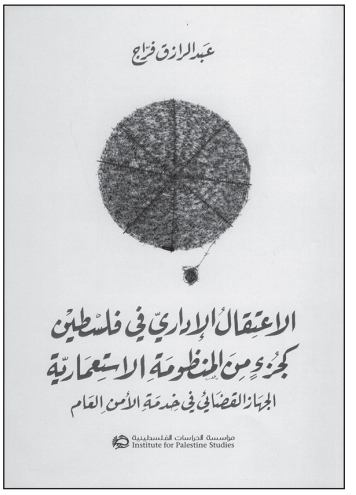

الكتاب: الاعتقال الإداري في فلسطين كجزء من المنظومة الاستعمارية: الجهاز القضائي في خدمة الأمن العام
الكاتب: عبد الرازق فرّاج
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ٩٢

هذا الكتاب دراسة عن سياسة الاعتقال الإداري وكيف يستخدمها الاحتلال الإسرائيلي أداةً لقمع الأسرى الفلسطينيين

وتعذيبهم، وذلك ضمن السياق الاستعماري في فلسطين.

يخوض الكتـــاب الســـياق التاريخي لاستخدام سياسة الاعتقال الإداري منذ بداية الاحتلال، وأثره عـــلى الأسرى وعائلاتهم، والدور الشـــكلي لمحاكم الاعتقال الإداري. كما يناقش أشكال مواجهة الفلسطينيين لهذا الاعتقال على مدار السنين، من خلال الإضرابات الفردية وخطـــوات مقاطعة المحاكم العسكرية.

ويتطرق إلى الإشكاليات المتعلقة بمقاطعة محاكم الاحتـــلال، ويحاجج بأهمية اتخاذ موقف موحد وشـــامل إزاء هذه المقاطعة، باعتبار أن الجهاز القضائي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلطة الاستعمارية وتغولها المستمر.

المؤلف عبد الرازق فرّاج، كاتب وصحافي، من مواليد سنة ١٩٦٣. عمل أعواماً طويلة في عدد من المؤسسات الصحافية والأهلية الفلســـطينية. أمضى (على دفعات) سبعة عشر عاماً في سجون الاحتلال، كان في الجزء الأكبر منها رهن الاعتقال الإداري. وتعرض أكثر من مـــرة للتعذيب في أقبية التحقيق، كان آخرها في تشرين الأول ٢٠١٩؛ إذ اعتُقل في أيلول من السنة نفســـها بعد أن سلم المسودة الأولى لهذه الدراسة واستكملها من داخل سجنه، وما زال في انتظار المحاكمة.

الكتاب: أزمة السلطة السياسية: دراسة في الفكر السياسي العربي
الكاتب: عماد مصباح مخيمر
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٨
عدد الصفحات: ١٨٩

على الرغم من الأحداث والتحوّلات الكبرى التي يشـــهدها الوطن العربي في السنوات العـــشر الأخيرة، التي فتحـــت الباب أمام إحداث تغيير في أنظمـــة الحكم في بعض البلدان العربية، فإن تلك الأحداث لم تكن كافية لترسخ نمطاً جديداً من الحكم تقوم الســـلطة فيه وفق معايير الدولة الحديثة، حيث الشعب هو مصدر السلطات والحاكم ليس سوى وكيل عن الشعب في إدارة شؤون دولته وفق قاعدة واضحة دستورياً للحقوق والواجبات، وللفصل بين السلطات. وهذا ما

يبرر الحاجة إلى مزيد من البحث المعمّق في أزمة السلطة السياسية في الوطن العربي وفي المرجعية الفكرية التي تؤســـس لهذه الأزمة، التي يسعى هذا الكتاب للبحث فيها.

يقدم هـــذا الكتاب مراجعـــة تحليلية نقدية تفكيكية لمفهوم السلطة السياسية ومصادر شرعيتها ومرجعيتها الفلسفية في الفكر السياسي العربي، وهي مرجعية لا تزال تقوم على التوفيق غير العقلاني بين المـــوروث الديني- الثقافي من جهة والفكر الحداثي الغربي من جهة أخرى، وهو ما ينتج فكراً ملتبســـاً يؤسس لواقع مأزوم في الســـلطة السياســـية العربية العاجزة عن مواكبة التطـــور التاريخي للمجتمع ومتطلباتـــه من جهة، والســـاعية لإعادة إنتاج الاستبداد وتعميق الشرخ بينها وبين شعوبها من جهة أخرى؛ كما يحلل الكتاب إشكالية العلاقة بين مرجعية هذه السلطة السياسية في الفكر السياسي العربي وبين الممارسات السياسية للسلطة على الأرض في البلدان العربية.

يتضمن الكتاب أربعة فصول، فضلاً عن المقدمة والخاتمة والمراجع والفهرس.

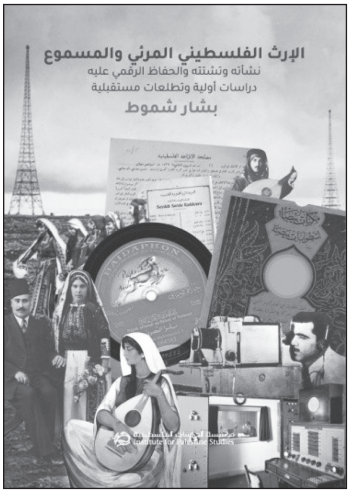

الكتاب: الإرث الفلسطيني المرئي والمسموع، نشأته وتشتته والحفاظ الرقمي عليه
الكاتب: بشار شموط
الناشر: مؤسسة الدراسات الفلسطينية
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ٢٠٠

يحاول المؤلف في هذا الكتاب تســـليط الضوء على ذاك الإرث المرئي والمســـموع الغني والمميز لفلسطين بهدف المساهمة في الحفاظ عليه بالوسائل الحديثة، وتوثيق الذاكـــرة الجماعية الفلســـطينية المهدَّدة دوماً في ظل الأوضاع السياسية والمعيشية الصعبة للشعب الفلسطيني. يتناول الكتاب هـــذا الموضوع من ثلاثة أبواب هي: تاريخ نشـــوء تلك المواد المرئية والمســـموعة، ثم أماكن وجود المجموعات المتناثرة والمتشتتة

في أرشيفات العالم وكيفية الوصول إليها، وأخيراً بعض الأساسيات التقنية المعمول بهـــا في مجال الأرشـــفة الرقمية الحديثة ليساعد في إرشاد العاملين في هذا المجال في العالم العربي.

وبالإضافة إلى البحث الموضوعي المبني على علوم الأرشفة الرقمية، يتطرق الكتاب أيضاً إلى بعض القضايا الجوهرية المتعلقة بالمحاولات الدائمـــة والمتعمدة من جانب المؤسسات الإسرائيلية لإخفاء الهوية الثقافية الفلسطينية ومحو الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني والهيمنة عليها. وبالتالي يناقش بأســـلوب موضوعي قضية نهب وفقدان المجموعات المرئية والمســـموعة من بيروت عقب الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢؛ وهي ذات قيمة ثقافيـــة وتاريخية مميزة جداً، إذ كانـــت قد أُنتِجَت في ظل النهج النضالي لمنظمة التحرير الفلسطينية منذ انطلاقتها.

تمتاز هذه الدراســـة بأنها واحدة من أولى الدراسات التي تعالج موضوع الإرث الفلسطيني المرئي والمسموع لا من الخلفية السياســـية أو التاريخية للنتاج والحراك الثقافي الفلســـطيني، وإنما من المنظور العلمي والعملي لعلوم الأرشيف الحديثة؛ وهي بذلك تمهد الطريق أمام دراســـات لاحقة أكثر موضوعية وتعمقاً.

يذكر أن بشار شـــموط متخصص في مجال الأرشـــفة الرقمية لـــلإرث المرئي والمســـموع وحاز الدكتوراه في هذا المجال من جامعة بادربورن الألمانية المتخصصة بالإرث الثقافي وبتقنية المعلومات الرقمية.

الكتاب: الصين والشرق الأوسط- دراسة تاريخية في تطور موقف الصين تجـاه قضايـا المنطقـة العربيـة بعـد الحرب الباردة

الكاتب: حكمات العبد الرحمن

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الطبعة: الأولى

تاريخ النشر: ٢٠٢٠

عدد الصفحات: ٣٢٨

يحاول المؤلف في هذا الكتاب فهم الصين من خلال القضايا العربية الحساسة على المستوى العالمي، واســـتشراف مستقبل

العلاقات العربيـــة - الصينية وتأثيرها في موقف الصين من القضايا العربية المصيرية؛ وســـبر التناقضات التي رافقت طموحات الصين التجارية وبراغماتيتها التي ترتبت على الإصلاحات التـــي أطلقتها منذ العام ١٩٧٨.

يتألف الكتاب من (٣٢٨ صفحة، موثقة ومفهرسة) من ســـبعة فصول وخاتمة. يناقش في الفصـــل الأول، المعنون «دور الصـــين ومكانتها المســـتقبلية في النظام العالمي والعلاقات الدولية»، مكانة الصين ودورها في مستقبل نظام العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة والفرضيات المختلفة، وأهمهـــا الفرضية التـــي تناولت صعود الصين ونموها وإمكان أن تصبح قوة عالمية مهيمنة، والفرضية التي تتعلق بدراسات حديثة تناولت بداية تراجع الصين والآثار التي يمكن أن تترتب عـــلى تراجع النمو الصيني على المســـتويين المحلي الصيني والدولي.

في الفصل الثاني، «العلاقات الصينية - الشرق الأوسطية»، يتناول المؤلف موضوع العلاقات العربية -الصينية منذ عام ١٩٤٩، وهو العام الذي شهد إعلان سقوط النظام الجمهوري في الصين، الذي ساد منذ العام ١٩١٩ وقيام الصين الشعبية، حيث شهدت سياسة الصين ومواقفها محطات وتطورات كثيرة.

يتناول المؤلف في الفصل الثالث، «دور المنطقة العربية في تحديد الاســـتراتيجية الصينية تجاه الشرق الأوسط»، الاستراتيجية التي تعتمدهـــا الصـــين والأدوات التي تستخدمها دبلوماسيتها لتحقيق أهدافها في منطقة الشرق الأوســـط. ويتساءل عن مدى وجود استراتيجية حقيقية وواضحة لبكين تجاه دول المنطقة.

في الفصـــل الرابع، «مبـــادرة الحزام والطريـــق وتأثيرها في العلاقات العربية – الصينية»، يتنـــاول المؤلف مبادرة الحزام والطريق وتأثيرهـــا في العلاقات العربية - الصينية، وأهميتها بالنسبة إلى جميع الدول عموما، والدول العربية خصوصا.

يعالج العبد الرحمن في الفصل الخامس، «العوامل المؤثرة في موقف الصين من قضايا المنطقة العربية» وفي الفصل الســـادس، «موقف الصين من قضايا المنطقة العربية».

يرى المؤلف أن تحركات الصين في الشرق الأوسط كانت في الأغلب تحت ضغط ظروفٍ إقليمية ودولية، فالتاريخ لم يذكر أن الصين بادرت إلى طرح مبادراتٍ محددة أو اتخاذ مواقفَ واضحة؛ «ذلـــك أنها تتصرّف في الأغلب وفق خطواتٍ حـــذرة وقلقة وغير

واضحة، وغالباً ما كانت تلجأ إلى اللاموقف من خلال اللجوء إلى دعـــوة الأطراف إلى الحوار والتفـــاوض لحلّ الأزمات من غير تقديم أي مبادرة أو حلّ».

أما الفصل السابع والأخير، «مستقبل الدور الصيني في المنطقة العربية»، فيركّز فيه العبـــد الرحمن على معالجة القضايا والمصالح التي تأمل الدول العربية وتتوقع من الصين دعمها ومساندتها فيها، وعلى معرفة الحـــد الذي يمكن لبكين أن تصل إليه في دعمها القضايا العربية في المحافل العالمية. ويتطـــرق أيضا إلى أهم المصالح الصينية التي يمكـــن الجانب العربي أن يدعمها ويســـاهم في تحقيقها. ويســـأل المؤلف: مـــاذا تريد الصين مـــن الدول العربية؟ وماذا تريد الدول العربية منها؟ وما الموقف الـــذي تنتظره الدول العربية من الصين الشـــعبية؟ وإلى أي حد يمكن لهذا الموقف أن يدعم القضايا العربية في المحافل الدولية؟

المؤلف أســـتاذ في جامعة دمشـــق. متخصص في تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر. حاصل على الدكتوراه في تاريخ الشرق الأقصى الحديث من جامعة باريس الثامنـــة. يهتم بدراســـة تاريخ العلاقات العربية - الآســـيوية بشكل عام والعلاقات العربية - الصينيـــة وتطورها، وعلاقات الصـــين العالمية واســـتراتيجيتها الدولية بشـــكل خاص. له العديد من المؤلفات في هذه الموضوعات.

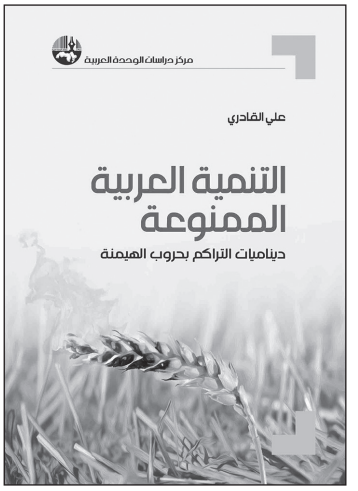

الكتـاب: التنميـة العربيـة الممنوعـة: ديناميات التراكم بحروب الهيمنة
الكاتب: علي القادري
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية
الطبعة: الأولى
تاريخ النشر: ٢٠٢٠/٨
عدد الصفحات: ٢٩٤

يصدر هذا الكتاب في الوقت الذي لا تزال فيه قضية التخلف وفشل خيارات التنمية من القضايا الأساسية التي تواجهها بلدان العالم العربي ومعظم بلدان العالم الثالث، على الرغم من التجارب التنموية الناجحة التي حققـــت إنجازات مهمـــة في حقبة

ما بعد الاســـتقلال، على مختلف الصعد الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، غير أن هذه التجارب ما لبثت أن انكفأت في العقود الأخيرة لينهار معها ما سبق أن تحقق من تراكمات في سيرورة التنمية. فلماذا فشلت هذه التجـــارب التنموية العربية، وما هي الموانع التي تحول دون استعادة الدولة في العالـــم العربي دورها في التنمية، وهل أن الطبقات الاجتماعيـــة الحاكمة في البلدان العربية، وهي طبقـــات أكثر تبعية لرأس المال العالمي، وللإمبريالية الأميركية، قادرة فعلاً على تحقيق التنمية في بلادها.

يبحث علي القـــادري في هذا الكتاب في المفاتيح التاريخية والبنيوية والعلائقية التي تفسر آليات الهيمنـــة الإمبريالية في العالم ودورها في إعاقة التنمية في العالم العربي، وبخاصة في العقود الثلاثة الأخيرة التي شهد العالم العربي فيها عملية تنمية عكسية.

يركز الكتاب في تفسير عملية إجهاض التنميـــة في العالم العربـــي على مجموعة مفاتيـــح مترابطة ســـبباً، اســـتطاعت الإمبريالية الأميركية مـــن خلالها تعزيز هيمنتها على المنطقة ونهب ثرواتها؛ أبرزها الحروب والهزائم التي تعرّض لها العالم العربي في العقود الأخيرة وما ســـببته من تعميق للهيمنة الأميركية على النفط، ومن إعادة تشـــكيل للطبقات الحاكمة العربية وفقاً للإرادة الأميركية، ومن تعزيز للتبعية ولنهب القيمة في المجتمعات العربية لمصلحة المركز الإمبريالي، مع تشـــديد الكتاب على نقطة محورية في عملية الهيمنة هذه، هي اســـتلاب أمن الطبقة العاملة الذي يشكل العمود الفقري للســـيادة الوطنية في هذه المجتمعات.

يتضمن الكتاب تسعة فصول، فضلاً عن المقدمة والمراجع والفهرس.

الكتاب: مجلة «قضايا إسرائيلية»
تحرير: رائف زريق
إصدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية «مدار»
تاريخ النشر: تموز ٢٠٢٠
عدد الصفحات: ١٤٠

يتضمن هذا العدد من فصلية «قضايا إسرائيليـــة»، ملفا تحت عنـــوان «معاداة

الســـاميّة، الصهيونية وقضية فلسطين»، يتعمق في تحولات مفهوم العداء للسامية، الذي عمدت إسرائيل وحلفاؤها إلى توسيعه في السنوات الأخيرة ليشمل كل نقد لإسرائيل وسياســـاتها، وذلك كجزء من استهداف خطـــاب العدالة الذي تتســـم به القضية الفلسطينية، كما يواكب الملف صيروة هذا التوسيع للمفهوم، والجهات العاملة عليه، والأدوات المستخدمة في تكريسه دوليا.

في الملف دراسة تحت عنوان «التعريف العملي لمناهضة الســـامية.. كاتم صوت منتقـــدي إسرائيل» لخلـــدون البرغوثي تستعرض الخلفيات التاريخية لمناهضة السامية من ناحية تفســـير دوافعها، ثم الظروف التاريخية التي دفعت مناصري إسرائيل إلى السعي لتطوير تعريف مناهضة السامية الكلاسيكي، عبر ربط العنصرية ضد اليهود بانتقاد إسرائيل. ونقطة التحول في الانتفاضة الثانيـــة التي تبعها مباشرة العمل على إصدار التعريف الجديد لمعاداة السامية المسمى «التعريف العملي لمناهضة السامية».

وتحت عنوان «معاداة السامية الجديدة كجزء/ككل من الاشـــتباك مع المســـألة الفلســـطينية العادلـــة» لمهند مصطفى عرض وتحليل للســـجال الإسرائيلي حول مفهوم العداء للسامية، وحصره في المسألة الفلسطينية.

وفي دراســـة عنوانها «تعريف التحالف الـــدوليّ لإحياء ذكـــرى المحرقة (IHRA) لمعاداة الســـاميّة: تعريف معاداة الساميّة من خلال محو الفلســـطينيّين» تكشـــف ســـربيكا غولد أن الاستخدامات السياسيّة لهذا التعريف، تفوق في أهميّتها مضمون التعريف نفســـه، الذي لا يعتبر مضمونًا أصليًّا. فالاستخدامات تمثّل جبهة جديدة في المجهود المبـــذول لقمع الخطاب الناقد لإسرائيل، فيما يتعلّق بأسلوب عملها، وقمع فعاليّته.

ويبحث مقـــال «الكولونيالية والمحرقة اليهودية: صدام بـــين روايتين» لعاموس غولدبـــرغ في نشـــوء وتأسّـــس روايتين تاريخيّتين كبيرتـــين جاءتا لشرح طبيعة الحداثة، وكلتاهما قصّة كوارث تاريخية؛ إحداهما هـــي قصّة المحرقـــة اليهودية واللاسامية، والأخرى هي القصة اللا/ما بعد كولونيالية، والعنصرية الغربية، حيث يرى الباحث أن لهاتين الروايتين اللتين أصبحتا – إلى حـــدّ كبير – كونيّتين جذورٌ عميقة في التاريخ وفي فكر مناطق مختلفة من العالم، كما تصطدم هاتـــان الروايتان العالميّتان اصطدامًا هـــو الأكثر وجاهية وفظاظة في

مسألة إسرائيل – فلسطين.

ويتضمن الملف أخيرا مقالة تحت عنوان هو، أنا والآخر لأبراهام بورغ.

ويتضمن العـــدد مداخلة تحت عنوان «من الخلاص الجماعي إلى تحقيق الذات: تحـــولات البطولة في الدرامـــا الإسرائيلية المعروضـــة عبر «نتفلكـــس»، يتتبع فيها نور الدين أعرج وباسل رزق الله عينة من الإنتاجات الدرامية الإسرائيلية التي تظهر فيها تمثيلات عسكرية إما بشكلٍ رئيسي أو ثانوي، وتقدم قراءةً لها ترتكز على السعي لفهم مركزية البعد العسكري، في الفضاء العام الإسرائيلي، وتراجعه، والممارســـات التي ترتبط باستعادته، أو إعادة إنتاجه، في خضم التحولات المستمرة داخل المجتمع الإسرائيلي ومجتمع الجيش.